تفسير الحداد

كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل

لأبي بكر الحداد اليمني

تحقيق
الدكتور محمد إبراهيم يحيى
أستاذ مساعد تفسير القرآن وعلومه
بالجامعة الأسمرية - زليتن - ليبيا

المجلد السابع

دار المدار الإسلامي

تفسير الحداد

تفسير الحداد

كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل

لأبي بكر الحداد اليمني

تحقيق
الدكتور محمد إبراهيم يحيى
أستاذ تفسير القرآن وعلومه
بالجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية
زليتن - ليبيا

الجزء السابع

دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

كانون الثاني/يناير/اي النار 2003 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 4165/ 2001

ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-062-X

دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،

خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb

بيروت ـ لبنان

زيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498، هاتف:

44487ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

سُورَةُ الجُمُعَةِ

سورة الجمعة مدنية، وهي سبعمائة وعشرون حرفاً، ومائة وثلاثون كلمة، وإحدى عشرة آية. قال ﷺ: **«من قرأها كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب إلى الجمعة، وبعدد من لم يذهب إليها في أمصار المسلمين»**[1] وبالله التوفيق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿1﴾ هُوَ
ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿2﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿3﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿4﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ
ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿5﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ظاهر المعنى والقدوس: المستحق للتعظيم لتنزيه صفاته عن كل نقص، ويقال معناه: كثير البركة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الأميون: هم العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا من أهل الكتاب، وأول ما ظهرت الكتابة في العرب في أهل الطائف تعلموا من أهل الحيرة،

---

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف 4:107، والثعلبي في تفسيره: خ.

وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار[1] وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ نسبه مثل نسبهم وجنسه من جنسهم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من دنس الكفر فيجعلهم أزكياء بما يأمرهم به من التوحيد ويدعوهم إليه من طاعة الله ويعلمهم الكتاب والحكمة أي القرآن والعلم وإن كانوا من قبل مجيئه إليهم في ضلال مبين يعبدون الأوثان ويستقسمون بالأزلام قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ معناه: وبعثه في آخرين منهم يعني الأعاجم، والنبي ﷺ مبعوث إلى كل من شاهده من العرب والعجم وإلى كل من يأتي منهم[2] بعد ذلك وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، والمسلمون كلهم يد واحدة وأمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم.

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شؤون الصحابة. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يعني الإسلام والهداية إلى دينه، وقيل: النبوة والكتاب والإسلام، وقيل ذو المن العظيم على خلقه ببعث محمد ﷺ. قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ معناه: مثل اليهود الذين أمروا أن يعملوا بما في التوراة، ويظهروا صفة محمد ﷺ، ونعته فيها ثم لم يفعلوا بما أمروا به ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي يحمل كتباً من العلم عظاماً لا يدري ما عليه وما يحمل، والأسفار: جمع سفر، وهو الكتاب الكبير شبه اليهود إذ لم ينتفعوا بما في التوراة وهي دالة على الإيمان بمحمد ﷺ بالحمار يحمل كتب العلم ولا يدري ما فيها وليس حمل التوراة من الحمل على الظهر وإنما هو من الحمالة وهو الضمان والكفالة والقبول كما في قوله تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[3] أي يقبلنها فاليهود ضمنوا العمل بها ثم لم يفعلوا بما ضمنوا وجحدوا بعض ما حملوا فلذلك قيل: ثم لم يحملوها قوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني اليهود كذبوا بالقرآن وبالتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ

---

(1) الزمخشري نفسه.

(2) ابن عطية في المحرر الوجيز 16: 8.

(3) سورة الأحزاب: 33، الآية: 72.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿6﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿7﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿8﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿6﴾﴾ هذا جواب لليهود في قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم: إن ادعيتم أنكم أحباء الله، وأهل ولايته، وأن الجنة في الآخرة لكم من دون الناس فاسألوا الله الموت إن كنتم صادقين في مقالتكم قولوا: اللهم أمتنا كي تصلوا إلى نعيم الآخرة وتستريحوا من تعب الدنيا وسيميتكم الله إن قلتم ذلك كما روي في الحديث أنه لما نزلت هذه الآية قال لهم النبي ﷺ: «**قولوا اللهم أمتنا فوالذي نفسي بيده ليس أحد منكم يقول ذلك إلا غص بريقه فمات مكانه**» ذلك أن تقولوا وعرفوا أنه سيكون فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ أي لا يتمنون ذلك أبداً بما قدموا من التكذيب بمحمد ﷺ والتحريف لصفته في التوراة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إخبار عن معلوم الله فيهم ثم حذرهم الله بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ﴾ أي قل يا محمد لليهود إن الموت الذي تفرون منه إن يلقوه فإنه نازل بكم لا محالة عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿9﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿10﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿11﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ يعني النداء إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه وكان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد وكذا كان على عهد أبي بكر وعمر والنداء المشروع لهذه الصلاة هو الأذان الثاني الذي يقوله المؤذن عند صعود الإمام المنبر كما روي عن السائب بن يزيد[1] أنه قال: ما كان لرسول الله ﷺ إلا مؤذن واحد يؤذن إذا قعد على المنبر ثم يقيم إذا نزل ثم أبو بكر كذلك ثم عمر كذلك، فلما كان في أيام عثمان رضي الله عنه وكثر الناس[2] زاد نداء آخر.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني الذهاب والمشي إلى الصلاة والسعي: هو إجابة النداء في هذه الآية والمبادرة إلى الجمعة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فامضوا[3] إلى ذكر الله وكان يقول لو أمرت بالسعي لسعيت حتى سقط ردائي، وقيل السعي ههنا هو العمل أي إذا نودي للصلاة فاعملوا على المضي إلى ذكر الله من التفرغ له والاشتغال بالطهارة والغسل والتوجه إليه بالقصد والنية، واختلف مشايخنا هل يجب على الإنسان الإسراع والعدو وإذا خاف فوت الجمعة أم لا؟ قال بعضهم: يلزمه ذلك بظاهر النص بخلاف السعي إلى سائر الجماعات لا يؤمر به وإن خاف الفوت، وقال بعضهم: لا يلزمه ذلك، وليس السعي إلا العمل كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[4] وقال ﷺ: **«إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا»**[5] وهذا عام في جميع الصلوات قوله تعالى:

---

(1) السائب بن يزيد الكندي، صحابي جليل ولد قبيل السنة الأولى من الهجرة، وكان مع أبيه في حجة الرسول ﷺ حجة الوداع واستعمله عمر بن الخطاب على سوق المدينة، روي له اثنان وعشرون حديثاً، وتوفي سنة ست وثمانين هجرية، الإصابة: 3071.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه 1: 359 رقم 1135 باب ما جاء في الأذان يوم الجمعة.

(3) ابن جني في المحتسب 2: 321.

(4) سورة النجم: 53، الآية: 49.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 3: 50 رقم 908، كتاب الجمعة.
أخرجه ابن ماجه في سننه 1: 225، رقم 775، كتاب المساجد والجماعات.

﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم يعني الصلاة مع الإمام وذلك هو المراد بذكر الله وقال بعضهم هو الخطبة لأنها تلي النداء وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة خرجت ذنوبه وخطاياه، فإذا راح كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجيز بعمل مائتي سنة**»[1]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله، ولبس من صالح ثيابه، ومس من طيب بيته أو دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها**» رواه[2] البخاري، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في جمعة من الجمع: «**يا معشر المسلمين إن هذا يوم جعله الله عيداً للمسلمين فاغتسلوا فيه، ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه، وعليكم بالسواك**»[3]. وعن رسول الله ﷺ قال: «**ليلة أسري بي إني رأيت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه يقولون في تسبيحهم: اللهم اغفر لمن شهد الجمعة، اللهم اغفر لمن اغتسل**[4] **يوم الجمعة**».

وقال ﷺ: «**إن ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة لله تعالى في كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار**»[5]، وقال ﷺ: «**لعل أحدكم أن يتّخذ الصبَّة**[6] **من الغنم على رأس ميل أو ميلين ثم تأتي عليه الجمعة فلا يشهدها ثم تأتي عليه الجمعة فلا يشهدها ثم تأتي عليه الجمعة فلا يشهدها فيطبع على قلبه**»[7] وقال ﷺ في الجمعة: «**من تركها استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا فلا صلاة له، ألا فلا زكاة له، ألا فلا صيام**

---

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: خ.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 3: 24 رقم 883، باب الرهن للجمعة.
(3) أخرجه ابن ماجه في سننه 1: 349، رقم 1098 باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة.
(4) الثعلبي نفسه، والقرطبي في تفسيره 18: 119.
(5) ذكره الثعلبي في تفسيره: خ.
(6) الصُّبَّة: الجماعة قال ابن الأثير ما بين العشرين إلى الأربعين وقيل من الستين إلى السبعين.
(7) أخرجه ابن ماجه في سننه 1: 357 رقم 1127 فيمن ترك الجمعة من غير عذر.

له **ألا فلا حج له إلا أن يتوب فإن تاب تاب الله عليه**»[1]، قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ قال الحسن: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع فمن باع في تلك الساعة فقد خالف الأمر وبيعه منعقد لأنه نهي تنزيه[2] قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وهذا على ترك البيع إن كنتم تعلمون وهو خير لكم وأصلح، قراءة العامة من يوم الجُمُعة بضمتين، وقرأه الأعمش بجزم الميم وهما لغتان قال الفراء وفيهما لغة ثالثة جمعه بفتح الميم كما يقال رجل ضُحَكة وهمزة ولمزة وهي لغة بني عقيل[3]، وإنما سمي هذا اليوم جمعة لما روي عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما سميت الجمعة جمعة لأن آدم عليه السلام جمع فيها خلقه**»[4]، وقيل لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات، وقيل تجتمع الجماعات فيها، وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة، وقيل: أول من سماها جمعة كعب بن لؤي، وكان يقال ليوم الجمعة العروبة، وقيل: أول من سماها جمعة الأنصار[5] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض هذا أمر إباحة قال ابن عباس رضي الله عنه: إن شئت فاخرج، وإن شئت فصل إلى العصر، وإن شئت فاقعد وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة والبيع بعد المنع، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم تؤمروا في هذه الآية بطلب شيء من الدنيا ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله تعالى[6].

وقال الحسن: وابتغوا من فضل الله يعني طلب العلم والقول الأول أظهر واختلف العلماء في موضع وجوب الجمعة، وعلى من تجب، وكم يشترط لها

---

(1) القرطبي في تفسيره 18: 119.
(2) الجصاص في أحكام القرآن 3: 448.
(3) الفراء في معاني القرآن 3: 156، والنحاس في أعراب القرآن 4: 428.
(4) أخرجه مسلم في صحيحه شرح النووي 6: 141 من حديث أبي هريرة.
(5) تراجع هذه الأقوال عند الزمخشري في الكشاف 4: 104.
(6) وكذا هذه الأقوال في معالم التنزيل للبغوي 5: 383.
وما نسب لابن عباس نسبه الطبري في تفسيره 14: 131، رقم 26447 لأنس بن مالك.

من الجماعة، فقال أبو حنيفة: لا تجب الجمعة إلا في مصر جامع لقوله عليه السلام: لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع، ولا تصح في القرى ولا تجب على أهل البواد ولو قربت من المصر إلا إذا كانت متصلة به[1]، وقال الشافعي: تجب الجمعة على أهل السواد إذا سمعوا النداء من المصر ووقت اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذن صيّتاً والأصوات هادئة والريح ساكنة، وقال ابن عمر، وأبو هريرة، وأنس: تجب الجمعة على من كان على عشرة أميال من المصر، وقال سعيد بن المسيب تجب على من أواه المبيت وقال الزهري على من على ستة أميال، وقال ربيعة: أربعة أميال وقال مالك ثلاثة أميال، وعند الشافعي تجب الجمعة في كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلاً أحراراً بالغين عاقلين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفاً إلا ظعن[2] حاجة فإذا كان كذلك وجب عليهم إقامة الجمعة وإن كان أقرب من ذلك وكان بقربها موضع تقام فيه الجمعة فعليهم الحضور فيه للجمعة إذا كانوا بحيث يستمعون النداء، وقال مالك: إذا كانت القرية فيها سوق ومسجد وجب عليهم إقامة الجمعة[3]، وأما أهل الوجوب فتجب الجمعة على كل مسلم إلا على أربعة عبد أو مريض أو مسافر أو امرأة فمن استغنى عنها للهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد، وأما العدد الذين تنعقد بهم الجمعة فقال الحسن: تنعقد باثنين وقال أبو يوسف، والليث بن سعد: ثلاثة، وقال أبو حنيفة ومحمد وسفيان: أربعة وقال ربيعة باثني عشر، وقال الشافعي: لا تنعقد بأقل من أربعين[4].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ قال الحسن: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بتجارة، وكان يقدم المدينة بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وغيره فينزل في سوق المدينة ويضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيخرجون إليه ليبتاعوا منه فقدم

(1) ذكره الجصاص في أحكام القرآن 3: 445.
(2) الثعلبي في تفسيره: خ.
(3) القرطبي في تفسيره 18: 12.
(4) البغوي في معالم التنزيل 5: 380.

ذات يوم جمعة، وكان قبل إسلامه، ورسول الله ﷺ قائم يخطب على المنبر، فضرب الطبل فخرج الناس من المسجد ولم يبق إلا ثمانية رهط ثبتوا مع النبي ﷺ، وقيل: اثني عشر[1] رجلاً وامرأة، فقال ﷺ: «**لو لحق آخرهم أولهم لالتهب الوادي عليهم ناراً**»[2] فأنزل[3] الله هذه الآية، وقال تعالى: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي تفرقوا بالخروج إليها وتركوك قائماً على المنبر تخطب، وفي هذا دليل على وجوب الخطبة لأن الله تعالى عاتبهم على ترك الاستماع، ولو لم يكن فرضاً لم يعاتبوا على ذلك، ويستدل من هذه الآية على أن من السنة أن يخطب الإمام قائماً، والكناية في قوله: ﴿إِلَيۡهَا﴾ راجعة إلى التجارة دون اللهو وإنما خصت التجارة برد الضمير إليها لأنها كانت أهم إليهم هم في سنة مجاعة وغلاء سعر قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ معناه: ما عند الله من ثواب الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي ليس يفوتهم من أرزاقهم لتخلفهم عن الميرة شيء ولا بتركهم البيع في وقت الصلاة.

---

(1) قال القرطبي في تفسيره 18:110، وروي في حديث مرسل أسماء الاثني عشر رجلاً وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وبلال، وعبد الله بن مسعود، وفي رواية أخرى: عمار بن ياسر.

(2) ذكره الطبري في تفسيره 14: 133، عن قتادة.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9:636 رقم 4899، عن جابر بن عبد الله، كتاب التفسير.
الطبري في تفسيره 14: 132، رقم 26451 عن الحسن.
الواحدي في أسباب النزول ص:359.

سُورَةُ المنَافِقُونَ

سورة المنافقين مدنية، وهي تسعمائة وستة وسبعون حرفاً، ومائة وثمانون كلمة، وإحدى وعشرون آية قال ﷺ: «**من قرأ سورة المنافقين بريء من النفاق**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿1﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿2﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿3﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿4﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ معناه: إذا جاءك يا محمد منافقو أهل المدينة عبد الله بن أبي، وأصحابه قالوا نقسم إنك لرسول الله، وعلى ضميرنا واعتقادنا والله يعلم إنك لرسوله من غير شهادة المنافقين وحلفهم والله مخبر إن المنافقين لكاذبون في ما يعتقدون بقلوبهم وما يقولون بألسنتهم فهم كاذبون في أخبارهم عن ما في ضمائرهم فأما شهادتهم بألسنتهم إنه رسول الله

(1) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف 4: 112.
وكذا الثعلبي في تفسيره: خ.

فقد كانت صدقاً قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي سترة يدفعون بها عن أنفسهم السبي والقتل والجزية كمن أخذ على نفسه جنة لدفع الخراج وقوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي منعوا الناس عن طاعة الله وامتنعوا عنها إنهم ساء ما كانوا يعملون في نفاقهم من الكذب والخيانة وفي هذه الآية دليل أن قول الرجل أشهد يمين لأن القوم قالوا نشهد فجعله الله يمينا بهذه الآية وعلى هذا أقسم وأعزم وأحلف كلها أيمان عند أبي حنيفة وصاحبيه والثوري والأوزاعي وقال مالك: إن أراد به اليمين فهو يمين، وقال الشافعي: أقسم ليس بيمين، وأقسم بالله[1] يمين، وفي قراءة الحسن: اتخذوا إيمانهم[2] بكسر الألف أي إنا مؤمنون اتخذوه تقية عن القتل.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾ أي ذلك الحكم بنفاقهم ويقال ذلك الصد بأنهم كانوا مؤمنين في العلانية بحضرة النبي ﷺ فإذا عادوا إلى قومهم ثبتوا على الكفر في السر فأورثت ذلك طبعاً على قلوبهم فهم لا يفقهون الإيمان والقرآن ولا يعون ما يوعظون به.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ⑤ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ⑥﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي صحّة أجسامهم وحسن منظرهم لأنهم يكونون على هيئة حسنة فكان عبد الله بن أبي رجلاً جسيماً فصيحاً لسناً وكانوا إذا قالوا شيئاً أصغى إليهم النبي ﷺ لحسن كلامهم ولهذا دخلت اللام في تسمع لقولهم ويجوز أن يكون معناه: إلى قولهم. قوله تعالى:

---

(1) تراجع هذه الأقوال عند الجصاص في أحكام القرآن 3: 450.
وعند القرطبي في تفسيره 18: 123.
وعند الكيا الهراسي 4: 417.

(2) ابن جني في المحتسب 2: 322، على حذف مضاف أي اتخذوا إظهار إيمانهم جنة.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ فيه بيان أنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب المسندة إلى الجدار لا ينتفع بها إلا بالنظر إليها والخشب لا أرواح فيها ولا تعقل ولا تفهم وكذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلونه والمسندة الممالة إلى الجدار ويقرأ خشْب وخشُب بجزم الشين وضمها[1] قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي يظنون من الجبن والخوف أن كل من خاطب النبي ﷺ فإنما يخاطبه في أمرهم وكشف نفاقهم ويقال كانوا لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أن قد أوتوا إن نادى مناد في العسكر وانفلتت دابة وأنشدت ضالة ظنوا أنهم مرادون مما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم.

قوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ ابتداء كلام والمعنى هم على الحقيقة العدو الأدنى إليك قوله: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ يا محمد لا تأمنهم وإن أظهروا أنهم معكم ولا تطلعهم على سرك لأنهم عيون لأعدائك من الكفار قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي لعنهم الله وأخزاهم وأحلهم محل من يقاتله عدونا وقاهره ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي أنى يصرفون عن الحق إلى الباطل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي إذا قيل لهؤلاء المنافقين بعدما افتضحوا هلموا إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لكم ذنوبكم قوله تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي عطفوا رؤوسهم استهزاء ورغبة عن الاستغفار وعن طلب المغفرة وهم مستكبرون أي وهم متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم، وعن قول الحق وذلك أن عبد الله بن أبي لما رجع[2] من أُحد بكثير من الناس مقته المسلمون وعنفوه، فقال له بنو ابنه: ائت رسول الله ﷺ حتى يستغفر لك قال: لا أذهب إليه ولا أريد أن يستغفر لي[3] ومن قرأ لووا بالتخفيف فهو من لوى يلوي إذا صرف الشيء[4] وقلبه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ أي سواء عليهم استغفرت لهم أي سواء عليهم

---

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 367.
والنحاس في إعراب القرآن 4: 433.
والفراء في معاني القرآن 3: 158.
(2) السيرة النبوية لابن هشام 3: 64.
(3) السيرة النبوية 3: 105.
(4) مكي في الكشف عن وجوه القراءات 2: 322.
إعراب القراءات السبع وعللها 2: 368.

الاستغفار وتركه لن يغفر الله لهم لإبطانهم الكفر وهذا في قوم مخصوصين علم الله أنهم لا يؤمنون فلم يستغفر لهم النبي ﷺ بعد هذه الآية.

قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿7﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿8﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿9﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿10﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿11﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا نزولاً على الماء في غزوة بني المصطلق[1] إذ وقع بين غلام لعمر رضي الله عنه من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد يقود لعمر فرسه وبين غلام لعبد الله بن أبي بن سلول يقال له سنان الجهني أقبل جهجاه يقود فرس عمر فازدحم هو وسنان على الماء فاقتتلا فصرخ سنان يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فاشتبك الناس وعلت الأصوات فقال عبد الله بن أبي ما أدخلنا هؤلاء القوم في ديارنا إلا ليركبوا أعناقنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: «سمّن كلبك يأكلك» أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتموه لأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم طعامكم ومنعتم أصحاب هذا الرجل الطعام لتفرقوا عنه، ورجعوا إلى عشائرهم وتحولوا عن بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا أي يتفرقوا من حول محمد[2] فسمع

---

(1) بنو المصطلق: هم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، والمريسيع: اسم ماء لخزاعة من ناحية قديد بينه وبين المدينة نحو ثمانية برد إلى الساحل وجذيمة هو المصطلق وحدثت هذه الغزوة في شعبان سنة ست من الهجرة: السيرة النبوية 3: 289.

(2) الطبري في تفسيره 14: 146، رقم 26481.

زيد بن أرقم كلامه، فقال: والله أنت الذليل القليل البغيض المبغوض في قومك ومحمد ﷺ في عرش الرحمن وعزة من المسلمين ذهب زيد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال: «**إذا ترعد له أنوف كثيرة في يثرب**» فقال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتلوه، فقال ﷺ: «**فكيف يا عمر إذا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، لا ولكن ائذن بالرحيل**»[1] وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها فارتحل الناس فأرسل النبي ﷺ إلى عبد الله بن أبي فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني، فقال: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك وإن زيداً لكاذب وكان عبد الله بن أبي في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم شيخنا وكبيرنا عبد الله بن أبي لا يصدق عليه كلام صبي من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الصبي وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال. فعذره النبي ﷺ وفشت الملامة من الأنصار لزيد وكذبوه، فقال له عمه ما أردت يا ولدي إلا أن كذبك رسول الله ﷺ والناس ومقتوك وكان زيد يساير رسول الله ﷺ فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي ﷺ وبلغ ولد عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتله يمشي بين الناس فأخاف أن أقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال ﷺ: «**بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**» وكذلك جاء أسيد بن حضير إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة لا يمشى فيها فقال له: أوَما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال أسيد: بل أنت يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز أرفق به فوالله يا رسول الله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فهو يرى أنك سلبته ملكه. ثم سار رسول الله ﷺ

---

(1) الطبري نفسه.

حتى وافى المدينة فأنزل[1] الله هذه الآية: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فقال: «**يا زيد إن الله صدقك**» وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة ومنع أباه أن يدخلها. فقال له ما لك؟ ويلك والله لا تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله ﷺ ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل فشكى عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه[2]، فأرسل إليه النبي ﷺ أن دعه يدخل، فقال: لما جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم، فلبث بعد أن دخل أياماً ثم مرض ومات.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي هو الرازق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن السموات والأرض والمطر والنبات هما لله فلا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بإذنه ولا يمنعه شيئاً إلا بمشيئته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وقال الجنيد خزائن السموات الغيوب، وخزائن الأرض القلوب وهو علام الغيوب مقلب القلوب وقال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل؟ فقرأ ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي من هذه الغزوة وهي غزوة بني المصطلق وهم حي من هذيل ليخرجن الأعز منها الأذل، قد ذكرنا قائل هذه المقال وهو عبد الله بن أبي قيل إن ابنه عبد الله قال له: أنت والله الأذل ورسول الله ﷺ الأعز وكان عبد الله بن أبي يعني بالأعز نفسه فرد الله عليه فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فعزة الله تعالى قهره لخلقه وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المسلمين نصره إياهم على أعدائهم

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9: 642، رقم 4904، كتاب التفسير.
ذكره الطبري في تفسيره 14: 139، رقم 26464.
الواحدي في أسباب النزول: 361.

(2) الطبري في تفسيره 14: 143 رقم 26476.

(3) القرطبي في تفسيره 18: 128، بلفظه تقريباً.

فهم ظاهرون قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلاة المفروضة والمعنى لا تشغلكم كثرة أموالكم وحفظها وتنميتها ولا تربية الأولاد وإصلاح حالهم عن طاعة الله وعن الصلاة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي ومن يشغل بالمال والأولاد عن طاعة الله فأولئك هم المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة عنهم وهلاك أنفسهم التي هي رأس أموالهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ معناه: وأنفقوا الأموال في الزكاة والجهاد وغيرها من الحقوق الواجبة من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيعلم أنه ميت ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ في الدنيا أي يتمنى القليل من التأخير ليصدق به ويكون من الصالحين بالتلاقي والتوبة واستئناف العمل الصالح ولا ينفعه تمنيه غير ذلك والمعنى أنه يستزيد في أجله حتى يتصدق ويزكي قوله تعالى: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قيل إن معناه راجح روي ذلك عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَأَكُن﴾ على قراءة من جزم عطفه على موضع فأصدق لأنه على معنى إن أخرتني أصدق وأكن ولولا الفاء لكان فأصدق مجزوماً، ومن قرأ فأكون فهو عطف على لفظ فأصدق وانتصب قوله تعالى فأصدق لأنه جواب التمني بالفاء وأصله فأتصدق[1]. قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ أي لا يؤخرها عن الموت إذا جاء هلاكها والله خبير بما تعملون من الخير والسوء وبمن أخر في أجله أن يتوب أو لا يتوب.

(1) الطبري في تفسيره 14: 150 رقم 26488.
الكشف عن وجوه القراءات 2: 322.
التبيان في إعراب القرآن 2: 414.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

سورة التغابن مدنية [في قول الأكثر وقيل مكية] وهي ألف وسبعون حرفاً، ومائتان وإحدى وأربعون كلمة، وثماني عشرة آية، قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت المفاجأة»**[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2)
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قد تقدم تفسيره قوله تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي له الملك الدائم الذي لا يزول وله الحمد في السموات والأرض، وهو على كل شيء من أمور الدنيا والآخرة قدير، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

---

(1) ذكره الزمخشري في تفسيره: الكشاف 4:16.
والثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب.

ظاهر المعنى قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي صوركم في أرحام الأمهات فجعل صوركم أحسن من صور سائر الحيوانات، وإليه المصير في الآخرة، وباقي الآيتين ظاهر المعنى، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي ألم يأتكم يا أهل مكة خبر الذين كفروا من قبلكم من الأمم الخالية فكيف أذاقهم الله عقوبة تكذيبهم بالرسل في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب وجيع، وذلك العذاب بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات فقالوا أرب مثلنا يدعونا إلى خلاف دين آبائنا فكفروا بالكتب والرسل وأعرضوا عن القبول منهم واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم والله غني عن أفعال العباد حميد في إنعامه عليهم.

ومعنى قوله: وبال أمرهم أصل الوبال من الثقل يقال: أمر وبيل، أي ثقيل فسمي جزاء المعصية وبالاً لِثقله.

قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ⑦ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑧ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ⑨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ⑩﴾.

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ أي قال كفار مكة قولاً بالطعن من غير يقين إنهم لا يبعثون بعد الموت ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعث والجزاء ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي سهل هيّن ﴿فَـَٔامِنُوا۟﴾ يا أهل مكة ﴿بِٱللَّهِ﴾ ورسوله محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ يعني يوم القيامة يجمع فيه الأولون والآخرون ذلك يوم التغابن يغبن فيه أهل الباطل الحق وأهل الإيمان أهل الكفر فلا غبن أبين منه هؤلاء يدخلون الجنة وهؤلاء يدخلون النار والغبن فوت الحظ والمراد، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من مؤمن يدخل الجنة إلا وقد رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد كافر**

يدخل النار إلا وقد رأى مقعده في الجنة لو أحسن ليزداد حسرة»[1] فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام.

قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑪ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ⑫ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ⑬ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑭﴾.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي ما أصاب أحد مصيبة في البدن والأهل والمال إلا بعلم الله وقضائه ومن يؤمن بالله أي من يصدق بأن المصيبة من الله يهد قلبه للرضاء والصبر ويقال: يوفقه للاسترجاع، وقرأ السلمي يهدِ قلبه على ما لم يسم فاعله، وقرأ طلحة بن مصرف نهدِ قلبه بالنون، وقرىء يهدأ قلبُه[2] بالهمز والرفع في قوله تعالى: ﴿قَلْبَهُۥ﴾ على معنى يسكن قلبه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ﴾ وذلك أن الرجل كان لا يستطيع أن يهاجر مع أزواجه وأولاده وكان إذا أراد أن يهاجر بنفسه تعلقت به امرأته وأولاده وقالوا له إلى من تدعنا فننشدك الله أن تجلس وتدع الهجرة[3] فأنزل الله هذه الآية بالمدينة ينهاهم عن ذلك ويحذرهم طاعة الأزواج والأولاد في معصية الله فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ ودخول من هٰهنا تدل على أنه ليس جميع الأزواج والأولاد عدواً وإنما منعهم من بحث هلاككم ليرث مالكم وأي عدو أعدى ممن يحب موتك لمنفعة نفسه ومنهم من يحذركم على أن تعصوا الله بأخذ

---

(1) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف 4: 115.
وكذا الثعلبي في تفسيره: عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) النحاس في إعراب القرآن 4: 444.
القرطبي في تفسيره 18: 139.

(3) الطبري في تفسيره 14: 158، رقم 26497.
الواحدي في أسباب النزول: 363.

غير الواجب أو بمنع الواجب لمنفعة ترجع إليهم ومعنى قوله تعالى: فاحذروهم أي فاحذروا أن تطيعوهم وتدعوا للهجرة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وذلك أن الرجل كان إذا أراد الجهاد أو الهجرة على امرأته وقرابته فإذا أبوا عليه أقسم أن لا ينفق عليهم فإذا عاد كف عن النفقة ليمينه فقيل لهم ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ أي إن تعفوا عنهم وتجاوزوا عن صدهم إياكم ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ ذنوبهم بعدما رجعتم من الجهاد وبعد ما اجتمعتم في دار الهجرة ولم يكافئوهم عن سوء ما فعلوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لكم لذلك كثيراً من ذنوبكم وقيل معنى الآية أن الرجل من هؤلاء كان إذا رأى الناس قد سبقوه إلى الهجرة وتفقهوا في الدين همّ أن يعاقب زوجته وأولاده الذين ثبطوه عن الهجرة وإن لحقوا به في الهجرة لم ينفق عليهم فأنزل[1] الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15) فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (16) إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (18)﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء وشغل عن الآخرة والإنسان بسبب المال والولد يقع في العظائم ويتناول الحرام إلا من عصمه الله والله عنده أجر عظيم لمن لم يشغله ماله وولده عن طاعة الله وعن تدبره قال كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «**صدق الله عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر عنهما حتى قطعت حديثي ورفعتهما**» ثم أخذ رسول الله ﷺ في خطبته[2] قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أي اتقوا الله

(1) الطبري في تفسيره 14: 159.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه 2: 1190 رقم 3600، كتاب اللباس.
أخرجه الإمام أحمد في مسنده 5: 354.
والإمام النسائي في سننه 3: 108.

جهدكم وقدر وسعكم باجتناب محارمه وأداء فرائضه وجميع طاعته واسمعوا ما تؤمرون به وأطيعوا أمر رسوله وأنفقوا من أموالكم في طاعة الله يكن ذلك خيراً لأنفسكم لأن نفع الآخرة أعظم ويقال الخير هٰهنا المال كأنه قال: انفقوا مالاً من أموالكم وهذه الآية نسخت[1] قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[2] قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي من يدفع عنه شح نفسه فأولئك هم المدركون لطلبتهم والشح في الدين منع الواجب ومن الشح أن يعمد الرجل إلى مال غيره فيأكله قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ﴾ يضاعف أن تعطوا في الصدقة مالاً عن حسبة صادقة من قلوبكم يقبله منكم ويضاعفه لكم ويغفر لكم ذنوبكم وهو شكور يقبل اليسير ويعطي الجزيل من الثواب حليم لا يعجل بالعقوبة على من بخل بالصدقة واستحق العقوبة على ذنوبه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ أي يعلم ما تكنه صدورهم مما لا تعلمه الحفظة ويعلم كل ما ظهر مما يسقط من ورقة وما قطر من قطر المطر وهو العزيز في ملكه وسلطانه الحكيم في أمره وقضائه.

---

(1) أبو بكر بن العربي الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم 2: 126.

(2) سورة آل عمران: 3، الآية: 102.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

سورة الطلاق مدنية، وهي ألف وستون حرفاً، ومائتان وتسع وأربعون كلمة، واثنتا عشرة آية قال ﷺ: «**من قرأ سورة الطلاق مات على سنّة رسول الله ﷺ**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ
لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن
يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ
لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا
(2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ
جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا (3)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمؤمنون داخلون فيه لأن خطاب الرئيس خطاب للاتباع خصوصاً إذا كانوا مأمورين بالاقتداء به، والمعنى يا أيها النبي إذا أردت أنت

---

(1) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف 4:124.
والثعلبي في تفسيره: خ عن أبي بن كعب.

وأمتك الطلاق فطلقوا النساء لعدتهن، وهذا كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾[1] أي إذا أردتم القيام والطلاق للعدة، وهو أن يطلقها في طهر لم يسمها فيه لما روي أن النبي ﷺ قال حين سئل عن الطلاق: «**طلقها طاهراً من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها**»، ويقال في معنى الطلاق للعدة أن تفرق الطلاق الثلاث على أطهار العدة، فيطلقها في كل طهر لم يمسها فيه تطليقة، والطلاق سني[2] وبدعي فالسني: أن يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه. وقد روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما طلق امرأته وهي حائض فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء[3]، والطلاق البدعي: أن يقع في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، وهو واقع وصاحبه آثم، وروي أن ابن عمر طلّق امرأته وهي حائض فذكر عمر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**مره فليراجعها، فإذا طهرت فليطلقها إن شاء**» قلت: يحتسب بها؟ قال: «**فمه**»[4].

قوله تعالى: ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ إنما أمر بإحصاء العدة للتوزيع للطلاق على الأطهار والمعنى بذلك احصوا عدة الطلاق لما تريدون من رجعة أو تسريح فإذا حاضت المعتدة حيضة وطهرت فأراد الزوج أن يطلقها أخرى طلقها بائنة قبل أن تحيض فإذا حاضت وطهرت طلقها أخرى إن شاء فتبين بالثلاث، وهل بقي من عدتها حيضة قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ أي اتقوه في النساء إذا طلقتموهن واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً لا تخرجوهن من بيوتهن التي طلقن فيها وهي بيوت أزواجهن، والمعنى: اتقوا الله فلا تعصوه فيما أمركم به، فلا يجوز للزوج

---

(1) سورة المائدة: 5، الآية: 6.

(2) يراجع أحكام القرآن لابن العربي 4:1825 فيه مناقشات مفيدة.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9:649 رقم: 4908 كتاب التفسير.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 10:66، تحريم طلاق الحائض.

وتقدير الاستفهام وجوابه: «قلت يحتسب بها»؟ قال: «فمه». نعم تحتسب على المطلق في الحيض طلقة، فما يمنعه أن يكون طلاقاً، وأما قوله: «فمه» فيحتمل أن يكون للكف والزجر عن هذا القول أي لا تشك في وقوع الطلاق، وأجزم بذلك ومعناه: لا يكون إلا الاحتساب، والهاء مبدلة من الألف.

أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يساكنها فيه قبل الطلاق وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي ولا تخرجوهن من قبل أنفسهن حتى تنقضي عدتهن ولهذا لا يباح لها السفر في العدة ولا يباح لها الخروج، وإن أذن لها الزوج، وأما المنكوحة فيجوز لها الخروج من المنزل بإذن الزوج قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي لا يخرجن إلا أن يكون خروجهن معصية، وقال الحسن معناه: إلا أن يزنين فيظهر ذلك الزنا عليها بشهادة أربعة من الشهود فتخرجن لإقامة الحد قال ابن عباس معناه: إلا أن يطلن بألسنتهن على أهل المنزل بإيذائهن كما روي أن فاطمة بنت قيس طلّقها زوجها «أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي» فكانت تستطيل على أحمائها بلسانها فنقلها رسول الله ﷺ إلى بيت ابن أم مكتوم وكان ضريراً[1] لتعتد فيه، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش**»، وقال عليه السلام: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»[2]، وقال ﷺ: «**لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين والذواقات**»[3]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق**» وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي هذه أحكام الله وفرائضه في الطلاق للسنة والعدة فلا تتجاوزوها إلى ما نهى عنه.

قوله: ومن يتعد حدود الله بالمخالفة فقد ظلم نفسه أي فقد أضرّ بنفسه ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ فيوقع في قلب الزوج المحبة فيندم على طلاقها ويريد رجعتها فلا يقدر على ذلك فلا ينفعه الندم وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ معناه: إذا قاربن انقضاء عدتهن فراجعوهن بحسن الصحبة والمعاشرة قبل أن يغتسلن من الحيضة الثالثة، أو اتركوا مراجعتهن

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره 14: 172 رقم 26548.
أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 10: 101، باب المطلقة البائن لا نفقة لها.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه 1: 662، رقم 2055 كتاب الطلاق.

(3) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 4: 338، باب فيمن يكثر الطلاق.

بإيفاء المهر ونفقة العدة حتى تنقضي عدتهن، ولا يجوز أن يكون المراد بهذه الآية حقيقة بلوغ الأجل لأنه لا رجعة بعد بلوغ الأجل الذي هو انقضاء العدة قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي اشهدوا على الطلاق والرجعة ذوي عدل من المؤمنين، وهذا أمر استحباب احتياطاً من التجاحد كي لا يجحد الزوج الطلاق ولا تجحد المرأة بعد مضي العدة الرجعة. ثم قال للشهود: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي ذلك الذي ذكر لكم من الأمر والنهي والطلاق والرجعة وإقامة الشهادة يوعظ به من كان يؤمن بالله ويصدق بالبعث بعد الموت لأنهم هم الذين ينتفعون بالوعد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أي من يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من المعصية إلى الطاعة، ويقال من الحرام والشبهات إلى الحلال، وقيل: يجعل له مخرجاً من الشبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة، ويرزقه في الآخرة من نعيم الجنة ما لا يحتسبه، ويقال يرزقه في الدنيا من حيث لا يأمل، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً**»[1] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي من يفوض أمره إلى الله عالماً واثقاً بحسن تقديره وتدبيره فهو كافيه لا يحتاج إلى غيره وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي منفذ أمره ممض إرادته لا يمنع عما يريد قد جعل الله لكل شيء من أحكامه مقداراً وأجلاً معلوماً فلا عذر للعبد في تقصير نفع منه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿4﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿5﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿6﴾﴾.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 4: 262.
والبيهقي في شعب الإيمان 1: 439 رقم 645 باب في محبة الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ وذلك لما أنزل الله عدة المطلقة، والمتوفى عنها زوجها في سورة البقرة قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن ناساً يقولون قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء قال: «**وما هو؟**» قال: الصغار والكبار، وذوات الحمل فنزلت[1] هذه الآية: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ لكبرهن إن ارتبتم أي: إن شككتم في عدتهن فعدتهن إذا طلقن بعد الدخول ثلاثة أشهر وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ معناه: وذوات الأحمال عدتهن تنقضي بوضع ما في بطنهن من الحمل مطلقة كانت الحامل أو متوفى عنها زوجها، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ أي من يخشى الله فيمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ييسر عليه أمره ويوفقه للعبادة ويسهل عليه أمور الدنيا والآخرة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ أي ذلك الحكم الذي سبق حكم الله في الطلاق والعدة والرجعة أنزله الله إليكم، ومن يتق الله بطاعته وترك معصيته يكفر عنه سيئاته أي يستر ذنوبه عليه، ويرفع عنه عقابها أو يعطيه على ذلك ثواباً حسناً في الجنة قوله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ أي اسكنوا المطلقات حيث سكنتم من البيوت التي تجدون أن تسكنوهن فيها على قدر وسعكم وطاقتكم فإن كان موسراً وسّع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ أي لا تضاروهن في المسكن ولا في أمر النفقة ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ يعني أعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن وطهارتهن ومن النفقة ما يكون كفافاً لهن بالمعروف هذا عام في المبتوتة والرجعية قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ يعني يجب نفقة الحامل إلى أن تضع سواء طالت مدة الحمل أو قصرت لأن عدتها تنقضي بوضعه

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 365.
والبغوي في معالم التنزيل 5: 402.
وأبو بكر بن العربي 4: 1837.
والطبري في تفسيره 14: 180 رقم 26582.

فلها النفقة إلى أن تضع حملها ولا نفقة للمتوفى عنها زوجها لأن قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ خطاب للأزواج وقد زال عنهم الخطاب بالموت، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني بعد وضع الحمل إن أرضعن لكم أولادكم فأعطوهن أجرة الرضاع، وفي هذا دليل أن الأم أولى بإرضاع الولد بأجرة المثل، وأولى بالحضانة من كل أحد وفيه دليل أن الأجرة لا تستحق بالعقد وإنما تستحق بالفراغ من العمل لأنه تعالى أوجبها بعد الرضاع قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أمر الرجل والمرأة أن يأتمروا من الولد بالمعروف وهو أن ينفق الرجل نفقة الرضاع من غير تقتير ولا إسراف وتقوم المرأة على ولدها في إرضاعه وتعهده من غير تقصير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ معناه: إن تضايقتم وتمانعتم فأبت الأم أن ترضع الولد أو طلبت على ذلك أكثر من أجرة المثل، وأبى الأب أن يعطيها ما طلبت، فليطلب الأب للولد مرضعة غير الأم إلا أنه يجب أن يكون في بيت الأم لأن الأم أحق بإمساك الولد.

قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿7﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿8﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿9﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿10﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي لينفق ذو غناء على نسائه وأولاده على قدر غناه ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ معناه: ومن ضيّق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله من المال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ من الرزق قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ فيه تسلية للصحابة فإن أكثرهم كانوا فقراء فوعدهم الله التيسير بعد العسر، ففتح الله عليهم بعد ذلك وجعل يسراً بعد عسر، ويستدل من هذه الآية على أن القاضي يأمر المرأة أن تستدين على زوجها المعسر مقدار ما تستحق عليه من النفقة لأن المعسر يرجى له اليسر قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أي وكم من قرية

أهل بلدة عتوا عن أمر ربهم ورسله أي جاوزوا الحد في المعصية فجازيناهم في الآخرة جزاءً شديداً على كل صغير وكبير وعذبناهم في الدنيا عذاباً نكراً أي عذاباً جارياً عن العادة لم يعهدوا مثله قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي فذاقوا جزاء كفرهم، وكان عاقبة أمرهم خسراً يعني هلاك النفوس وهي رأس أموالهم أعد الله لهم في الآخرة عذاباً شديداً بعد الذي نزل بهم في الدنيا فاتقوا عذاب الله يا أولي العقول لا تسيروا بسيرهم فينزل بكم ما نزل بهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ فالذين آمنوا نعت أولي الألباب.

قال الله تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿11﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿12﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي أنزل إليكم كتاباً أتاه رسولاً ليؤديه إليكم وقيل معناه: قد أنزل الله إليكم قرآناً وأرسل رسولاً يتلو عليكم آيات الله يعني الرسول، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾. يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي وسبع أرضين أيضاً وليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي تتنزل الملائكة بالتدبير من الله تعالى ومن سماء إلى سماء ومن السماء إلى الأرض بحياة بعض وبموت بعض وغناء بعض وفقر بعض وسلامة هذا وهلاك هذا ليعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً فلا يخفى عليه شيء.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

قال أبو بكر الحداد رحمه الله:

سورة التحريم مدنية، وهي ألف وستون حرفاً، ومائتان وسبع وأربعون كلمة، واثنتا عشرة آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة التحريم أعطاه الله توبة نصوحاً**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى
بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا
بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: وذلك أن النبي ﷺ قسم الأيام بين نسائه، وكان له تسع نسوة، وكان لكل امرأة منهن يوم وليلة ثم إن حفصة زارت أباها في يوم كان ذلك اليوم لعائشة، فدخل النبي ﷺ ذلك اليوم بيت حفصة، فوجد فيه جاريته مارية فخلا بها، فلما رجعت حفصة إلى منزلها وقفت على ذلك فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت، فقالت

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف 4:133.
والثعلبي في تفسيره: خ.

للنبي ﷺ قد رأيت من كان معك في البيت، فلما رأى النبي ﷺ الغيرة والكآبة في وجهها قال: «**اكتمي عليّ ولا تخبري عائشة بذلك**» ثم قال: «**هي حرام**» يعني مارية فأخبرت حفصة عائشة وكانتا متصافيتين[1].

فنزل جبريل عليه السلام، فأخبر النبي بذلك فدعا النبي ﷺ حفصة وقال لها: «**ما الذي حملك على ذلك؟**» قالت: ومن أخبرك؟ قال: «**أخبرني العليم الخبير**» فغضب النبي عليه الصلاة والسلام على حفصة فطلقها تطليقة، واعتزل نساءه كلهن فمكث تسعاً وعشرين ليلة ينتظر ما ينزل فيهن، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[2]: ومعناها: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله تعالى لك طالباً رضى أزواجك والله غفور لما كان منك من التحريم رحيم بك حيث رخص لك الخروج منه بالكفارة، فأعتق رسول الله ﷺ رقبة وعاد إلى مارية، وروي أن حفصة رضي الله عنها استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها في يومها فأذن لها وهو جالس في بيتها فمضت فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها في بيت حفصة وكان ذلك يوم حفصة فلما رجعت حفصة وجدت باب بيتها مغلقاً فجلست على الباب حتى خرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي، فقال لها: «**ما يبكيك؟**» قالت: إنما أذنت لي بالزيارة من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي، ووقعت عليها في يومي، وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة؟ وحقاً ما قط صنعت هذا بامرأة من نسائك، فقال ﷺ: «**أليس هي جاريتي؟ فلا أحلها الله لي أسكتي فهي عليّ حرام ألتمس بذلك رضاك، ولا تخبري بذلك امرأة منهن، وهذا أمانة عندك**»، ثم خرج رسول الله ﷺ، فقامت حفصة على الجدار الذي كان بينها وبين عائشة فقالت لها: ألا أبشرك يا عائشة أن رسول الله ﷺ قد حرم جاريته مارية وقد أراح الله منها، وكانت عائشة وحفصة متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فأخبره

---

(1) القرطبي في تفسيره 18: 178ـ 179.

(2) الطبري في تفسيره 14: 200، رقم 26660 عن ابن عباس.
الواحدي في أسباب النزول: 367.
ابن كثير في تفسيره 7: 50.

بذلك، فغضب على حفصة، وقال: «**ما حملك على ذلك؟**» ثم طلقها.

وذهب بعض المفسرين إلى أن النبي ﷺ كان إذا دخل على زينب بنت جحش يشرب عندها شراب عسل تصلحه له وكان يطول مكثه عندها فاجتمعت عائشة وحفصة على أن تقولا له: إنا نجد معك رائحة المغافير. وهو صمغ متغير الرائحة يقع على الطرفاء تأكله النحل فلما صار إلى كل واحدة منهما قالت له: إني أشم معك رائحة المغافير، فحرم النبي ﷺ على نفسه شرب العسل[1] فأنزل الله تعالى هذه الآيات، والقول الأول أظهر ولا يمتنع أن الأمرين قد كانا، وإن هذا نزل فيهما قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي أوجب لكم كفارة أيمانكم ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي متولي أموركم وهو أولى من تؤثروا مرضاته وهو العليم بما فيه صلاح خلقه الحكيم في تدبيره وأمره، وإنما سميت الكفارة تحلة لأنها تجب عند انحلال اليمين قال مقاتل: معناه: قد بيّن الله لكم كفارة أيمانكم في سورة المائدة[2]، وأمر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يكفر عن يمينه، ويراجع جاريته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ يعني إسراره إلى حفصة، فلما أخبرت عائشة، وأطلع الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك. قوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان عندما رأى الكآبة والغيرة في وجه حفصة أسر إليها شيئين: تحريم الجارية القبطية على نفسه، وقال: «**أخبرك يا حفصة أن أباك وأبا بكر سيملكان أمتي بعدي**»، فلما أظهره الله عليه أخبر حفصة بما قالت لعائشة من تحريم مارية، وأعرض عن ذكر خلافة أبي بكر وعمر[3]. قرأ الحسن البصري، والكسائي وقتادة، عرف بعضه بالتخفيف[4] أي غضب على حفصة من ذلك وجازاها فطلقها من قول القائل لمن أساء إليه: لأعرفنك ما فعلت أي لأجازينك عليه، فجازاها رسول الله ﷺ بأن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9:654 رقم 4912 كتاب التفسير. ومسلم في صحيحه بشرح النووي 10 :73.

(2) قال تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ الآية: 89،

(3) الثعلبي في تفسيره: خ، والبغوي في معالم التنزيل 5:410.

(4) مكي في الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها 2:325، والقرطبي في تفسيره 18 :187.

طلقها، فلما علم عمر رضي الله عنه بذلك، قال: لو كان في آل الخطاب خير ما طلقك[1] رسول الله ﷺ.

فنزل جبريل على النبي ﷺ، فقال له: راجعها فإنها صوامّة قوّامة وهي إحدى نسائك في الجنة، فراجعها رسول الله ﷺ. وقال مقاتل: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة، وإنما همّ به فأتاه جبريل، وقال له: لا تطلقها فإنها صوامّة قوامّة، وهي من نسائك في الجنة. فلم يطلقها[2] وكان سفيان الثوري يقول: ما استقصى كريم قط، وما زال التغافل من فعل الكرام عرف رسول الله ﷺ حفصة بعض ما فعلت وأعرض عن بعض[3]، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي لما أخبرها بما أظهره الله عليه قالت: من أنبأك هذا؟ أي من أخبرك أني أفشيت سرك قال: نبأني العليم الخبير.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿4﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿5﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ معناه: يا حفصة ويا عائشة توبا إلى الله من إظهار الغيرة، وإيذاء النبي ﷺ، والتعاون عليه ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي مالت إلى الإثم، وعدلت عن الحق، وهو أنهما أحبتا ما كره النبي ﷺ من اجتناب جاريته، وأن يظاهرا عليه أي تعاونتا عليه، بالإيذاء، وإظهار الغيرة عليه وإيحاشه فإن الله هو مولاه أي متولي حفظه، ونصره، ودفع الأذية عنه، وجبريل وليه، وصالح المؤمنين، أبو بكر وعمر يتوليانه، وينصرانه على من عاداه والملائكة بعد ذلك أنصاره وأعوانه، وعن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت عليه، وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله

(1) البغوي نفسه.
(2) القرطبي في تفسيره 18: 188.
(3) البغوي في معالم التنزيل 5: 411.

معك، وملائكته، وجبريل، وميكائيل، وأنا، وأبو بكر، والمؤمنون معك، وقل ما تكلمت، وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، ونـزلـت هـذه الآيـة ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1] رواه مسلم في صحيحه.

وعن ابن عباس قال: سألت عمر رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ قال: عائشة وحفصة، رواه البخاري[2] في صحيحه، ثم أخذ عمر رضي الله عنه يسوق الحديث قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم النساء فطفقن نساءنا يتعلمن من نسائهم، قال فغضبت على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: وما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: أفتأمن إحداكن أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله ﷺ شيئاً وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ يعني عائشة رضي الله عنها. قرأ أهل الكوفة ﴿تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد[3] قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ هـذا إبـعـاد وتـخـويـف لـحـفـصـة وعائشة، وسائر أزواج النبي ﷺ، وعدة للنبي ﷺ يخيره منهن إن أحوجنه إلى مفارقتهن، وعسى من الله واجب قوله تعالى: ﴿مُسۡلِمَٰتٍ﴾ نعت للأزواج التي كان يبدله لو طلقهن ومعنى مسلمات أي خاضعات لله بالطاعة مسلمات لأمر الله وقضائه، مؤمنات أي مصدقات بتوحيد الله بالألسن والقلوب قانتات أي طائعات لله وللنبي ﷺ، تائبات أي راجعات إلى ما يحبه الله، عابدات لله متذللات لله

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 10: 83ـ 84.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9: 657، رقم 4914 كتاب التفسير.

(3) النحاس في إعراب القرآن 4: 461.

إعراب القراءات السبع وعللها 2: 376.

ولرسوله سائحات أي صائمات ثيبات وأبكاراً، ظاهر المراد.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝6 يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝7 يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝8﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ معناه: يا أيها الذين آمنوا ادفعوا عن أنفسكم وأهليكم ناراً حطبها الناس والحجارة يعني حجارة الكبريت، والمعنى: اعملوا بطاعة الله وانتهوا عن معاصيه، وعلموا أولادكم وأهليكم الاجتناب عن ما يجب لهم به النار، وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلنا؟ قال: «**تنهونهم عما نهاكم الله عنه، وتأمرونهم بما أمركم الله به**»[1]. قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ أي على النار ملائكة غلاظ الأخلاق شداد أقوياء في الأخذ والعقوبة يدفع الواحد منهم في الدفعة الواحدة سبعين ألفاً في جهنم لم يخلق الله فيهم شيئاً من الرحمة ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ من تعذيب أهلها ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ من ذلك جعل الله سرورهم في تعذيب المعذبين كما جعل سرور المؤمنين في الجنة، وجاء في الخبر أن الملك منهم يكسر عظام المعذب فيقول له ألا ترحمني؟ فيقول كيف أرحمك وأرحم الراحمين لم يرحمك. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ أي لا تعتذروا اليوم فيما قدمتم لأنفسكم فإنه لا يقبل منكم الأعذار ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ في الدنيا ولا تظلمون بزيادة على ما تستحقون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ قال ابن عباس التوبة النصوح: هي الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن،

(1) القرطبي في تفسيره 18: 195.

والإضمار على أن لا يعود، وعن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله ما التوبة النصوح؟ قال: «**أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذلك كما لا يعود اللبن في الضرع**»، قال ابن مسعود التوبة النصوح: أن يكفر كل سيئة، وقال ابن زيد النصوح الصادقة: أي توبوا توبة صادقة يقال نصحته أي صدقته، وقيل النصوح: المستقيمة المتقنة التي لا يلحقها النقص والإبطال. وقال الفضيل: التوبة النصوح: أن يكون الذنب نصب عينيه، ولا يزال كأنه ينظر إليه. وقال أبو بكر الوراق: هي أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك كتوبة الثلاثة الذين خلفوا[1]، وقال الدقاق: هي ردّ المظالم، واستحلال الخصوم، وإدمان الطاعات، وقال ذو النون: علامتها ثلاثة أشياء: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، وقال بعضهم: هي أن يكون لصاحبها دمع مسفوح، وقلب عن المعاصي جموح. فإذا كان كذلك فهي توبة نصوح[2]، وقال فتح الموصلي: علامتها ثلاث: مخالفة الهوى، وكثرة البكاء، ومكابدة الجوع والظمأ، وقال شقيق: هي أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة، ولا يقلع من الندامة، وقال الجنيد: هي أن ينسى ما سوى الله، ولا يذكر إلا الله[3]. قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ هذا وعد من الله لأن عسى من الله واجبة، والصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي يكرم الله التائبين بهذه الكرامة في الجنات يوم لا يسوء الله النبي ولا يخجله في أمته، ولا يسوء الذين آمنوا معه، والمعنى: لا يدخلهم الله النار. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ دليلاً لهم إلى الجنة وبإيمانهم، يعني نور كتبهم التي يعطونها ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ أي يقولون ذلك بعدما ذهب نور المنافقين،

---

(1) عن غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك، مرارة بن ربيعة العامري، هلال بن أمية الواقفي: السيرة النبوية 4: 531.

(2) نسب القرطبي هذا القول إلى ذي الأذنين. قال محققه «أحمد عبد العليم البردوني»: لقب «أنس بن مالك» رضي الله عنه، قال له النبي ﷺ ذلك، قيل معناه الحض على حسن الاستماع والوعي، وقيل: هذا من جملة مزحه صلوات الله وسلامه عليه.

(3) تراجع هذه الأقوال: في تفسير القرطبي 18: 197، وتفسير البغوي 5: 416، وتفسير الطبري 14: 213.

والمعنى: أتمم لنا نورنا على الصراط إلى أن ندخل الجنة، واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا إنك على كل شيء قدير من إتمام النور والمغفرة فيجيب الله دعاءهم ويفعل ذلك لهم فيكون الصراط على المؤمنين كما بين صنعاء إلى الجند يمشي عليه بعضهم مثل البرق، وبعضهم مثل الريح، وبعضهم كعدو الفرس وبعضهم كعدو الرجل، وبعضهم يمشي، وبعضهم يزحف، ويكون على الكافر كحد السيف مدحضه.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿9﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿10﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿11﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿12﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان بالزجر والوعيد حتى يسلموا، وسماهما جهاداً اشتراكهما في بذل الجهد. واغلظ على الفريقين بالفعل والقول، وبيّن أن مصيرهم في الآخرة إلى النار قال الحسن أكثر من كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر أن يغلظ عليهم في إقامة الحدود[1]، وعن ابن مسعود أنه قال: إذا لم تقدروا أن تنكروا على الفاجر فألقوه بوجوه مكفهرة، قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ فخالفتاهما في الدين قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وأما خيانة امرأة نوح فإنها قالت لقومه: إنه مجنون فلا تصدقوه.

وأما خيانة امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه، وكان إذا نزل بلوط ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار أدخنت ليعلم قومه أنه قد نزل

(1) القرطبي في تفسيره 18: 201.

به ضيف[1]. وقال الكلبي: أسرتا النفاق، وأظهرتا الإيمان لأن الخيانة في الفراش لا يجوز أن تكون امرأة مرادة في هذه الآية لأنها عيب يرجع إلى الزوج ينفر الناس عنه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي لم يدفعا عنهما عذاب الله أعلم الله تعالى أن أحداً لا يجزي عن أحد شيئاً، وأن الإنسان لا ينجو إلا بعمله، وقطع الله بهذه الآية طمع من ذكر المعصية ورجى أن ينفعه صلاح غيره وأخبر الله تعالى أن معصية الغير لا تضره إذا كان مطيعاً وهو قوله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ وهي آسية بنت مزاحم كانت قد آمنت بموسى عليه السلام فلما علم فرعون بإسلامها وتد لها أربعة أوتاد من بدنها ورجليها ومدها للعذاب وشدها على الأرض بالأوتاد وألقى على صدرها صخرة عظيمة وألقاها في الشمس فكانت الملائكة تظلها بأجنحتها، وأبصرت الجنة وهي كذلك فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فاستجاب الله دعاءها وألحقها بالشهداء، ولم تجد ألماً من عذاب فرعون لأنها قالت ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ ودينه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين أي أهل دين فرعون وليس في هذه الآية أن فرعون قتلها أم لا؟ وقد اختلفوا في ذلك، والأقرب أنه أجاب الله دعاءها فنجاها من فرعون وقومه وفي قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ تخويف لحفصة وعائشة كأنه قال لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة نوح ولوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم، وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عطفت مريم على امرأة فرعون، وإحصان الفرج إعفافه وحفظه عن الحرام وقوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي في جنب درعها وذلك أن جبريل عليه السلام مد جيب درعها بإصبعه ثم نفخ في جيبه فحملت والكناية عن غير مذكور، وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ والشرائع التي شرعها الله في كتبه المنزلة، وقرأ عيسى المجدري والحسن بكلمة

---

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 417.

ربها على التوحيد يعنون عيسى[1] عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ أي وصدقت بكتب الله وهي التوراة والإنجيل والفرقان، وصحف إبراهيم وموسى وداود، قرأ أبو عمرو ويعقوب وكتبه بالجمع وتفسيره ما ذكرنا، وقرأ الباقون، وكتابه على الواحد والمراد به الإنجيل[2] قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي من المطيعين لله، وقال عطاء من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء وتقديره: وكانت من القانتين ولم يقل من القانتات لأن متعبدها كان في المسجد مع العبَّاد، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[3].

وقال ﷺ: «**سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم، وآسية وخديجة وفاطمة**»[4]، وعن معاذ بن جبل قال: دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي تجود بنفسها، فقال: «**الكره ما نزل بك يا خديجة، وقد جعل الله في الكره خيراً كثيراً فإذا قدمت على ضراتك فاقرئيهن مني السلام**» قالت: يا رسول الله ومن هن؟ قال: «**مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكليمة أخت موسى**» فقالت: بالرفاء والبنين[5].

---

(1) الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» خ.
(2) مكي في الكشف عن وجوه القراءات 2: 326.
ابن الجزري النشر في القراءات العشر 2: 389
(3) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 7: 478، رقم 3769، باب فضل عائشة رضي الله عنها.
ومسلم في صحيحه بشرح النووي 15: 198.
باب فضائل خديجة رضي الله عنها.
(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 1: 293.
والحاكم في المستدرك 2: 497.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 9: 223. في النسخة: ك، عائشة بدلاً من فاطمة.
(5) الثعلبي في تفسيره: خ.

سُورَةُ المُلكِ

سورة الملك مكية وهي ألف وثلاثمائة حرف، وثلاثمائة وثلاثون كلمة، وثلاثون آية قال ﷺ: «**من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر، وقال إنها تجادل عن صاحبها يوم القيامة**»[1] وقال ﷺ: «**وددت أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن**»[2]، وعن ابن مسعود أنه قال: إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه، فيقال ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقوم بسورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه، فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ سورة الملك، ثم قال: هي المانعة من عذاب الله[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿1﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿2﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿3﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿4﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أي تعالى باستحقاق

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 140.

(2) ذكره الثعلبي نفسه.

(3) في المجمع 7: 127.

التعظيم الذي بيده إعطاء الملك وحده يؤتي الملك من يشاء فيعزه، وينزعه ممن يشاء فيذله وهو على كل شيء قدير من الإعزاز والإذلال.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ معناه: الذي قدر الإماتة والإحياء ليبلوكم فيما بين الإحياء والإماتة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اللام في ليبلوكم متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت لأن الابتلاء في الحياة، ومعنى ليبلوكم أي ليعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم على ما ظهر منكم لا على ما يعلم منكم ومعنى أيكم أحسن عملاً أيكم أحسن عقلاً، وأروع عن محارم الله قال ﷺ: «**أتمكم عقلاً وأشدكم خوفاً لله، وأحسنكم نظراً فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه**»(1)، وقال الحسن معناه: ليبلوكم أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها، وارتفع أيكم على الابتداء لأنه بتأويل ألف الاستفهام ولا يعمل فيها ما قبلها تقديره: ليبلوكم أنتم أحسن عملاً أم غيركم(2)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ أي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن بها الغفور لمن تاب وآمن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي مطبقة بعضها فوق بعض مثل القبة ما ترى أيها الرائي في مخلوقات الرحمن من تفاوت أي لا ترى بعضها حكمة وبعضها عبثاً ولا ترى في السماء اضطراراً وتبايناً في الخلقة وقال مقاتل: ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب، وقال قتادة: ما ترى فيها ظلالاً ولا اختلافاً فارجع البصر هل ترى من فطور أي كرر النظر هل ترى في السماء من شقوق أو صدوع أو خروق(3) ثم ارجع البصر كرتين، أي إن لم تستدرك بالمرة الأولى، فردّ البصر مرة أخرى مستقصياً وردد البصر مرة أخرى من بعد مرة ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي صاغراً بمنزلة الخاسىء وهو الذليل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل منقطع قد أعيا بمنزلة الحسير الذي طلب شيئاً فلم يزده كما يحسر البعير.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿5﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿6﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا

(1) الثعلبي في تفسيره، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، خ.
(2) حاشية الجمل على الجلالين 4: 374.
(3) الطبري في تفسيره 14: 230.

سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (10) فَٱعْتَرَفُواْ
بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (11) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ (12)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ هي الأدنى إلينا، وهي التي يراها الناس والمصابيح: النجوم واحدها مصباح سميت بذلك لأنها تضيء كما تضيء المصابيح ومن ذلك الصبح والمصباح هو السراج والنجوم الثلاث خصال زينة، وعلامات يهتدى بها، ورجوم لمن استرق السمع من الشياطين، واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير مع ما جعلنا لهم في الدنيا من الرمي بالشهب قوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (6)﴾ ظاهر المعنى ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ أي صوتاً فظيعاً كصوت الحمار وهو آخر ما يشهق تنفس شديد، وهو أقبح الأصوات وإذا اشتد لهب النار سمع لها ذلك الصوت الشديد كأنها تطلب الوقود وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي تغلي بهم كغلي المرجل، وقال مجاهد: تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل[1]، والفور: ارتفاع الشيء بالغليان قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي تكاد تشقق وتنقطع من تغيظها على أهلها ليأخذهم المعنى: تكاد النار تتفرق بعضها من بعض غضباً على الكفار وانتقاماً لله عز وجل منهم ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ من الكفار أي جماعة سألهم خزنة النار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول منذر لكم وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ مما تقول وقلنا للرسل ما أنتم إلا في ضلال كبير أي خطأ عظيم وقيل بأن قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ من قول الزبانية للكفار أي ما كنتم في الدنيا إلا في ضلال عظيم، وقال أهل النار معترفين بجهلهم ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي لو كنا نسمع الهدى من الرسل سماع من يتفكر ويعقل عنهم عقل من يميز ما كنا من أصحاب السعير فاعترفوا

---

(1) القرطبي في تفسيره 18: 212.

بذنبهم أي أقروا بذلك ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي أسحقهم الله سحقاً أي باعدهم من رحمته، والسحيق البعيد، والمعنى: فبعداً لأصحاب النار من الله تعالى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿12﴾﴾ معناه: إن الذين يعملون لربهم ويتقون معاصيه في أسرارهم ويخافونه ولم يرونه لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم في الجنة والخشية من الغيب أدل على الإخلاص وأبعد من النفاق.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿13﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿14﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿15﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿16﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿17﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿18﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿13﴾﴾ هذا تحذير للكفار عن الإقدام على المعاصي يقول إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد ﷺ، أو جهرتم به فإنه عليم بما في القلوب من الخير والشر قال ابن عباس: كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل، فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ الأشياء ما في الصدور وقيل معناه: ألا يعلم الله مخلوقاته، وقيل ألا يعلم سر العبد من خلقه وهو اللطيف الخبير أي لطيف علمه بالأشياء حتى لا يخفى عليه غوامض الأمور الخبير بمصالح عباده قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي سهلاً يتصرفون فيها فلا تضطرب بكم ولا تمتنع عليكم يقال: دابة ذلول إذا كانت سهلة الركوب والنزول لا تمتنع على صاحبها فيما يريدها وقوله تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي في أطرافها وطرقها، وقيل في جبالها وآكامها وجوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ أي وكلوا من نباتها الذي جعله الله رزقاً لكم في الأرض وإليه النشور أي وإلى الله المرجع في الآخرة للحساب والجزاء

(1) أسباب النزول للواحدي: 370، بلفظه تقريباً.

والنشور: هو البعث من القبور قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ معناه: ءآمنتم يا أهل مكة من في السماء سلطانه وقدرته وملكه أن يغيبكم في الأرض جزاء على قبح فعلكم، وقيل معناه: ءآمنتم عقوبة من في السماء أو عذاب من في السماء وقيل معناه: ءآمنتم ممن جرت عادته أن ينزل نقماته من السماء على من يكفر به ويعصيه[1].

وقيل معناه: ءآمنتم من في السماء وهو الملك الموكل بالعذاب يعني جبريل أن يخسف بكم الأرض بأمر الله تعالى فإذا هي تمور أي تضطرب وتتحرك والمعنى: إن الله يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها والأرض تمور فوقهم فتقلبهم إلى أسفل والمور هو التردد في الذهاب والمجيء لأنه إذا خسف بقوم دارت الأرض فهوت بهم كما يدور الماء بمن يغرقه قوله تعالى: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ كما أرسل على قوم لوط والحاصب: الريح التي ترمي الحصى لا دافع لها فستعلمون في الآخرة كيف نذير أي إنذاري إذا عاينتم العذاب ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾ معناه: ولقد كذب الذين من قبل أهل مكة كفار الأمم الماضية فكيف كان إنكاري عليهم العذاب.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ﴾ معناه: أو لم ينظروا إلى الطير فوق رؤوسهم باسطات أجنحتها تارة وقابضاتها أخرى معناه: صافات أجنحتها وتقبض أجنحتها بعد البسط وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط، قوله تعالى: ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ أي ما يمسكهن ويحفظهن في الهوى في الحالين في حال الصف والقبض إلا الرحمن وفي هذا أكبر آية دالة

(1) القرطبي في تفسيره 18: 213.

على قدرة الله تعالى إذ أمسكها في الهوى على ثقلها وضخم أبدانها فمن قدر على إمساك الطير في الهوى قدر على إرسال الحاصب من السماء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ أي عالم كما يقال: فلان بصير بالنحو والقرآن أي عالم بهما.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فيه تنبيه على أنه إن أراد الله تعذيبهم ليس لهم منعه ولا أحد يصرف عنهم العذاب ولفظ الجند موحد وهذا استفهام إنكاري لا جند لكم ينصركم، ويمنعكم من عذاب الله تعالى قال ابن عباس معناه ينصركم متى إن أردت عذابكم[1] وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ أي في غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ معناه: أهل يقدر أحد من معبودكم أن يوصل إليكم أرزاقكم إن حبس الله المطر والنبات عنكم بل لج الكافرون في عتو ونفور أي في مجاوزة الحد في الطغيان والتباعد عن سماع الحق وقبوله ليسوا يعتبرون ولا يتفكرون لجوّا في طغيانهم وتماديهم وتباعدهم عن الإيمان قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿22﴾﴾ معناه: أفمن يمشي ناكساً رأسه على وجهه لا يرى ما يصدمه أو يهجم عليه من حفرة أو بئر في طريقه فلا ينظر يميناً ولا شمالاً يمشي مشي العميان وهو مثل الكافر يقول: أهو أصوب طريقاً أو المؤمن الذي يمشي مستوياً على صراط مستقيم يعني الإسلام، وإنما شبه الكافر بالمكب على وجهه لأنه ضال أعمى القلب عن الهدى، وقال قتادة: هذا في الآخرة معناه: أفمن يمشي مكباً على النار يوم القيامة أهدى أم من يمشي مستوياً[2] على طريق الجنة كما قال تعالى في الكفار، ويحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿23﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿24﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 422.
(2) القرطبي في تفسيره 18: 219.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿25﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿26﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿27﴾».

قوله تعالى: «قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿23﴾» أي قل لهم يا محمد هو الذي خلقكم وخلق لكم السمع فاستمعوا إلى الخلق والأبصار فابصروا بها الحق، والأفئدة فاعقلوا بها الحق قليلاً ما تشكرون نعم الله عليكم قوله تعالى: «قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ» أي هو الذي خلقكم صغاراً ورباكم إلى أن صيركم كباراً «وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أي تجمعون في الآخرة فيجزيكم، وتقولون متى هذا الحشر الذي تعدنا به «إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» أن يكون ذلك قل إنما العلم بوقت الحشر عند الله «وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» أي مخوف لكم بلغة تعرفونها. قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟» معناه: فلما رأوا العذاب قريباً تبين السوء في وجوههم وساءهم ذلك، وقيل احترقت وجوه الذين كفروا فاسودت وعليها الكآبة والقترة، وقيل معنى سيئت: فتحت وجوههم بالسواد وقيل لهم هذا العذاب الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب إنكم إذ متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم لا تبعثون، وقرأ الضحاك وقتادة ويعقوب تدعون مخففاً[1] أي تدعون الله أن يأتيكم به من الدعاء وهو قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية.

قال الله تعالى: «قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿28﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿29﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿30﴾».

قوله تعالى: «قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿28﴾» وذلك أن الكفار كانوا يتمنون موت رسول الله ﷺ، وموت أصحابه فقيل لهم: أرأيتم إن أصبتم مناكم فينا بإهلاك فمن يجيركم من العذاب الذي لا بد نازل بكم أتظنون أن الأصنام أو غيرها تجيركم، فإذا علمتم أن لا

(1) ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» 16: 71.
ابن الجزري: النشر في القراءات العشر 2: 389.

مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو الإيمان بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي هو الرحمن الذي نعبده ونفوض إليه أمورنا فستعلمون في الآخرة من هو في ضلال مبين نحن أو أنتم، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي غائراً في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء فمن يأتيكم بماء ظاهر من العيون إلا الله الذي به تشركون فإذا لم تقدروا أنتم ولا آلهتكم على أن تجعلوا الماء الغائر في الأرض ظاهراً فكيف تقدرون على أن تدفعوا عذاب الله عن أنفسكم إذا نزل بكم وكيف يقدر على ذلك من اتخذتموه إلٰهاً من دون الله، ويحكى أن متهماً في دينه سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ (30)﴾ قال السامع: الفأس، والمعول فنام من ليلته فأصبح ماء عينيه ذاهباً وبقي أعمى إلى أن مات[1] والعياذ بالله من الخذلان.

---

(1) تفسير الكشاف 4: 140.

سُورَةُ القَلَمِ

سورة ن والقلم مكية، وهي ألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً، وثلاثمائة كلمة، واثنتان وخمسون آية، قال ﷺ: **«من قرأ سورة ن والقلم أعطاه الله ثواب الذين حسنت أخلاقهم»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ⦗1⦘ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ⦗2⦘ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ⦗3⦘ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ⦗4⦘ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ⦗5⦘ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ⦗6⦘ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ⦗7⦘ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ⦗8⦘﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس معنى قوله: نون: الحوت الذي على ظهره الأرض، واسمه: لوثيا، وذلك أنه لما خلق الله الأرض، وفتقها بعث الله ملكاً من تحت العرش، فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه إحدى يديه بالمشرق، والأخرى بالمغرب[2] فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن، وأربعون ألف قائمة.

وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه، فخلق الله ياقوتة خضراء

---

(1) الزمخشري في تفسيره 4: 148، والثعلبي في الكشف والبيان: خ.

(2) البغوي في معالم التنزيل 5: 424، بنصه تقريباً.

غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور وأذنيه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مدَّ البحر فإذا ردِّ نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله صخرة خضراء كغلظ سبع سموات، وسبع أرضين، فاستقرّت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾[1] فلم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله نوناً وهو الحوت العظيم فجعل الصخرة على ظهره، وسائر جسده خال والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة، وقال بعضهم هو اسم الثور وقيل هو أحد حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس أن نوناً حرف من حروف الرحمن، وقال قتادة والضحاك النون هي الدواة، وقال بعضهم هو لوح من نور، وقال عطاء هو مفتاح اسم الله تعالى: نور وناصر، واختلف القراء فيه فقرأه بعضهم بإظهار النون، وقرأه بعضهم بإخفائها، وقرأ ابن عباس بالكسر على إظهار حرف القسم، وقرأ عيسى بن عمر بالفتح[2] على إضمار فعل قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال المفسرون هو القلم الذي كتب به في اللوح المحفوظ قال ابن عباس: إن أول ما خلق الله القلم، فقيل له اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض، وقيل لما خلق الله القلم نظر إليه فانشق نصفين ثم قال له أجر، فقال: يا رب بما أجري، قال: بما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ بذلك[3]، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل، أو رزق، أو أجل فكتب ما كان وما يكون**»[4] من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يعني وما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم وجواب القسم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وهو جواب لقولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ فأقسم الله تعالى بالنون والقلم، وبأعمال بني آدم فقال يا محمد ﴿مَآ أَنتَ

(1) سورة لقمان: 31، الآية: 16.

(2) الكشف عن وجوه القراءات 2: 331، وابن خالويه: إعراب القراءات وعللها 2: 381، والثعلبي في تفسيره: خ.

(3) البغوي في معالم التنزيل 5: 525.

(4) الطبري في تفسيره 14: 19 رقم 26764.

بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ أي ما أنت بإنعامه عليك بالنبوة والإيمان بمجنون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ معناه: وإن لك أجراً بصبرك على افترائهم عليك، ونسبتهم إياك إلى الجنون غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ أي على دين عظيم لم أخلق ديناً أحب إليّ ولا أرضى عندي منه يعني الإسلام، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني القرآن والمراد آداب القرآن كما أمر الله به نبيه عليه السلام، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت للسائل: اقرأ العشر التي في أول سورة المؤمنين، فقرأها فقالت تلك خلقه، وقيل لما سئلت عائشة عن خلقه قالت: كان خلقه القرآن يسخط لسخطه ويرضى لرضاه[1]، ويقال إن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي ﷺ بقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾[2] قال أتيتك يا محمد بمكارم الأخلاق، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت ليتم بي مكارم الأخلاق**[3] **وأدبني ربي فأحسن تأديبي**»، ويقال إنه ﷺ احتمل لله في البلاء إلى أن قال حين شج في وجهه: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ قال الجنيد سمى خلقه عظيماً لأنه لم يكن له هم سوى الله تعالى، وقيل إنه ﷺ عاشرهم بخلقه، وزايلهم بقلبه كان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق، وقيل سمى خلقه عظيماً لاحتمال مكارم الأخلاق فيه، وقالت عائشة: إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة قائم الليل، صائم النهار[4]، وقال ﷺ: «**ما شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**»، وقال ﷺ: «**إنَّ أحبّكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إليّ المشّاءون بالنميمة الموقعون بين الإخوان، الملتمسون للعثرات**»[5].

---

(1) أخرجه البيهقي في الشعب 2: 153ـ 154، أرقام 1426، 1427، 1428.

(2) سورة الأعراف: 7، الآية: 199.

(3) أخرجه البيهقي في الشعب 6: 230، رقم 7977، باب في حسن الخلق.

(4) أخرجه أبو داود في سننه 4: 253 رقم 4798، باب في حسن الخلق.

(5) أخرجه زكي الدين المنذري في الترغيب والترهيب 3: 260 رقم: 18. الترغيب في الخلق الحسن وفضله.

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ أي سيعلم ويعلمون يعني أهل مكة وهذا وعيد لأهل مكة بالعذاب ببدر يعني سنرى ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ببدر ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ الباء زائدة والمعنى: أيكم المجنون، والذي فتن بالجنون أنت أم هم يعني أنهم يعلمون عند العذاب أن الجنون كان بهم حين عبدوا الأصنام، وتركوا دينك[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ معناه: إن ربك يا محمد أعلم بمن سبق له الشقاء في علمه، وهو أعلم بمن سبقت له السعادة في علمه ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالكتب والرسل وهم رؤوس الكفار الذين كانوا يدعونه إلى دين آبائه.

قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ (11) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (13) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (16) إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ معناه: تمنى الكفار يا محمد أن تصانعهم فيصانعوك، وتلاينهم فيلاينوك مأخوذ من الدهن ومعناه: إظهار القول باللسان بخلاف ما في القلب كأنه شبه التليين في القول بتليين الدهن، وقال مجاهد معناه: ودوا لو تركن إليهم، وتترك ما أنت عليه من الحق فيمالئونك.

وقال الضحاك معناه: ودوا لو تكفر فيكفرون، وقال زيد بن أسلم ودوا لو تنافق وترائي فينافقون قال ابن قتيبة: كانوا أرادوا أن يعبد آلهتهم مدّة ويعبدون الله مدة[2] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ هذا تحذير للنبي ﷺ عن الركون إليهم، والحلاَّف كثير الحلف بالباطل والمهين فعيل من المهانة وهي الحقارة والضعف في الرأي والتميز قيل: إن المراد به «الوليد بن المغيرة المخزومي» كان قد عرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه، وسمي مهيناً لاختياره الكذب والحلف على الصدق ثم كانت الآية عامة في كل من كان على طريقته وقيل

(1) نسب البغوي في معالم التنزيل 5: 429، هذا القول إلى «قتادة».
(2) تراجع هذه الأقوال في تفسير القرطبي 18: 230.

المراد به «الأسود بن عبد يغوث» وقيل: «الأخنس بن شريق».

قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ⑪﴾ الهماز المغياب الطعّان للناس مشاء بنميم أي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، وقيل الهمَّاز الوقَّاع في الناس العائب لهم بما ليس فيهم، والنمام بمعنى القتات قال ﷺ: «**لا يدخل الجنّة قتات**»[1] قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي كثير المنع للخير، وكان الوليد بهذه الصفة كان يمنع الناس من اتباع النبي ﷺ، وكان يمنع أهله وولده ولحمته عن الإسلام، ويقال: المناع للخير البخيل الذي هو كثير المنع للحقوق الواجبة في المال.

قوله تعالى: ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ المعتدي: هو الغشوم الظلوم على عباد الله، والأثيم: الكذاب الذي هو كثير الإثم. قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ⑬﴾ العتل: شديد الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد الخلق أكول شروب رحيب البطن صحيح الجسم يملأ بطنه، ويجيع عبده ويمنع رفده مأخوذ من العتل وهو الشدة في السحت ويقال العتل شديد الخَلْق وفاحش الخُلُق وقيل هو الجافي القاسي اللئيم العسر الضجر، وقال الكلبي: هو الشديد في كفره قوله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ أي مع ما وصفناه به زنيم وقيل معناه: عتل مع ذلك زنيم والزنيم: الملصق في القوم وليس منهم، والزنيم: هو الدعي قال الشاعر:

زَنِـيـمٌ لـيـس يُـعْـرَفُ مَـن أبـوه ∴ بَـغِـيُّ الأمِّ ذُو حَـسَـبٍ لَـئِـيـمٍ[2]

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها.

قال ابن عباس يعني قوله: زنيم أي هو مع كفره دعي في قريش وليس منهم قيل: ما ادعاه أبوه إلاّ بعد ثماني عشرة سنة، وقال علي بن أبي طالب الزنيم: الذي لا أصل له، قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله تعالى وصف أحداً ولا

---

(1) أخرجه البيهقي في الشعب 7: 493، رقم 11102.

(2) البيت لم أجده منسوباً، وقد استشهد به الطبري، والقرطبي من غير نسبة.

بلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب «الوليد بن المغيرة» لأنه وصفه بالحلف والمهانة، والغيب للناس، والمشي بالنمائم والنحل والظلم والإثم والجفاء والدعوة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة[1]، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري، ولا العتل الزنيم**»[2]، فقيل يا رسول ما الجواظ؟ قال: «**الذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة للشوى**»، قيل ما الجعظري؟ قال: «**الفظ الغليظ**»، قيل ما العتل الزنيم؟ قال: «**الشديد الخلق الرحيب البطن الظلوم للناس**».

وقال ﷺ: «**تبكي السماء من رجل أصح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه الدنيا فكان للناس ظلوماً فذلك العتل الزنيم**»، قال: «**وتبكي السماء من الشيخ الزاني ما تكاد الأرض تقله**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده ولا ولد ولده، وإن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير**» وقال ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله بعقاب**»[3]، وقال عكرمة: إذا كثر أولاد الزنا قل المطر.

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿14﴾﴾ معناه: لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين أي لا لماله وبنيه، وكان ماله نحواً من سبعة آلاف مثقال من فضة، وكان له بنون عشرة وكان يقول لهم: من أسلم منكم فلا يدخلن داري، ولا أنفعه بشيء أبداً، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ بالمد، وقرأ حمزة وعاصم: أَأَن كان بهمزتين وقرأ غيرهم على الجر فمن قرأ بالاستفهام فمعناه ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز أن يكون راجعاً إلى ما بعده والمعنى: ألأجل أن صار ذا مال[4] وبنين. قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ وهو القرآن أبى أن

---

(1) تراجع هذه الأقوال في معالم التنزيل 5: 430.
(2) أخرجه البيهقي في الشعب 6: 285 رقم 8173.
وأبو داود في سننه 4: 254، رقم 4801.
(3) أخرجه زكي الدين المنذري في الترغيب والترهيب 2: 194، رقم 24.
(4) الكشف عن وجوه القراءات 2: 331.

يقبلها، وقال: هذا أساطير الأولين، أي ما كتبه الأولون من أحاديثهم فدرسه محمد وأصحابه قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أي سنسمه بالسواد على الأنف، وذلك أنه يسود وجهه قبل دخول النار.

والمعنى: سنعلمه بعلامة يعرفه بها جميع أهل القيامة، ويقال سنسمه بسيما لا تفارقه آخر الدهر أي يخلق به عاراً يبقى ذلك عليه أبداً كما تعرف الشاة أبداً بسيمتها. والخرطوم: الأنف، وقال الضحاك: سنكتبه على وجهه قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ معناه: إنا امتحنّا أهل مكة بالجوع والقحط، والقتل والسبي والهزيمة يوم بدر كما امتحنا أهل البستان، وأراد به بستاناً كان باليمن كان يعرف بالضروان دون صنعاء بفرسخين كان يطأه أهل الطريق قد غرسه قوم بعد عيسى عليه السلام، وهم قوم من ثقيف، وقيل من بني إسرائيل وكانوا مسلمين باليمن، ورثوا هذا البستان من أبيهم، وفيه زرع ونخل، وكان أبوهم يجعل مما فيه حظاً للمساكين عند الحصاد والصرام[1].

فلما مات أبوهم ورثوه وكانوا ثلاثة قالوا: إن المال قليل والعيال كثير ولا يسعنا أن نفعل ما كان يفعل أبونا، وإنما كان أبونا يفعل ذلك لأن المال كان كثيراً والعيال قليلاً فعزموا على حرمان المساكين فتحالفوا بينهم يوماً ليغدوا غدوة قبل خروج الناس ليقطعن ثمر نخلهم إذا أصبحوا بسدفة[2] من الليل من غير أن يشعر بهم المساكين ولا يستثنون أي لا يقولون: إن شاء الله وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي ليقطعن ثمرها مصبحين أن عند طلوع الفجر قبل أن يخرج المساكين إليه ولا يستثنون أي لم يقولوا إن شاء الله وروي أن أباهم كان يأخذ من هذا البستان قوت سنة لنفسه وكان يتصدق بما بقي على المساكين، وقيل إنه كان يترك لهم ما خرج عن البساط الذي كان يبسط تحت النخل إذا صرمت فقال بنوه بعد موته نحن جماعة وإن فعلنا ما كان يفعله أبونا ضاق عيشنا

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 432.
(2) السدفة من الليل أي الظلمة، اللسان: سدف.

فحلفوا ليصرمنها مصبحين لئلا يصل إلى المساكين منها شيء ولا يستثنون وإنما شبه اختيار أهل البستان باختيار أبي جهل أن أبا جهل كان قال يوم بدر قبل التقاء الفئتين والله لنأخذنهم أخذاً ولم يستثن فقال ﷺ حين بلغه الخبر: «**اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف**»[1]، وكان هذا الدعاء بعد وقوع الهزيمة على الكفار فابتلاهم الله بالجوع والقحط سبع سنين حتى أكلوا العظام المحرقة.

قال الله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿19﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿20﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿21﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿22﴾ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿23﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿24﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿25﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿26﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿27﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿28﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿29﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿30﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿31﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿32﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿33﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿19﴾﴾ وذلك أنهم لما تحالفوا تلك الليلة على أن يصرمونها مصبحين سلط الله على بستانهم بالليل ناراً فأحرقته ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ ولا يكون الطائف إلا بالليل ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿20﴾﴾ أي كالليل المظلم سوداً محرّقة، والصريمان: الليل والنهار لا يصرم أحدهما من الآخر، وقيل سمي الليل صريماً لأنه يقطع بظلمته عن التصرف في الأمور قوله تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي أصبحوا عند طلوع الفجر ينادي بعضهم بعضاً أن أغدوا على بستانكم وزروعكم إن كنتم قاطعين للثمار والأعناب والزروع قبل أن يعلم المساكين بنا.

قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي فتنادوا مصبحين وخرجوا مسرعين وهم يتخافتون أي يسرون الكلام فيما بينهم ويتشاورون فيما بينهم وأن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، شحا فيما منهم على

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9:92 رقم 4560 كتاب التفسير، ومسلم في صحيحه بشرح النووي 5:176، باب استحباب القنوت في الصلاة.

الثمرة أن لا يطعمها أحد من المحتاجين والمعنى أنهم كانوا يتشاورون يقول بعضهم لبعض لا يدخلها اليوم عليكم مسكين، والتخافت: هو إخفاء الحركة، والخفوت: السكون قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ أي غدوا على قصد منع الفقراء قادرين في زعمهم على إحراد ما في جنتهم من الثمار دون الفقراء وهم لا يعلمون أنها قد احترقت ليلاً وهم نائمون[1]، وقيل إن الحرد هو المنع والغضب والحنق على المساكين، وقيل الحرد هو الحد، وقيل الغيظ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ معناه: فلما رأوا جنتهم عند الصباح سوداء محترقة قالوا إنا قد ضللنا الطريق وليست هذه جنتنا فلما أمعنوا النظر عرفوها فعلموا أنها عقوبة فقالوا: بل نحن محرومون أي حرمنا ثمرة جنتنا بمنعنا المساكين وما أخطأنا الطريق إليها قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي قال أعدلهم وأفضلهم، وقيل أوسط الثلاثة سناً قال لهم: ألم أقل لكم هلا تستثنون في حلفكم وقد كان قال لهم ذلك عند قسمهم، وإنما أقيم لفظ التسبيح مقام الاستثناء، ولأن في الاستثناء تعظيم الله تعالى، والإقرار بأن أحداً لا يقدر يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله تعالى.

ويقال إن استثناء القوم في ذلك الزمان التسبيح، ويجوز أن يكون [إظهار][2] قدرة الله تعالى التسبيح هٰهنا [أي] هلا تنزهون الله وتستغفرونه من سوء نياتكم قالوا عندما رأوا من قدرة الله تعالى ما رأوا: سبحان ربنا أي تنزيهاً لربنا وتعظيماً واستغفاراً له: إنا كنا ظالمين لأنفسنا بما عزمنا عليه من الذهاب بحقوق الفقراء، ومنعنا لهم قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي أقبلوا يلوم بعضهم بعضاً بما كان منهم من منع المساكين يقول كل واحد منهم لصاحبه: هذا من عملك، وأنت الذي بدأت بذلك ثم قالوا بأجمعهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ حين لم نصنع ما صنع أبونا من قبل، والطاغي: المتجاوز عن الحد ثم رجعوا إلى الله ورجوا منه العقبى وسألوه أن يبدلهم خيراً منها فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ أي نرغب إليه ونرجو منه الخلف في الدنيا والثواب

---

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 433.

(2) في النسخة: ك: معنى.

في الآخرة قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي هكذا العذاب في الدنيا لمن منع حق الله، ولمن كفر بنعمة الله ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وأشق على كفار مكة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي يخوفهم الله تعالى به حق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (34) أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ (41)﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وذلك أن عتبة بن ربيعة كان يقول: إن كان ما يقوله محمد حقاً في النعيم في الآخرة لنكون أفضل منهم في الآخرة كما فضلنا عليهم في الدنيا فأنزل الله هذه الآيات[1] لبيان أن جنات النعيم في الآخرة خاصة للذين يتقون الشرك والفواحش قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ هذا استفهام ومعناه: الإنكار والتوبيخ وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ إنكار عليهم أيضاً لما حكموا بالسوية بين أهل الثواب وأهل العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي ألكم يا أهل مكة كتاب من الله فيه تقرءون بأن لكم في الدنيا والآخرة ما تختارون لأنفسكم والمعنى: ألكم كتاب تقرءون أن لكم في ذلك الكتاب ما تخيرون وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ معناه: ألكم علينا عهود وثيقة إلى يوم القيامة بأن لكم ما تنقضون لأنفسكم من الخير والكرامة وإنما كسرت النون في هاتين الآيتين لدخول اللام في خبرها[2] ثم قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي سلهم يا محمد أيهم كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين، والزعيم: هو الكفيل الضامن قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ معناه: ألهم فيما يقولون شهداء وأعوان عليه فليأتوا بشركائهم

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 434.
(2) الفراء في معاني القرآن 3: 176.

يشهدون لهم بذلك إن كانوا صادقين في مقالتهم وأراد بالشركاء: الأصنام التي أشركوها بالله.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ (43) فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (45) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (46) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47)﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ معناه يوم يكشف عن الأمور الشدائد وهو يوم القيامة، وهذا ما كثر استعماله في كلام العرب على معنى يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج إلى أن يكشف فيه عن ساق، ومن ذلك قولهم: قامت الحرب على ساق، وكشفت عن ساق، وإن لم تكن للحرب ساق، وانتصب قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ على الظرف لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ في ذلك اليوم لتنفعهم، أو تشفع لهم، وعن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فإنه ديوان العرب: أما سمعتم قول الشاعر:

والخيل تعدو عند وقت الإشراق ∴ وقامت الحرب بنا على ساق[1]

أي يوم القيامة: يوم كرب وشدة.

وقال ابن قتيبة: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه شمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة[2] قال دريد بن الصمة[3] يرثي أخاه:

---

(1) استشهد الطبري بهذا البيت في تفسيره 14: 46 من غير نسبة.

(2) القرطبي في تفسيره 18: 249.

(3) دريد بن الصمة البكرى من هوازن ـ شاعر جاهلي من الأبطال ـ من المعمرين أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل يوم حنين استصحبته هوازن معها فخرجت به للحرب تيمنا به وقد كان أعمى، الأغاني طبعة دار الكتب 10: 3، وخزانة البغدادي 4: 46.

كميش الإزار خارج نصف ساقه ∴ صبور على الجلاء طلاع[1] أنجد

ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم تراكب غمامه وكشف عن ساقه، ومعنى الآية: يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج إليه إلى أن يكشف عن ساق قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ قال المفسرون: يسجد الخلق كلهم سجدة واحدة، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون كما روي أن أصلابهم تصير يومئذ عظماً مثل صياصي البقر يعني قرونها، ويقال: يأمر الله أهل القيامة بالسجود في الآخرة فمن كان يسجد له في الدنيا قدر على السجود في الآخرة ومن لا فلا، فيكون ذلك أمارة يتميز بها المؤمن من الكافر قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي ذليلة، وذلك حين عاينوا النار فأيقنوا بالعذاب، وقوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي تغشاهم ذلة الندامة والحسرة، وتعلوهم كآبة وحزن، وسواد الوجوه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ يعني وقد كانوا يدعون بالأذان في الدنيا، ويؤمرون بالصلاة المكتوبة ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي معافون ليس في أصلابهم مثل سفافيد الحديد قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي ضل بيني وبين من يكذب بهذا القرآن لا تشغل قلبك به كِلْه إليَّ فإني أكفيك أمره قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها ثم أخذناهم بغتة قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ قد تقدم تفسيره قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي أتسألهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من الأيمان جُعْلا فهم من الغرم الذي يلزمهم بإجابتك مثقلون فيمتنعون عن الإجابة بسببه وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي أعندهم الوحي بأنك على الباطل وهم على الحق فيكتبون ذلك الوحي ويخاصمونك به.

قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ
(48) لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ (50) وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ (51)
وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (52)﴾.

(1) الثعلبي في تفسيره: خ، والشوكاني في تفسيره «الفتح القدير» 5: 390، الطبعة الأولى 1993م دار الحديث مصر.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ أي اصبر يا محمد على تبليغ الوحي والرسالة ولا تكن في الضجر والعجلة كصاحب الحوت يونس عليه السلام والمعنى: لا تضجر فيما يلحقك من الأذية من جهتهم كما ضجر صاحب الحوت فخرج من بين ظهرانيهم قبل أن يأذن الله له حتى التقمه الحوت فنادى وهو في بطن الحوت ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي وهو مكظوم أي مملوء غماً قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ بقبول توبته ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي لألقي من بطن الحوت على وجه الأرض، وقيل معناه: لنبذ بالصحراء وهو ملوم مذموم ولكن قبل الله توبته فنبذ وهو غير مذموم قوله تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أي اختار يونس بالنبوة والإسلام فجعله من الصالحين بقبول توبته فرد إليه الوصي وشفعه في قومه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ اختلفوا في معنى ذلك قال بعضهم كان من عادة العرب أنهم إذا حسدوا إنساناً تجوعوا ثلاثة أيام ثم خرجوا عليه، فقالوا له ما أحسنك ما أجملك ما كذا ما كذا ليصيبوه بأعينهم فتواطأوا على أن يفعلوا ذلك بالنبي ﷺ فدفع الله عنه كيدهم وشرهم، وقيل إن العين في بني أسد[2] حتى إن الناقة السمينة والبقرة السمينة كانت تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي الزنبيل والدرهم واذهبي ائتنا بلحم من هذه فما تبرح حتى تنحر من ساعتها وقال الكلبي: كان الرجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول فيها ما يعجبه فما يذهب إلا قريباً حتى تسقط من وقتها، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ يعينه ويفعل به مثل ذلك، فأجابهم إلى ذلك فعصم الله تعالى نبيه وحفظه منه، وأنزل هذه الآية[3].

وروي أن الكفار كانوا يقصدون رسول الله ﷺ أن يصيبوه بالعين وكانوا

---

(1) سورة الأنبياء: 21، الآية: 87.

(2) في النسخة: س: بني إسرائيل.

(3) الواحدي في أسباب النزول: 371.

ابن كثير في تفسيره «تفسير القرآن العظيم» 7: 92، ط 4، 1983 دار الأندلس بيروت.

ينظرون إليه نظراً شديداً بالعين، وقال الزجاج معنى الآية: إن الكفار كانوا من شدة بغضهم لرسول الله ﷺ ينظرون إليه نظر البغضاء والمعنى يكاد الكفار بنظرهم إليك أن يصرعوك[1]، وقرأ نافع ليزلقونك بفتح الياء يقال زلقه وأزلقته مثل حزنته وحزن، وقرأ الباقون: ليزلقونك من أزلقه من موضعه[2] إذا نحاه وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين**»[3]، وقال إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر، وقيل معنى الآية: وإن يكاد الذين كفروا من شدة إبغاضهم وعداوتهم لك ليسقطونك ويصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة ويزيلونك عن المقام الذي أقامك الله فيه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي لما أعيتهم الحيلة عن صرف الناس عنك نسبوك إلى الجنون مع علمهم بخلاف ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن وذلك أنهم كانوا يكرهون القرآن أشد الكراهة فيحدون النظر إلى النبي ﷺ حين يتلوه بالبغضاء، وكانوا ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن فقال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي القرآن الذي يقرؤه عليهم إلا عظة للخلائق كلهم.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه 5: 212.

(2) الكشف عن وجوه القراءات 2: 332.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 14: 171، الطب والمرض والرقى.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

سورة الحاقة مكية، وهي ألف وأربعة وثمانون حرفاً، ومائتان وست وخمسون كلمة، واثنتان وخمسون آية، قال ﷺ: **«من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً»**(1)، وبالله التوفيق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿1﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿2﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿3﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ
﴿4﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿5﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿6﴾
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴿7﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿8﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿9﴾
فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿10﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿11﴾ لِنَجْعَلَهَا
لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿12﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ اسم من أسماء القيامة، سميت حاقة: لأنها حقت فلا كاذبة لها، ولأن فيها حواق الأمور وحقائقها، وفيها يحق الجزاء على الأعمال أي يقال: حق عليه الشيء إذا وجب قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(2) ولا يحق في القيامة إلا حقائق الأمور وقوله

---

(1) الزمخشري في تفسيره الكشاف 4: 155، والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان: خ.
(2) سورة الزمر: 39، الآية: 71.

تعالى: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ استفهام بمعنى التفخيم لشأنها كما يقول: زيد ما هو على التعظيم لشأنه، ثم زاد في التهويل فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ أي كأنك لست تعلمها إذا لم تعاينها ولم تر ما فيها من الأهوال قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ أي كذبوا بالقيامة فأهلكهم الله، والقارعة: من أسماء القيامة، سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالأهوال والمخافة.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ أي بطغيانهم وكفرهم هذا قول ابن عباس ومجاهد، وقال آخرون: يعني أهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت الحد والمقدار[1] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي بريح باردة شديدة البرد جداً بالغة منتهاها في الشدة، والصر: شديد البرد، والصرصر: ما يتكرر فيه البرد الشديد كما يقال: صل اللحام إذا صوت، فإذا تكرر صوته قيل: صلصل، والعاتية من قولهم: عتا النبت إذا بلغ منتهاه في الجفاف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2] وقيل معنى عاتية: عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ولم يعرفوا لم خرج منها.

قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أي أرسلها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً: أن متتابعة لا تنقطع أولها عن آخرها كما يتابع الإنسان الكيَّ على المقطوع ليحسم دمه أي يقطعه، وفي الحديث: «**إن هذه الريح التي أصابتهم كانت قطعة من زمهرير جهنم على قدر ما يخرج من حلقة الخاتم**» قال وهب: هذه الأيام التي أرسلت فيها الريح على عاد هي أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة، وانقطع العذاب في اليوم الثامن، وقيل سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء[3] ولها أسامي مشهورة تعرف في كتب اللغة.

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ معناه: فترى أيها الرائي القوم في تلك الأيام والليالي صرعى أي ساقطين بعضهم على بعض موتى كأنهم أعجاز

---

(1) القرطبي في تفسيره 18: 258.
(2) سورة مريم: 19، الآية: 8.
(3) الثعلبي في تفسيره: خ.

نخل خاوية أي كأنهم أصول نخل ساقطة بالية قد نخرت وتآكلت وفسدت والصرعى: جمع صريع، نحو قتيل وقتلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي فهل ترى من نفس باقية قائمة والمعنى: لم يبق منهم أحد إلا أهلكته الريح قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمرو والحسن والكسائي ويعقوب قِبَلَه بكسر القاف وفتح الباء ومعناه: وجاء فرعون ومن يليه من جنوده وأتباعه وجموعه، وقرأ الباقون بفتح القاف وإسكان الباء ومعناه: ومن تقدمه[1] من القرون الخالية. ٩ـ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ يعني قوم لوط انقلبت قرياتهم بأهلها حين خسف بهم جاءوا بالخطأ العظيم وهو الشرك بالله تعالى: قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يعني لوطاً عليه السلام، وموسى عليه السلام. والمعنى: فعصوا رسل ربهم إلا أنه وحد الرسول لأنه قد يكون مصدراً، وأقيم مقام لفظ الجماعة قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي زائدة نامية تزيد على الأخذات التي كانت فيمن قبلهم ومنه الربوة للمكان المرتفع ومنه الربا لما فيه من الزيادة قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ معناه: لما جاوز الماء القدر وارتفع جداً أيام الطوفان في زمن نوح عليه السلام حتى علا الماء على كل شيء وارتفع حملنا أباكم، وأنتم في أصلابهم في السفينة الجارية التي تجري على الماء في ذلك اليوم وسمي ارتفاع الماء في ذلك اليوم طغياناً لخروجه في ذلك اليوم عن طاعة خزانه، ويقال لا تنزل قطرة من السماء إلا وعلم الملائكة محيط بها إلا في ذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ أي لنجعل تلك الأخذة وتلك السفينة بما كان من إغراق قوم نوح وإنجائه والمؤمنون معه عظة يتعظ بها الخلق فلا تفعلوا ما كان القوم يفعلونه. وقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي تحفظها وتسمعها أذن حافظة لما جاء من عند الله قال قتادة: إذن سمعت وعقلت ما سمعت[2]، وقال

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 385، الفراء في معاني القرآن 3: 180.
(2) البغوي في تفسيره 5: 442.

الفراء: لتحفظها كل أذن فتكون عظة لما يأتي بعده[1]، قال رسول الله ﷺ: «**سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي**» قال علي: فما نسيت بعد ذلك[2]. وفي تفسير النقاش أن رسول الله ﷺ حين نزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أخذ بأذن علي رضي الله عنه، وقال: هي هذه.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿13﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿14﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿15﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿16﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿17﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿18﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿19﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿20﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿21﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿22﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿23﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿24﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿13﴾﴾ قال عطاء: يريد النفخة الأولى، وقال الكلبي؛ ومقاتل: النفخة الثانية، والنافخ هو: إسرافيل، وأكثر المفسرين على أنها: النفخة الأولى التي تكون للموت[3]، وقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي تحملها الملائكة الموكلون بها فيضربون الأرض بالجبال، والجبال بالأرض دفعة واحدة فتصير الجبال هباء منبثاً قال الحسن: تصير غبرة تغشي وجوه الكفار، والدك: هو الكسر والدق والمعنى: فدقتا وكسرتا كل واحدة واحدة لا تثنى، وقيل: الدك البسط بأن توصل بعضها إلى بعض أي تندك، ومنه الدكان، واندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، وانشقت السماء من هيبة الرحمن ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي ضعيفة جداً لا تستقل يومئذ لانتقاض بنيتها قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي على أطرافها ونواحيها واحدها رجاً مقصور وتثنيته رجوان قال الضحاك: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على

---

(1) الفراء نفسه.

(2) ذكره الطبري في تفسيره 14: 69 رقم 26954، وكذا ابن كثير في تفسيره 7: 101- 102.

(3) القرطبي في تفسيره 18: 264.

جوانبها حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض[1] ومن عليها كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[2]، والملك لفظه لفظ الوحدان والمراد به اسم الجنس قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «**اليوم يحمله أربعة، وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فكانوا ثمانية**»[3].

ومعنى الآية: ويحمل عرش ربك يوم القيامة فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء ثمانية وقال بعضهم: ثمانية من الملائكة على صورة الأوعال من أظلافهم إلى ركبهم كما بين السماء والأرض قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ أي تعرضون للحساب لا تخفى على الله منكم نفس خافية، ولا يخفى عليه من أعمالكم شيء، والكوفيون غير عاصم: لا يخفى بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[4] وقيل معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي لا تخفى سريرة خافية قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ وهم أهل الثواب يعطون كتبهم بأيمانهم فيقول كل واحد منهم للناس سروراً بكتابه تعالوا: اقرأوا ما في كتابيه من الثواب والكرامة وهذا كلام من بلغ الغاية في السرور، ومعنى هاؤم أي هلموا أصحابي اقرأوا كتابيه قال ابن السكيت[5] يقال: ها يا رجل، وهاؤما يا رجلان، وهاؤم يا رجال، والأصل هاكم فحذفت الكاف وأبدلت منها همزة، وألقيت حركة الكاف[6] عليها، وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من يعطى كتابه من هذه الأمة: عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس**»، فقيل

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 443.

(2) سورة الفجر: 89، الآية: 22.

(3) ذكره الطبري في تفسيره 14: 73، رقم 26972.

(4) الكشف عن وجوه القراءات 2: 333، النشر في القراءات العشر 2: 389.

(5) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إمام في اللغة والأدب، من كتبه «إصلاح المنطق» قال المبرد: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن منه «وشرح المعلقات» وشرح «شعر الأعشى» توفي سنة أربع وأربعين ومائتين هجرية، هدية العارفين 2: 536.

(6) القرطبي في تفسيره 18: 269.

له: فأين أبو بكر؟ قال: «**هيهات: زفَّته الملائكة إلى الجنة**»[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيامة إلا أبا بكر فهو في عيشة راضية مرضية**».

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿20﴾﴾ معناه: إني علمت وأيقنت في الدنيا أني أحاسب في الآخرة، وكنت أستعد لذلك، وسمي اليقين ظناً لأنه علم غيب لا علم شهادة ففيه طرف من الظن ولذلك قال عليه السلام: «**ليس الخبر كالمعاينة**». قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿21﴾﴾ أي في حالة من العيش مرضية يرضاها بأن لقي الثواب وأمن العقاب ومعنى راضية أي مرضية كقوله: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿22﴾﴾ المنازل رفيعة البناء وقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿23﴾﴾ أي ثمارها قريبة ممن يتناولها وهي جمع قطف وهو ما يقتطف من الثمار والمعنى ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يمنعهم من تناولها شوك ولا بعد.

ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ أي كلوا واشربوا في الجنة هنيئاً بما قدمتم في الأيام الماضية من الأعمال الصالحة، ويعني بالأيام الماضية: أيام الدنيا، والهنيء: ما لا يكون فيه أذى من بول أو غائط، ولا يعقبه أذى ولا موت، وكان ابن عباس يقول المراد بقوله: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الصوم في الأيام الحارة كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من أبواب الجنة باباً يدعى الريان من دخله لم يظمأ أبداً يدخله الصائمون ثم يغلق عليهم ولا يدخل معهم غيرهم**»[3]، ويقال إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا قد قلصت شفاهكم من العطش، وغارت أعينكم وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم فكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية[4].

---

(1) القرطبي في التذكرة 1: 345، ط: الأولى 1986م دار ابن زيدون، بيروت.
(2) سورة الطارق: 86، الآية: 6.
(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 8: 32، باب فضل الصيام.
(4) ذكره الزمخشري في الكشاف 4: 153.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿25﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿26﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿27﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿28﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿29﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿30﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿31﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿32﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿33﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿34﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿35﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿36﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿37﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه، وقيل تنزع من صدره إلى خلف ظهره[1] ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ قال الكلبي: نزلت الآية الأولى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ في أبي سلمة بن عبد الأسد زوج أم سلمة وكان مسلماً يعطيه الملك كتابه بيمينه صحيفة منشورة يقرأ سيئاته في باطنه، ويقرأ الناس حسناته ظاهرة، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد أن قد غفر له فيقول: هاؤم اقرأوا كتابيه ثم صارت عامة[2] للمؤمنين قال الكلبي رحمه الله، ونزلت هذه الآية الثانية في أخي أبي سلمة وهو الأسود بن عبد الأسد وكان كافراً يعطيه الملك الذي يكتب أعماله كتابه من وراء ظهره فيجد حسناته غير مقبولة، وسيئاته غير مغفورة فيسود وجهه، ويقول: يا ليتني لم أوت كتابيه[3]. وهو عام في كل كافر يتمنى الكافر يومئذ أنه لم يعط كتابه، ولم يعلم ما حسابه تحسراً على ما كان منه من الكفر والقبائح، والهاء في كتابيه وحسابيه هاء الوقف والاستراحة، ولذلك يوقف عليها كما في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾[4] قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ معناه: يا ليت الموتة الأولى كانت ماضية على الدوام قال الحسن: يتمنون الموت يومئذ ويحبونه، وكان من أكره الأشياء إليهم في الدنيا[5]، ويقال: إن الهاء في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ كناية عن النفخة التي أخرجته من قبره يقول: يا ليتها قضت عليّ فاستريحت[6]. قوله

---

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 445.
(2) القرطبي في تفسيره 18: 270، ذكره عن الضحاك ومقاتل.
(3) القرطبي نفسه، ذكره من قول ابن عباس والضحاك.
(4) سورة القارعة: 101، الآية: 10.
(5) البغوي في معالم التنزيل 5: 445.
(6) الفراء في معاني القرآن 3: 182.

تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ﴾ أي لم تنفعني كثرة مالي الذي جمعته في الدنيا لأوقات الشدائد والكرب لا يمكنني أن أفتدي بشيء منه ولم أعمل منه شيئاً لهذا اليوم بل فرقته فيما لا يحل، وخلفته للوارث، ولم يدفع عني من عذاب الله شيئاً. قوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي ضلت عني حجتي حين شهدت على جوارحي بالشرك وبجميع ما عملت في الدنيا، وقيل معنى السلطان: العزّ والأمر والنهي بطل عنه كل ذلك وصار أسيراً لا يقدر على دفع العذاب عن نفسه يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾ أي يقول الله تعالى للزبانية الموكلين بتعذيبه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ فيثبون عليه فيأخذونه ويجعلون الغل في عنقه يروى أنه يثب عليه من جهنم ألف ملك من الزبانية فيأخذونه فينقطع في أيديهم فلا يرى في أيديهم منه إلا الورك، ثم يعاد خلقاً جديداً، فيجعلون الغل في عنقه ويجمعون أطرافه إلى الغل الذي يجعلونه في عنقه ثم يقذفونه في الجحيم حتى تتوقد فيه النار فذلك قوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي ادخلوه والزموه الجحيم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ السلسلة حلق منتظمة ذرعها سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بين الكوفة ومكة قال الحسن: الله أعلم بأي ذراع[1] هو قال ابن أبي نجيح: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي أدخلوها في دبره وأخرجوها من فيه، وألقوا ما بقي من السلاسل منها في عنقه يقال: سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته فيها، وتقول العرب: أدخلت الخاتم في إصبعي، والقلنسوة في رأسي، والمعلوم أن الإصبع هي التي تدخل في الخاتم ولكنهم أجازوا ذلك لأن معناه لا يشكل، وفائدة السلسلة أن النار إذا أزمَّت بأهلها إلى أعلاها جذبتهم الزبانية بالسلاسل إلى أسفلها.

قال ابن عباس: لو وضعت حلقة من تلك السلسلة على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص ولو جمع حديد الدنيا كلها ما وزن حلقة واحدة من حلق تلك السلسلة[2]، وقال الكلبي معنى قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي تسلك السلسلة فيه كما يسلك الخيط في اللؤلؤة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أي

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.

(2) البغوي نفسه.

كان لا يصدق بتوحيد الله وعظمته وفيه بيان أن هذا النوع من العذاب لا يكون إلا للكفار وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك، وفيه بيان أيضاً أنه لا يستحق هذا العذاب بمجرد الكفر بل يستحق بعضه بذنوب غير الكفر، وهو ترك الحض على طعام المسكين وهذا راجع إلى منع الحقوق الواجبة في الشرع مثل الزكاة ونحوها، وفيه دليل أن الكافر يؤاخذ بالشرعيات في الآخرة قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي ليس له في الآخرة قريب ينفعه ويحميه، ولا طعام يشبعه إلا من غسلين وهو ما يسيل من أجسام أهل النار من الصديد والقيح والدم وكل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين[1].

قال ابن عباس: لو أن قطرة من الغسلين وقعت في الأرض أفسدت على الناس معايشهم قوله: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ أي لا يأكله إلا من يخطىء وخطأهم الشرك، وعن عكرمة قال: قرأنا عند ابن عباس: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ فقال: بل كلنا يخطىء والخطأ في الآية ضد الصواب لا ضد العمد والذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[2] لا يخالف ما في هذه الآيات، ولأن النار دركات فمنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الزقوم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (46) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (47) وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (50) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (52)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ معناه: أقسم بما تشاهدون

(1) القرطبي في تفسيره 18: 273.
(2) سورة الغاشية: 88، الآية: 6.

مما في السماء والأرض وبما لا تشاهدون مما وراء السماء والأرض إن هذا القرآن لقول جبريل عليه السلام يؤديه إلى محمد ﷺ، والقرآن قول فأقسم الله على ذلك بجميع ما خلق إعظاماً للقسم، وذكر في أول الآية «لا» وذلك يكون في القسم كما يقال: لا والله لا أفعل كذا، ويجوز أن يكون لا هٰهنا صلة في الكلام مؤكدة[1] وهو قول البصريين ويجوز أن يكون لردّ كلام الكفار عليهم وهو قول الفراء، والمعنى: ليس كما يقول المشركون أقسم بما تبصرون قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ أن القرآن من عند الله وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلاً ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي ما تتعظون، والكاهن: هو المنجم، وقيل: هو الذي يوهم معرفة الأمور بما يزعم أن له خدناً من الجن قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ معناه: ولكنه تنزيل من خالق الخلق أجمعين على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ معناه: لو اخترع علينا محمد ﷺ بعض هذا القرآن، وتكلف القول من تلقاء نفسه ما لم نقله لأخذنا منه بقوتنا وقدرتنا عليه ثم أهلكناه، واليمين تذكر ويراد بها: القوة قال الشاعر[2]:

إذا ما راية رفعت لمجد ∴ تلقاها عرابة باليمين[3]

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ أي ليس منكم

---

(1) النحاس في إعراب القرآن 5: 24.

(2) الشماخ بن ضرار الغطفاني شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، وكان معروفاً برجزه البديهي الجميل، جمع بعض شعره في ديوان مطبوع وبعضهم يسميه «معقل» والشماخ لقبه شهد القادسية وتوفي سنة اثنتين وعشرين هجرية. الإصابة: الترجمة: 3913، والأغاني 8: 97، وخزانة البغدادي 1: 526.

(3) في هذا الشعر التعبير عن القوة باليمين، مدح به الشماخ ملك اليمن عرابة بن أوس الحارثي الأنصاري، من سادات المدينة المشهورين بالجود، وفد على الشام في عهد معاوية توفي سنة ستين هجرية، الإصابة، ترجمة: 5500.

أحد يحجزنا عنه بأن يكون حائلاً بينه وبين عذابنا والمعنى: لو تكلف ذلك لعاقبناه ثم لم تقدروا أنتم على دفع عقوبتنا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني القرآن عظة لمن اتقى عقاب الله ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن، وإن هذا القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخرة يندمون على ترك الإيمان ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي لصدق يقين أنه من الله تعالى لمن تدبر واتصف ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي سبح الله العظيم، ونزهه عما لا يليق به.

سُورَةُ المَعَارِجِ

سورة المعارج مكية، وهي ألف ومائة وواحد وستون حرفاً، ومائتان وأربع وعشرون كلمة، وأربع وأربعون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة المعارج أعطاه الله ثواب الذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلاتهم يحافظون**»[(1)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (1) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ (2) مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ (3) تَعۡرُجُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ (4) فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا (5) إِنَّهُمۡ
يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا (6) وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا (7) يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ (8) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ (9) وَلَا
يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا (10) يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (11) وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (13) وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ (14) كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (15)
نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ (16) تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ (17) وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ (18)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ نزلت هذه الآية[(2)] في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[(3)] والمعنى: دعا داع على نفسه

---

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف 4: 160، والثعلبي في تفسيره: خ.

(2) الواحدي في أسباب النزول: 474، وابن كثير في تفسيره 7: 110.

(3) سورة الأنفال: 8، الآية: 32.

بعذاب وذلك العذاب واقع لا محالة ولا بد منه للكافرين وليس لذلك العذاب عند وقوعه دافع يدفعه عنهم، فقتل «النضر بن الحارث» يوم بدر صبراً وهو من الكافرين، ولم يقتل يومئذ من الأسارى أسير غيره، إلا «عقبة بن أبي معيط» قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي وقوع ذلك العذاب من الله ذي الفواضل والنعم، وسميت معارج لأنها على مراتب، وقيل معناه: ذي معالي الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة، وقال الكلبي معناه: ذي السموات سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها، وقال ابن زيد معنى الآية على قراءة من قرأ سال بغير همزة[1] أي سال واد من أودية جهنم[2] بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع.

قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي تصعد الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام إليه أي إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سواه فيه حكم وقوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال عكرمة وقتادة: يعني يوم القيامة.

وعن أبي سعيد قال: قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم يعني يوم القيامة، فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا**»[3]، وقيل معنى الآية: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم يكون مقداره خمسين ألف سنة لعروج غيرهم وذلك أن من أسفل الأرضين السبع إلى فوق السموات السبع خمسين ألف سنة هكذا روي عن مجاهد، وأما قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[4] فهو ما بين السماء الدنيا إلى الأرض في الصعود، وخمسمائة سنة، وفي النزول خمسمائة سنة فذلك ألف سنة مما تعدون لغير الملائكة، وقال يمان: يعني يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة،

---

(1) مكي في الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها 2: 334.
النحاس في إعراب القرآن 5: 27.

(2) الطبري في تفسيره 14: 86، رقم 27020.

(3) أخرجه البيهقي في الشعب 1: 324 رقم 361.

(4) سورة السجدة: 32، الآية: 5.

وفيه تقديم وتأخير كأنه قال: ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه، وقيل معنى الآية: لو جعل الله محاسبة الخلائق إلى أحد غيره لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وهو يفرغ منه في ساعة واحدة لأنه سريع الحساب[1] قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾ أي اصبر يا محمد على تبليغ الوحي والرسالة، وعلى ما يلحقك من الأذى من الكفار، والصبر الجميل: هو الذي لا يكون فيه جزع ولا شكوى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدًا﴾ أي يرون العذاب بعيداً غير كائن كما يخبر الرجل عن شيء فيقال له: هذا بعيد أن هذا مما لا يكون، ونحن نراه قريباً أي صحيحاً كائناً لأن كل ما هو آت قريب ثم أخبر متى يقع العذاب، فقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ أي كالصفر المذاب، وقيل كدردي من الزيت وقال الحسن: مثل الفضة إذا أذيبت ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ أي كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي لا يسأل قريب عن قرابته لاشتغال كل بنفسه من شدة الأهوال وقرأ البزّي عن ابن كثير: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ﴾ بضم الياء[2] أي لما يقال لحميم أين حميمك؟ قال الفراء: ولست أشتهي ضم الياء لأنه مخالف لجماعة القراء[3] قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ أي تعرف الأقارب أقاربهم ساعة من النهار في ذلك اليوم ثم لا تعارف بعد تلك الساعة فيبصر الرجل حميمه بعد ذلك فلا يكلمه.

والمعنى: يعرف الحميم حميمه حق المعرفة ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ أي يتمنى الكافر أن يفدي نفسه من عذاب الله يومئذ بأولاده وزوجته وأخيه وقوله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾ أي وعشيرته الأقربين التي تضمنه ويأوي إليها وتنصره في المكاره والشدائد، ويودّ أيضاً أن يفتدى بمن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ذلك الفداء من العذاب كلاً لا يُنجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ وهي من أسماء النار سميت بهذا الاسم من قولهم تلظى أي توقّد، واللظا:

(1) القرطبي في تفسيره: 18: 282.
(2) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 392.
(3) معاني القرآن 3: 184.

هو اللهب الخالص، وقوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ صفة النار أي كثيرة النزع للأعضاء والأطراف، والشوى جمع الشواة وهي الطرف وتسمى جلدة الرأس بهذا الاسم أيضاً، وفي الحديث: «**إن النار تنزع فقار رأسه فتأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان فتعود لأكله فذلك دأبها أبداً**»[1] وقيل ارتفع قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً﴾ على إضمار هي نزاعة للشوى تنزع اليدين والرجلين وسائر الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلداً إلا أحرقته[2] قوله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي تدعو النار من أعرض من الإيمان وتولى عن التوحيد، وأدبر عن الحق فتقول إليّ يا مشرك إليّ يا منافق إليّ إليّ فإن مستقرك فيّ، وتدعو أيضاً من جمع المال في الدنيا فجعله في الأوعية لم يصل منه رحماً، ولا أدّى منه فريضة ولا أنفقه في طاعة الله.

قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿19﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿20﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿21﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿22﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿23﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿24﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿25﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿26﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿27﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿28﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ أي ضجوراً شحيحاً شديد الحرص مع قلة الصبر، وتفسير الهلوع: ما ذكره الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ يعني: إذا أصابه الفقر والشدة جزع فلم يصبر ولم يحتسب، وإذا أصابه ما يسر به من المال والسعة منع حق الله تعالى منه ولم يشكره وعن ابن عباس أنه قال: الهلوع الذي يرضى عند الموجود ويسخط عند المفقود، وقيل هو الذي يكون نساء عند النعم دعاء عند المحن، وهذا كله إخبار عن ما خُلق الإنسان عليه من جهة الطبع، ثم نهاه[3] عن الجزع والمنع ليستحق بذلك جزيل الثواب.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ يعني فإنهم يغلبون

---

(1) البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» 5 : 452.
(2) ابن كثير في تفسيره «تفسير القرآن العظيم» 7 : 115.
(3) الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: مخطوط.

فرط الهلع بثقتهم بربهم ويقينهم بمقدوراته، والمعنى: إلا المصلين الصلوات الخمس يديمون عليها ولا يدعونها ليلاً ولا نهاراً، وعن عمران بن الحصين أن معناه: هم الذين لا يلتفتون في صلاتهم يميناً ولا شمالاً[1] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ يعني الزكاة المفروضة لأن ما لا يكون مفروضاً لا يكون معلوماً وقوله تعالى: ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ السائل هو الطوّاف الذي يسأل الناس، والمحروم الذي يحرم وجوه المكاسب لا يسأل ولا يعطى وعن ابن عباس قال: هو الذي لا تستقيم له تجارة، وقيل: هو الذي لا سهم له في الغنيمة وسئل رسول الله ﷺ عن المحروم فقال: «**هو الذي يحمل نخل الناس ولا يحمل نخله ويزكو زرع الناس ولا يزكو زرعه، ويلبن شاء الناس ولا تلبن شاؤه**»، ووجه استثناء المصلين والمنفقين أن المصلين والمنفقين لا يفعلون ما يفعله الهلوع لكنهم يؤدون حق الله تعالى فإن مداومتهم على طاعة الله تمنعهم من أفعال الكفار قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي بيوم الحساب ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون حذرون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا يؤمن وقوعه ممن يستحقه.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي لا يرسلونها إلا على أزواجهم الأربع أو جواريهم، فإنهم لا يلامون على ترك حفظ فروجهم عن هؤلاء فمن اعتدى وطلب في استباحة الوطء طريقاً غير هذين الطريقين ﴿فَأُولَئِكَ

(1) القرطبي في تفسيره 18: 291، عن عقبة بن عامر.

﴿هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ يتعدون الحلال إلى الحرام قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ⑧﴾ معناه: والذين هم لأماناتهم التي ائتمنوا عليها في أمر الدين، والذين هم للعهد الذي بعث به الأنبياء إلى الخلق راعون، وكل محافظ على شيء فهو راع له، والإمام راع لرعيته، ويدخل في هذه الآية: أمانات الناس فيما بينهم وعهودهم وعقودهم فيما بينهم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ أي يقومون بأدائها على وجهها ولا يكتمونها وإن كانت على أنفسهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ㉞﴾ أي يراعون مواقيتها بحدودها وشروطها، والفائدة في ذكر إعادة الصلاة: لتعظيم أمرها وتفخيم شأنها وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ㉟﴾ معناه: الذين استجمعوا هذه الخصال في جنات في الآخرة مكرمون بالتحف والهدايا قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ㊱﴾ نزلت هذه الآية في المستهزئين وهم خمسة سميناهم من قبل[1] كانوا قد جلسوا حول النبي ﷺ يستهزئون بالقرآن ويكذبون به فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون. والمهطع: المقبل على الشيء ينظره ولا يزايله، وكانوا ينظرون إلى النبي ﷺ نظر العداوة غيظاً وحنقاً، وقيل: مهطعين مديمين النظر متطلعين نحوك وهو نصب على الحال[2] قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي عن يمين النبي ﷺ وشماله حلقاً حلقاً، وجماعة جماعة، وعصبة عصبة، والعزين: جماعة في تفرقة واحدتها عُزَة[3] ونظيرها ثُبَة وثِبين، وكان هؤلاء الكفار، يقولون: إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فإنا ندخلها قبلهم، فقال الله تعالى: ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ كلا لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ أي من المقاذر والأنجاس، والنطف والعلق، فأي شيء لهم يدخلون به الجنة، ومن حكمنا في بني آدم أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا

---

(1) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ الآية: 95 من سورة الحجر.
(2) التبيان في إعراب القرآن 2: 428.
(3) من عزوته إلى أبيه أو عزيته المحذوف الواو وقيل الياء.

بالإيمان والعمل الصالح فماذا يطمعهم في ذلك وهم كفار[1]؟ وفي هذا تنبيه أن الناس كلهم من أصل واحد، وإنما يتفاضلون بالإيمان والطاعة، قرأ الحسن وطلحة: يَدخُل. بفتح الياء، وضم الخاء[2] ومعناه: إنا خلقناهم مما يعلمون أي لا يستوجب أحد الجنة بكونه شريفاً لأن مادة الخلق واحدة بل يستوجبونها بالطاعة، قال قتادة في هذه الآية: إنما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله، وقال بعضهم أنَّى لابن آدم الكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين، ثم يخرج من بطن أمه متلوثاً بالدم متلطخاً ببوله وخرائه[3].

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿40﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿41﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿42﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿43﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿44﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ معناه: أقسم برب مشارق الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف يعني مشرق كل يوم في السنة ومغربه ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي على أن نهلكهم ونأتي بخلق أطوع لله منهم وما نحن بمغلوبين بالفوت ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ أي اتركهم يا محمد يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في كفرهم حتى يعاينوا يومهم الذي يوعدون فيه وهو يوم القيامة فانتقم منهم بأعمالهم، وهذا لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد[4]، وقيل إن هذه الآية منسوخة بآية القتال[5] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ بيان اليوم الذي يوعدون وهو يوم خروجهم من القبور سراعاً نحو الداعي وذلك حين يسمعون الصيحة الآخرة ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ أي إلى علم منصوب لهم يسرعون،

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 374.
والطبري في تفسيره 14: 106ـ 107.
(2) الفراء في معاني القرآن 3: 186، والثعلبي في تفسيره: خ.
(3) في النسخة: ك: وروثه.
(4) القرطبي في تفسيره 18: 296.
(5) ابن العربي في الناسخ والمنسوخ 2: 400.

ويستبقون إلى موضع الحساب، والأجداث جمع جدث: وهو القبر، وكذلك الجدف، والسراع جمع سريع والسريع بمعنى المسرع كالأليم بمعنى المؤلم والإيفاض: الإسراع يقال: وفض يفض وأوفض يوفض إذا أسرع في عدوه قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي يخرجون من القبور ذليلة أبصارهم تعلوهم مذلة وسواد الوجوه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب على ألسنة الرسل فلم يصدقوهم، وقرأ زيد بن ثابت، وأبو رجاء، وأبو العالية، والحسن، وابن عامر: نُصُب بضمتين[1] ومعناه: الأصنام التي كانوا ينصبونها فيعبدونها، ويذبحون تقرباً إليها.

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 186.
النحاس في أعراب القرآن 5: 34.
ابن الجزري في النشر 2: 391.
الثعلبي في تفسيره: خ.

سُورَةُ نُوحٍ

سورة نوح عليه السلام مكية، وهي تسعمائة وتسعة وتسعون حرفاً، ومائتان وأربع وعشرون كلمة، وثمان وعشرون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام**»(1).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ① قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ② أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ④﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ أي خوفهم من السخط والعذاب إن لم يؤمنوا بالله من قبل أن يأتيهم عذاب أليم، وهو الغرق بالطوفان، فأتاهم، فقال: يا قوم إني لكم نذير مبين أي رسول مخوف بلغة تعرفونها وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي أرسلت إليكم لتعبدوا الله وتوحدوه وتأمرون بجميع ما آمركم به، وتتقوا سخطه وعذابه، وتطيعون فيما أبينه لكم عن الله وقوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم﴾ جواب الأمر أي

---

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب.
والزمخشري في الكشاف 4: 166.
وابن عطية في تفسيره 16: 120.

افعلوا ما أمرتكم به يغفر الله لكم ذنوبكم ويزل عقابها عنكم، ودخول «من» في هذه الآية لتخصيص الذنوب من سائر الأشياء لا لتبعيض الذنوب كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[1] ويقال معناه: يغفر لكم من الذنوب ما لا تبعة فيه لأحد ولا مظلمة قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ أي يؤجلكم بلا عذاب إلى منتهى آمالكم فلا يصيبكم غرق ولا شيء من عذاب الاستئصال إن آمنتم وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ﴾ معناه: آمنوا قبل الموت تسلموا من العقوبات والشدائد فإن أجل الله إذا جاءكم لا يمكنكم الإيمان، وقوله تعالى: ﴿لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي لو كنتم تصدقون ما أقول لكم.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ يعني لما يئس نوح من إيمان قومه قال: رب إني دعوت قومي إلى التوحيد والطاعة ليلاً سراً ونهاراً علانية فلم يزدادوا عند دعائي إياهم إلا تباعداً عن الإيمان بالجهل الغالب عليهم ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ﴾ إلى طاعتك، والإيمان بك ﴿لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ لئلا يسمعون صوتي ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ أي غطوا بها وجوههم لئلا يروني، وأصروا على كفرهم، واستكبروا عن قبول الحق والإيمان بك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾ أي معلناً لهم بالدعاء بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ أي كررت الدعاء معلناً وإسراراً، وسلكت معهم في الدعوة كل مذهب وتلطفت لهم كل تلطف ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ للذنوب يجمع لكم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب في الدنيا والغناء.

قال الله تعالى: ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ أَلَمۡ

(1) سورة الحج: 22، الآية: 30.

تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿15﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿16﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿17﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿18﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور بكل ما احتجتم إليه ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾ في الدنيا بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ تجري على وجه الأرض لمنافعكم وذلك أن الله تعالى كان قد حبس عنهم المطر حتى لم يبق لهم دابة ولا نبات أخضر وأعقم أرحام النساء وأصلاب الرجال حتى لم يكن لهم ولد في مدة سبعين سنة.

فوعدهم نوح عليه السلام برد ذلك كله عليهم إن آمنوا، والسنة في الاستسقاء تقديم القرب والطاعات، والاستكثار من الاستغفار[1] كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه خرج للاستسقاء فجعل يستكثر من الاستغفار فقيل له ما سمعناك استسقيت وما زدت على الاستغفار فقال: لقد استسقيت بمجاديح[2] السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ[3] ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ وكان بكر بن عبد الله يقول: إن أكثر الناس ذنوباً أقلهم استغفاراً، وأكثرهم استغفاراً أقلهم ذنوباً، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وتفعلون ما آمركم به تعظيماً له، وترجون منه بذلك الثواب، والمعنى: ما لكم لا تعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه، وقد جعل الله لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم، فقال

---

(1) القرطبي في تفسيره 18: 302، 9: 51 تفسيره للآية: 52 من سورة هود.

(2) المجاديح: واحدها مجدح، وهو عود مجنح الرأس تساط به الأشربة، وربما يكون له ثلاث شعب، والمجدح نجم من النجوم قيل هو ثلاثة كواكب تشبه المجدح الذي له ثلاث شعب، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار شبهاً بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء، وجاء بلفظ الجمع ليتفق مع إرادة الأنواء التي يزعمون إن من شأنها المطر.
ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: جدح، تحقيق: الزاوي والطناحي: الناشر المكتبة الإسلامية.

(3) الطبري في تفسيره 14: 116رقم 27132، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم 7: 124.

تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صبياً، ثم شاباً، ثم شيخاً، وقلبكم في ذلك حالاً بعد حال قال ابن الأنباري الطور: الحال، وجمعه أطوار قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي مطبقة بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قال ابن عباس: وجهه في السماء، وقفاه في الأرض، فالقمر وإن كان في السماء الدنيا فإن ما يلي السموات منه يضيء لهم، وما يلي الأرض منه يضيء لأهل الأرض قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ أي سراجاً للعالم يبصرون بها منافع دنياهم كما أن المصباح سراج الإنسان في البيت المظلم، قال عمر بن عمر: وجه الشمس والقمر إلى السموات، وقفاهما إلى الأرض، ويضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض وقيل لعبد الله بن عمر: ما بال الشمس تقيلنا أياماً، وتبردنا أياماً؟ قال إنها في الصيف في السماء الرابعة، وفي الشتاء في السماء السابعة، ولو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ يعني مبتدأ خلق «آدم» فهو خلق من الأرض والناس أولاده، ونباتاً في هذا الموضع أبلغ من إنباتاً كأنه قال: أنبتكم فنبتم نباتاً، والنبات: ما يخرج حالاً بعد حال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي يعيدكم في الأرض بعد الموت يعني تقبرون فيها، ويخرجكم منها إخراجاً عند النفخة الأخيرة للبعث.

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿19﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿20﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿21﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿22﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿23﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿24﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي فرشها لكم وبسطها كهيئة البساط تستقرون عليها، وتتصرفون فيها جعلها لكم كذلك لتسلكوا منها طرقاً بينة واسعة قال ابن عباس أراد بالفجاج الطرق المختلفة، والفج: الطريق بين الجبلين

(1) القرطبي في تفسيره 18: 305.

قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ أي لم يجيبوا دعوتي، واتبع السفلة والفقراء الرؤساء والكبر الذين لم تزدهم كثرة الأموال والأولاد إلا ضلالاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة والمعنى: إن نوحاً عليه السلام قال يا رب إنهم عصوني فيما أمرتهم به ودعوتهم إليه فاتبعوا رؤساءهم وكبراءهم بسبب الكثرة والثروة، وكانوا يصرفون سفلتهم عن دين الإسلام، والوُلْد والوَلد مثل: العُرْب والعَرَب، والعُجْم والعَجَم قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي مكراً عظيماً والكبير والكبار بمعنى واحد، مكرهم الكبير إعظام الفرية على الله تعالى، وتوصية بعضهم بعضاً بقولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي لا تدعنّ عبادة أصنامكم، وقيل مكرهم الكبير أنهم جرّأوا سفلتهم على قتل نوح عليه السلام، قرأ ابن محيصن، وعيسى: كباراً بالتخفيف[1] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ أي لا تدعنّ عبادة وُدٍ ولا سواعٍ ويغوث ويعوق ونسرا وهذه خمسة أصنام لهم كانوا يعبدونها ويقدمونها على غيرها، فلما جاء الغرق اندفنت تلك الأصنام فكانت مدفونة إلى أن أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فوقع كل صنم منها في أيدي قوم منهم[2]، فاتخذت قضاعة وُدّاً فعبدوها بدومة الجندل، ثم توارثوها إلى أن جاء الإسلام وهي عندهم، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لبني غطيف من مراد، وكان يغوث لطيء ويعوق لكهلان، ونسر لخثعم، وأما اللات لثقيف، والعزى لسليم وغطفان وجشم وسعد ونصر ابني بكر، ومناة لقديد وإساف ونائلة، وهبل لأهل مكة، فكان إساف حيال الحجر الأسود، ونائلة حيال الركن اليماني، وهبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعاً، قال الواقدي كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر[3] من الطير، قرأ نافع «وُدّاً» بضم الواو، وقرأ الباقون: بفتحها، وهما لغتان[4]، قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ أي أضل الأصنام كثيراً يعني ضلوا بسببها كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ

---

(1) تفسير الثعلبي: خ.
(2) تفسير البغوي 5: 459.
(3) الزمخشري في الكشاف 4: 164.
(4) الكشف عن وجوه القراءات 2: 337.

﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ والمعنى قد ضل بهذه الأصنام كثير من الناس، وإنما أضاف الضلال إلى الأصنام لأنها كانت سبب ضلالهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ هذا دعاء عليهم بعد أن أعلمه الله أنهم لا يؤمنون، وهو قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[1] والمعنى: لا تزدهم إلا خسراناً وهلاكاً، وإنما لم يصرف يغوث، ويعوق لأنهما ضارعا الأفعال[2].

قال الله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿25﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿26﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿27﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿28﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ أي من أجل خطاياهم أغرقوا في الدنيا فأدخلوا بذلك الغرق ناراً، وفي هذا دليل على عذاب القبر لأن حرف الفاء للتعقيب فاقتضى أنهم نقلوا عقيب الغرق إلى النار، والكافر إنما يدخل نار جهنم يوم القيامة. وخطاياهم في هذه الآية: الكفر، وما هٰهنا صلة والمعنى: من خطاياهم أي من أجلها بسببها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ أي فلم يجدوا لأنفسهم من دون الله أحداً ينصرهم، ولا يمنعهم من عذاب الله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ روي عن قتادة أنه قال: ما دعا نوح بهذه الآية إلا بعدما نزل[3]: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ والديّار متخذ الدار وساكنها، فعمّ الله جميع أهل الأرض بالهلاك بدعائه غير «عاج» فإنه عاش إلى زمن موسى عليه السلام لأنه لم يكن ممن يتخذ وبراً، ولا يسكن داراً، ويقال: ما بالدار ديّار أي أحدٌ. قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ معناه: إن

---

(1) سورة هود: 11، الآية: 36.
(2) الفراء في معاني القرآن 3: 189.
(3) تفسير القرطبي 18: 312.
وتفسير ابن عطية 16: 128.

تتركهم على وجه الأرض، ولا تهلكهم يضلوا عبادك عن دينك، ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا﴾ أي خارجاً عن طاعتك ﴿كَفَّارًا﴾ لنعمك، أخبر الله نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً أبداً قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ يعني أباه: لامك بن متوشلخ، وأمه شمخى بنت أنوش. وكانا مؤمنين، ولذلك استغفر لهما، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ أراد بالبيت هٰهنا السفينة، وقيل يعني مسجده، وقيل: داره، وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ عام في كل من آمن وصدق الرسل، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ التبار: الهلاك والدمار، ولذلك سمي الذهب المكسور: تبراً وقد جمع نوح بين دعوتين: دعوة على الكفار، ودعوة للمؤمنين، فاستجاب الله دعاءه على الكفار فأهلكهم، ونرجو أن يستجيب دعاءه في المؤمنين.

سُورَةُ الجِنّ

سورة الجن مكية، وهي ثمانمائة وتسعون حرفاً، ومائتان وخمس وثمانون كلمة، وثمان وعشرون آية، قال ﷺ: «**من قرأها أعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد ﷺ وكذّب به عتق رقبة**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي
إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6)
وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ وذلك أن السماء لم تكن تحرس فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما، فلما بعث الله محمداً نبياً حرست السماء، ورميت الشياطين بالشهب فلم يبق صنم إلا خرَّ لوجهه، فقال إبليس لجنده: لقد حدث في الأرض حدث، لم يحدث مثله، ولا يكون هذا إلا عند خروج نبي ففرق جنده في الطلب، وأمرهم

---

(1) الزمخشري في تفسيره 4: 173.
والثعلبي في تفسيره ـ مخطوط.

أن يضربوا مشارق الأرض ومغاربها، وبعث تسعة نفر من أشراف جن نصيبين إلى أرض تهامة، وكان رئيسهم يسمى عمراً ولما انتهوا إلى بطن نخلة وجدوا النبي ﷺ قائماً يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن رقّت له قلوبهم، ودنا بعضهم من بعض حباً للقرآن حتى كادوا يتساقطون على النبي ﷺ وهو لا يعلم، وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1] فآمنوا بالنبي ﷺ، ورجعوا إلى قومهم منذرين ولم يأتوا إبليس، وقالوا لقومهم إنا سمعنا قرآناً عجباً أي بليغاً ذا عجب يعجب منه لبلاغته وحسن نظمه ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ وصدقنا أنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ﴾ من بعد هذا اليوم ﴿أَحَدًا﴾[2] كما أشرك إبليس فاستجاب لهم جماعة من الجن فجاءوا بهم إلى النبي ﷺ، فأقرأهم القرآن، وآمنوا به، وقالوا: يا رسول الله إن الأرض بيننا وبينك محل ليس لنا فيها شيء، فقال ﷺ: «**لكم الروث، وكل أرض سبخة تنزلون بها فتكون ملكية لكم، ولكم العظم فكل عظم مررتم عليه ستجدون عليه اللحم حيث يكون**» فمن ثم يكره أن يستنجى بالعظم والروث، ثم انصرفت الجن عنه، فأوحى الله إليه بهذه الآيات لبيان أن الجن لما ظهر لهم الحق اتبعوه فالإنس أولى بذلك لأنهم ولد آدم، فكان المخالف منهم ألوم، ومعنى الآية: قل يا محمد لأهل مكة أوحي إلي أنه استمع إلى القرآن طائفة من الجن فلما رجعوا إلى قومهم قالوا يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ بعد هذا اليوم أي لا نطيع إبليس في الشرك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ هذا من قول الجن لقومهم معطوف على قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ومعنى الآية: وإنه تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة ولا ولداً، وهذا كما يقال: فلان أعظم وأجل من أن يفعل كذا وكذا فالجد العظمة، وقال الحسن: معنى الجد في هذه الآية: الغناء ومنه قولهم في

---

(1) سورة الأحقاف: 46، الآية: 29.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9: 672ـ 673 رقم 4921، كتاب التفسير. والطبري في تفسيره 14: 127ـ 128 رقم 27167.

الدعاء: ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغناء منك غناه[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ المراد بالسفيه في هذه الآية: إبليس، وقيل: من كان لا يؤمن من الجن، وسفهه: أن جعل لله صاحبة وولداً، والشطط: السرف في الخروج عن الحق، وسمي القول البعيد شططاً من قولهم: شطت الدار إذا بعدت، وقيل الشطط: الكذب والجور وهو وصفه بالشرك والولد قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي قالت الجن إنا ظننا أن الإنس والجن كانوا لا يكذبون على الله بأن الله له شريكاً، وصاحبة، وولداً أي كنا نظنهم صادقين حتى سمعنا القرآن، والمعنى: كما نظنهم صادقين في قولهم أن لله صاحبة وولداً حتى سمعنا القرآن، وتبينا الحق منه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ معناه: أن أهل الجاهلية كانوا إذا نزلوا بواد أو بأرض فأمسوا هنالك قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه أرادوا بذلك سيد الجن فيبيتون في جوار منهم يحفظونهم حتى يصبحوا.

وقالت الجن قد سعدنا الجن والإنس حتى بلغ سؤددنا الإنس، فزادهم تعوذ الإنس بهم رهقاً أي كبراً وعظمة في نفوسهم وسفها وطغياناً وظلماً، وعن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة وآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاءنا ذئب، فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي ينادي يا عامر الوادي جارك، فنادى منادٍ لا نراه: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد فلما دخل بين الغنم لم يصبه شيء فأنزل الله تعالى على رسوله بمكة[2]: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال ابن عباس يعني زادوهم بهذا التعوذ طغياناً حتى قالوا سعدنا الجن والإنس، والرهق في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن

---

(1) تفسير الطبري 14: 130.
تفسير القرطبي 19: 8.

(2) ابن كثير في تفسير القرآن العظيم 7: 132.
القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 19: 10.

﴿يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ معناه: وإن كفار الجن ظنوا كما ظننتم يا أهل مكة أن لن يبعث الله رسولاً، ويقال: أن لن يبعث الله أحداً من قبره بعد الموت والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنكم أيها المشركون لا تؤمنون.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿8﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿9﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿10﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿11﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿12﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿13﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ هذا إخبار عن قول الجن الذين سمعوا القرآن وآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين والمعنى: إنا صعدنا السماء وآتيناها للطلب كما كنا نستمع إلى الملائكة من قبل فوجدناها ملئت حفظة أقوياء من الملائكة، ونيراناً مضيئة يرمون بها إلينا، ويزجروننا عن الاستماع، والحرس: جمع الحارس وهو الحافظ، والشهب: جمع الشهاب، وهو الشعاع الذي يحدث من النجم، ويسير في الهوى تسميه العامة: الكوكب المنقض.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ روي[1] عن ابن عباس أنه كان يقول لم تكن قبيلة من الجن إلا ولها من السماء مقاعد للسمع فكان إذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديدة ألقيت على الصفا فإذا سمعته الملائكة خروا لها سجداً ثم تقول الملائكة بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو العلي الكبير، وإن كان مما يكون في الأرض من غيب أو موت تكلموا به فتسمعه الشياطين، فينزلون به على أوليائهم من الإنس، فلما بعث النبي ﷺ زجروا بالنجوم فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي من يحاول الاستماع الآن يجد له كوكباً قد أرصد له يرمى بناره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ

---

(1) تفسير القرطبي 19: 12.

رَشَدًا﴾ معناه: إنهم قالوا لا ندري إذ رمينا بالشهب أن الله تعالى أراد إنزال العذاب بالإنس لمعاصيهم أو أراد بعث الرسول ﷺ وذلك أن السماء لم تحرس قط إلا لنبوة أو عقوبة عاجلة عامة قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي منا المطيعون لله في أمره ونهيه، ومنا أهل المعاصي ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي كنا أهل ملة، وكنا مؤمنين وكافرين، وقيل كنا جماعة متفرقين أي أصنافاً مختلفة والقدة: القطعة من الشيء، ويقال: صار القوم قدداً إذا تفرقت حالاتهم.

قال الحسن: الجن أمثالكم منهم: مرجئة، وقدرية، ورافضة، وشيعة وقال الأخفش: معنى قولهم كنا طرائق أي ضروباً، وقال أبو عبيدة: أصنافاً. وقال المؤرج: أجناساً، وقال ابن كيسان: شيعاً، وفرقاً لكل فرقة هوى(1)، وقال المسيب: كنا مسلمين، ويهوداً، ونصارى، ويقال: فلان طريقة قومه أي سيدهم مطاع فيهم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ أي إنا علمنا أن لن نعجز الله في الأرض إذا أراد بنا أمراً، ولن نعجزه هرباً أي إنه يدركنا حيث كنا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي لما سمعنا القرآن آمنا به وصدقنا أنه من عند الله ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ أي لا يخاف نقصاناً من ثواب عمله ولا رهقاً أي ولا ظلماً ولا مكروهاً يغشاه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا (14) وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا (16) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17) وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (18) وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي منا الجائرون الظالمون قال ابن عباس القاسطون: هم الذين جعلوا لله نداً، فالقاسط: هو العادل عن

(1) تراجع هذه الأقوال في معالم التنزيل 5: 463.

الحق، والمقسط: هو العادل إلى الحق، ونظيره: ترب الرجل: إذا افتقر، وأترب: إذا استغنى، فالأول: هو الذي ذهب ماله، حتى قعد على التراب، والثاني: كثر ماله حتى صار كالتراب[1]. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ معناه: فمن أخلص بالتوحيد ﴿فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي قصدوا إصابة الخير والحق ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي العادلون عن طريقة الإسلام فأولئك بمنزلة الحطب في النار تشتعل في أبدانهم إلى هنا كلام الجن وانقطع.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ معناه: وأوحى إليّ أن لو استقام أهل مكة على طريقة الهدى لوسعنا عليهم أرزاقهم بالمطر والنبات والماء الغدق الكثير، قال مقاتل معناه: لأسقيناهم ماء كثيراً من السماء بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[3] ويقال مكان غدِق بكسر الدال، إذا كان كثير النداء، وعيش غيداق: أي واسع، والغدق بفتح الدال مصدر قوله تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ معناه: لأسقيناهم ماء غدقاً أي لأعطيناهم مالاً كثيراً أو عيشاً رغيداً، ووسعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم في الدنيا لنفتنهم أي لنتعبدهم بالشكر.

وذهب الكلبي إلى أن معنى الآية لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة فكانوا كفاراً كلهم لأعطيناهم مالاً كثيراً، ووسعنا عليهم، وأرغدنا عيشهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم، واستدراجاً حتى يفتتنوا بهذا فيعذبهم[4]، قال عمر رضي الله عنه أين ما كان المال كانت الفتنة[5]، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا

(1) تفسير الطبري 14: 141.
(2) سورة الأعراف: 7، الآية: 96.
(3) سورة المائدة: 5، الآية: 66.
(4) الثعلبي في تفسيره: خ.
(5) الثعلبي نفسه.

ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1] والقول الأول أولى لأن الطريقة معرفة بالألف واللام ولا تذكر الاستقامة إلا على الحق. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يعني من يعرض عن القرآن ندخله عذاباً شاقاً ذا صعد أي ذا مشقة، والصعد: الشاق الشديد، ومنه قولهم: تنفس الصعداء، وفي الحديث: «**إن الصُّعُود صخرة ملساء في جهنم يكلف الكافر صعودها يجذب من أمامه بالسلاسل، ويضرب من خلفه بالمقامع فإذا انتهى إلى أعلاها ولا يبلغه إلا في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها أجذب إلى أسفلها فكان دأبه هذا أبداً**»[2]، ويقال: سلكت الشيء وأسلكته بمعنى واحد وهو الإدخال، قرأ كوفي ويعقوب «يسلكه» بالياء، وقرأ «مسلم بن جندب»[3] بنون مضمومة وكسر[4] اللام قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني هذه المساجد المعلومة لم تبنَ إلا لذكر الله فلا تدعو مع الله فيها أحداً غير الله كما يدعو النصارى في بيعهم، وكما دعا المشركون في كعبة ربهم، وعن الحسن قال: من السنة أنه إذا دخل أحد المسجد أن يقول: لا إلٰه إلا الله لا أدعو مع الله أحداً وقيل إن المساجد: ما يسجد الإنسان عليه من جبهته، وبدنه، وصدور قدميه فلا تضعوا هذه الأراب[5] في التراب لغير خالقها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ معناه: وأنه لما قام النبي ﷺ يدعو الله، ويقرأ القرآن في الصلاة ببطن نخلة بين مكة والطائف، وأتاه التسعة من الجن، وكادوا يسقطون عليه رغبة في القرآن وتعجباً منه وحباً لاستماعه، ومعنى لبداً: كاد يركب بعضهم بعضاً في الازدحام ومن قرأ «لبداً» وهي قراءة مجاهد فهو بمعنى الكثير من قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾.

---

(1) سورة الأنعام: 6، الآية: 44.

(2) ذكره القرطبي في تفسيره 19: 20 عن عكرمة والكلبي.

(3) أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلي تابعي مشهور، أدب عمر بن عبد العزيز وقال عنه من أراد أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه على قراءة مسلم بن جندب، وحدث عنه زيد بن أسلم وآخرون توفي في المدينة سنة ثلاثين ومائة هجرية، غاية النهاية 2: 297 رقم 3600.

(4) المهذب في القراءات العشر: 308، وتفسير القرطبي 19: 19.

(5) روي عن النبي ﷺ قال: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة، وأشار بيده إلى أنفه، واليدين والركبتين وأطراف القدمين، القرطبي نفسه، وابن ماجه في سننه 1: 286 رقم 884.

وقال الحسن وقتادة: لما قام رسول الله ﷺ بإظهار الدين تلبدت الجن والإنس على أن يطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناوأه[1] ويقال: لما قام ﷺ في عبادته بمكة كاد مشركو مكة بشدة كيدهم له أن يكونوا عليه متكاتفين بعضهم فوق بعض ليزيلوه بذلك عن دعوته إلى الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿20﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿21﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿22﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿23﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أي قال النبي ﷺ لأهل مكة حين قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم فارجع عنه، فقال لهم: «**إنما أدعوا ربي أي أعبده، وأدعو الخلق إليه، ولا أشرك به أحداً من خلقه**»، وقرأ الأعمش، وعاصم، وحمزة[2]: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي أنزل الله على النبي ﷺ: قل يا محمد إنما أدعو ربي، ولا أشرك به أحداً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي قل لأهل مكة: إني لا أملك تغيير نعم الله عليكم، ولا أجبركم على الإيمان، ولا يملك ضركم ورشدكم إلا الله، وإنما أنا عبد خاضع إن عصيت فلا مجير لي ولا ناصر ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي مدخلاً في الأرض ولا ملجئاً ألجأ إليه، ولا حرزاً أميل إليه، واشتقاق الملتحد: من اللحد قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ أي لا ينجيني من عذاب الله إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به، وبذلك أرجو النجاة، ونيل الكرامة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ معناه: ومن يعص الله ورسوله من الأمم بعد البلوغ فلم يؤمن فإن له نار جهنم جواب الشرط بالفاء ولذلك لا يجوز إلا بالكسر. خالدين فيها نصب على الحال.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿24﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿25﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 466.
(2) النشر في القراءات العشر 2: 392.

عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿26﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿27﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿28﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ ابتداء الكلام والعرب تبتدىء بحتى والمعنى حتى إذا رأى الكفار الذين يستطيلون على النبي ﷺ العذاب لما في الدنيا أو في الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ أي من أضعف مانعاً، وأقل جنداً أهم أم المؤمنون، فلما سمعوا هذا قال النضر بن الحارث متى هذا الوعد الذي تعدنا به؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب أي ما أدري أقريب هذا العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أي غاية وبعداً. قال عطاء: يعني أنه لا يعلم يوم القيامة إلا الله وحده وهو قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿26﴾﴾ أي لا يطلع على غيبه أحداً من خلقه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه إذا أراد اطلاعه بالوحي على ما يشاء من الغيب جعل من بين يدي الرسول ومن خلفه حفظة من الملائكة ليحيطوه ويحفظوه ويحفظوا الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة، وذلك أن الله تعالى كان إذا أنزل جبريل بالوحي على النبي ﷺ أرسل معه ملائكة يحيطون به وبالنبي ﷺ حتى يفرغ من وحيه كي لا يقرب منه شيطان ولا جان يذهبون به إلى كهنتهم حتى يكون النبي ﷺ أول من تكلم به ليكون ذلك دليلاً على نبوته[1] قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي ليعلم محمد ﷺ أن الملائكة قد أبلغوا رسالات ربهم، وأن الرسالة لم تصل إلى غيره وقيل ليعلم الجن والإنس أنهم قد أبلغوا، وفي قراءة ابن عباس لِيُعلم بضم الياء[2] وهذه الآية تدل على أن من ادعى أنه يعلم بالنجوم ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فهو كافر بالقرآن وما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي أحاط علمه بما عندهم يعني أحاط علم الله بما عند الرسل فلم يخف عليه شيء، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ أي علم عدد الأشياء وأوقاتها كلها مع كثرتها على تفاصيلها لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل.

---

(1) الطبري في تفسيره 14: 152، رقم 27255.

(2) القرطبي في تفسيره 19: 30.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

سورة المزمل مكية إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى آخر السورة. وإن ذلك نزل بالمدينة، وعدد حروف هذه السورة: ثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفاً، ومائتان وخمس وثمانون كلمة، وعشرون آية، قال ﷺ: **«من قرأ سورة المزمل دفع عنه العسر في الدنيا والآخرة»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ
عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا
وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑦ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑧
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ⑩﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الخطاب للنبي ﷺ، نودي في حال كونه متلففاً بثيابه في بعض الليل، وأمر بالقيام بالصلاة، وهجران النوم، والمعنى: يا أيها المتلفف بثيابه يقال: تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به، وزمّل غيره إذا غطاه، قال أبو عبد الله الجدلي: سألت عائشة رضي الله عنها عن

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.
الزمخشري في الكشاف 4: 179.

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ما كان تزمله؟ قالت كان لي مرط طوله أربعة عشر ذراعاً نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه علي رسول الله ﷺ وهو يصلي، قال: فسألتها مما كان؟ قالت: والله ما كان خزاً، ولا قزاً ولا صوفاً، وكان سداه شعراً، ولحمته وبراً[1].

وقال السدي معناه: يا أيها النائم قم فصلِّ، قالت الحكماء: إنما خوطب بالمزمل والمدثر في أول الأمر لأنه لم يكن بلّغ شيئاً من الرسالة، ثم خوطب بعد ذلك: يا أيها النبي، ويا أيها الرسول[2] قوله تعالى: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أي قم للصلاة أي صل أكثر الليل أو قم نصف الليل أو أنقص من النصف قليلاً أو زد على النصف، خيّره الله في قيام الليل في هذه الساعات قال المفسرون معنى قوله تعالى: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أي أنقص من النصف إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين جعل له سعة في قيام الليل وخيره في هذه الساعات قال الحسن رضي الله عنه: فرض الله على النبي ﷺ، وعلى أصحابه وهم بمكة أن يقوموا ثلث الليل فما زاد وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: أما تقرءون هذه السورة يا أيها المزمل؟ قالوا: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ، وأصحابه حتى تنفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمة السورة اثني عشر شهراً، ثم نزل التخفيف في آخر السورة بعد أن قام النبي ﷺ، وأصحابه حولاً، فصار قيام الليل تطوعاً بعد ذلك، وكان قيامه فرضاً[3] قبل أن تفرض الصلوات الخمس ولا خلاف بين المسلمين في أن قيام الليل مندوب إليه مرغوب فيه، قال ﷺ: «**أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه**

---

(1) الثعلبي نفسه.

(2) القرطبي في تفسيره 19: 32.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 6: 25 «صلاة الليل».
وأخرجه أبو داود في سننه 2: 41 رقم 1342 كتاب الصلاة.
والذي سأل عائشة رضي الله عنها، سعد بن هشام بن عامر، وبرفقته «حكيم بن أفلح الحجازي».

وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً»[1]، وروي أن هذه الآية لما نزلت قام النبي ﷺ، وأصحابه وكان الرجل من أصحابه لا يدري متى ثلث الليل، ومتى النصف، ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب حتى شق عليهم ذلك وانتفخت أقدامهم، وتغيرت ألوانهم، فرحمهم الله، وخفف عنهم[2]، ونسخها بقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾[3] وكان بين أول السورة وآخرها سنة.

قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي بيّنه بياناً، واقرأه قراءة بينة، والترتيل: ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتبيين وتثبيت من غير عجلة، وكذلك الترسل والمعنى: تفهَّم معانيه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وأما الحدر: فهو الإسراع في القراءة، وعن ابن عمر قال: كان كلام رسول الله ﷺ ترتيلاً أي ترسلاً، وقال أبو حمزة قلت لابن عباس: إني رجل في قراءتي وكلامي عجلة، فقال ابن عباس: لأن أقرأ البقرة أرتلها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ليس على ثقل الحفظ ولكن كما قال الحسن: إنهم ليهذونه هذا، ولكن العمل به ثقيل، قال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده[4]، وقال مقاتل: ثقيل لما فيه من الأمر والنهي والحدود، وقال أبو العالية: ثقيل بالوعد والوعيد، والحلال والحرام، فلا يقدر أحد يؤدي جميع أوامره إلا بتكلف ثقيل عليه، ويقال معناه: كلاماً محكماً ليس بسفساف، كما يقال: هذا كلام له وزن، وقيل: إنما سمي ثقيلاً لثقله في الميزان، مع خفته على اللسان، وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال العمل به، وقيل ثقيل لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيته ينزل على رسول الله ﷺ في اليوم

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه 1: 546 رقم 1712 كتاب الصيام.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك: 2 كتاب التفسير.
والطبري في تفسيره عن ابن عباس وغيره 14: 156.
(3) سورة المزمل: 73، الآية: 20.
(4) الطبري في تفسيره 14: 158.

الشديد البرد فينفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً، وقالت عائشة أيضاً: إن كان ليوحى إليه وهو على راحلته فتضرب بجرابها[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ معناه: إن القيام في ساعات الليل أثقل وأشد على القائم من القيام بالنهار لأن الليل إنما خلق للراحة والسكون ففعل الطاعة فيه أشق من فعلها بالنهار، وقال ابن مسعود: ناشية الليل: قيام الليل، وقالت عائشة رضي الله عنها الناشية: القيام بعد النوم وعن ابن الأعرابي إذا نمت أول الليل ثم قمت قيل: النشئة ومنه ناشئة الليل، وقيل ناشئة الليل: ساعاته كلها، وكل ساعة منه فهي ناشئة سميت بذلك لأنها تنشأ ومنه نشأت السحابة إذا بثت وجمعها ناشئات.

وعن حاتم بن أبي مغيرة قال: سألت ابن أبي مليكة عن ناشئة الليل: فقال على الخبير سقطت سألت عنها ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة، وسألت ابن الزبير عنها فأخبرني مثل ذلك، وقال ابن جبير: مثل ذلك أي ساعة قام من الليل فقد نشأ، وقال قتادة: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، وقال عبيد بن عمير لعائشة رضي الله عنها رجل قام من أول الليل أيقال له قام ناشئة؟ قالت: لا، إنما الناشئة القيام بعد النوم، وقال ابن كيسان في القيام من آخر الليل، وعن ابن عباس قال: إذا نشأت قائماً فهو ناشئة، وعن مجاهد أنه قال: إذا قام الإنسان الليل كله فصلى فهو ناشئة، وما كان بعد العشاء الأخيرة فهو ناشئة[2] قوله تعالى: ﴿هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي أثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان إذا ثقل عليهم ما يلزمهم، ومنه قوله ﷺ: «**اللهم أشدد وطأتك على مضر**» وقرأ أبو عمرو، وابن عامر وِطاء بكسر الواو والمد[3] على معنى المواطأة، والموافقة ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا

(1) القرطبي في تفسيره 19: 41.
والثعلبي في تفسيره: خ.
(2) تراجع هذه الأقوال في معالم التنزيل للبغوي 5: 471.
(3) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 405.

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[1] قال ابن عباس: يواطىء السمع القلب والمعنى إن الصلاة ناشئة الليل يواطىء السمع القلب فيها أكثر مما يواطىء في ساعات النهار لأن البال أفرغ للانقطاع عن كثير مما يشغل بالنهار، يقال: وطأت فلاناً على كذا مواطأة ووطأته إذا وافقته عليه قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي أبين قولاً بالقرآن، وقيل: أشد استقامة، وأطرب قراءة وعبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً، وأكثر بركة قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ أي لك في النهار تصرفاً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك وسعة لتصرفك وقضاء حوائجك والمعنى: إن لك في النهار فراغاً للنوم والتصرف في الحوائج فصلّ من الليل، والسبح: التقلّب ومنه السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه، وقيل معناه إن لك في النهار تصرفاً وانشغالاً في حوائجك بحيث لا يفرغ فيه لصلاة الفضل فخذ حظك من قيام الليل، وكان شغل النبي ﷺ بالنهار ما كان عليه من تبليغ الوحي والرسالة، وتعليم الناس الفرائض والسنن وقيامه بآدائها وأمور معايشه، ومعاش عياله.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ معناه: واذكر اسم ربك بالتوحيد والتعظيم، ويجوز أن يكون المراد به الذكر المشروع لافتتاح الصلاة، ويجوز أن يكون المراد به كثرة ذكر الله في الصلاة وخارج الصلاة قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي انقطع إلى الله في العبادة، وتأميل الخير منه دون غيره، ومن هذا سميت مريم البتول لأنها انقطعت إلى الله في العبادة والتبتل في اللغة: القطع وتمييز الشيء من الشيء ومنه صدقة بتلة أي منقطعة من مال صاحبه، وطلقة بتلة قاطعة للزوجية وإنما قال: تبتيلاً، ولم يقل: تبتلاً على معنى: بتّل نفسك إليه تبتيلاً، وقال ابن عباس: معنى ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي أخلص إليه إخلاصاً، وقال الحسن: اجتهد اجتهاداً، وقال شقيق توكل عليه توكلاً، وقال زيد بن أسلم: التبتل رفض الدنيا، وما فيها، والتماس ما عند الله قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو، ونافع، وحفص: رب المشرق بالرفع على معنى: هو رب المشرق، وقرأ الباقون

(1) سورة التوبة: 9، الآية: 37.

بالخفض على نعت الرب[1] في قوله: ﴿ٱسْمَ رَبِّكَ﴾، وقيل على البدل منه، ويجوز أن يكون قراءة الرفع على الابتداء، وخبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقوله ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي اتخذه حافظاً لك وكفيلاً فيما وعدك من النصر والثواب لك ولأمتك قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ معنى: واصبر يا محمد على ما يقوله الكفار والمنافقون من التكذيب والأذاء ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه أي اقتصر على إظهار الوجد من غير خصومة، وهذا قبل الأمر بالقتال.

قال الله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11) إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (14) إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا (16) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا (17) ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا (18) إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (19)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي كَلْ أمرهم إليّ ولا تهتم بهم فإني أكفيكهم يقال: ذرني وزيداً، ودعني وزيداً أي لا تهتم به فإني كافيه قوله تعالى: ﴿أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي ذوى الغناء وكثرة المال قالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ لم يكن إلا يسير حتى وقعت وقعة بدر[2]، والنَّعمة بفتح النون النعم والنعمة بالكسر المال والغناء، والنُعمة والنعماء: قرّة العين بضم النون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي إن عندنا في الآخرة لهم قيوداً وأغلالاً واحدها نكل وهو القيد من الحديد لا يحل وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ لا يسوغ في الحلق يعني: الزقوم، وقال عكرمة: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج[3]، وقال الزجاج يعني

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 2: 245.
النحاس في إعراب القرآن 5: 57.
(2) ذكره الطبري في تفسيره 14: 167 رقم 27316.
(3) تفسير القرطبي 19: 46، نسبه لابن عباس.

الضريع[1]، وقيل هو طعام يأخذ بحلوقهم لخشونته وحرارته لا ينزل فيها بل تضيق أنفاسهم عنها فيختنقون بها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أخبر الله تعالى: إن هذا العذاب المذكور يكون في يوم ترجف الأرض والجبال أي تزلزل وتحرك، وهو يوم القيامة، والراجفة: من أسماء القيامة. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي رملاً سائلاً يقال: تراب مهيل ومهيول: أي مصبوب ومرسل، والكثيب: القطعة العظيمة من الرمل إذا حرك أسفلها انهال أعلاها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي بعثنا إليكم محمداً يا أهل مكة رسولاً شاهداً عليكم بالتبليغ، ويشهد عليكم بأعمالكم يوم القيامة ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عليه السلام ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ موسى ولم يجبه إلى ما دعاه ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي عاقبنا فرعون عقوبة غليظة يعني الغرق والوبيل الثقيل جداً، ومنه الوبال لثقله، ويقال للمطر العظيم الوابل، وطعام وبيل أي ثقيل وخم قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ أي بأي شيء تتحصنون من عذاب الله يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ولم تؤمنوا برسولكم.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ معناه: فكيف تتقون إن كفرتم عذاب يوم يجعل الولدان شيباً أي يشيب الصغار في ذلك اليوم، وذلك حين يسمعون النداء يا آدم ابعث بعثك من ذريتك إلى النار من كل ألف واحد إلى الجنة، والباقي في النار، فعند ذلك يشيب الصغير فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الواحد، فقال: «**إني أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فكبروا وحمدوا، فقال: «**إني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، فكبروا وحمدوا فقال: «**ما أنتم في النار إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود**»[2] وقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ أي السماء منشقة بذلك اليوم، وذكر السماء لأن معناهما: السقف كما في قوله: ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ أي كان وعد الله من البعث وأهوال يوم القيامة كائناً لا شك فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ أي

(1) معاني القرآن وإعرابه 5: 242.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 3: 97، باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.
(3) سورة الأنبياء: 21، الآية: 32.

إن هذه السورة عظة للناس، وقيل معناه: إن آيات القرآن موعظة فمن شاء اتخذ إلى طاعة ربه سبيلاً أي طريقاً.

قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ (20)﴾،

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ معناه: إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقل من ثلثي الليل في بعض الليالي، وأقل من نصف الليل في بعض الليالي، وأقل من الثلث في بعضها وقوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني المؤمنين كانوا يقومون معه، وقرأ الكوفيون وابن كثير: ونصفه وثلثه بالنصب فيهما على معنى ويقوم ثلثه ونصفه[(1)].

قال الحسن: ولم يقم النبي ﷺ قط أقل من الثلث وإنما قال أدنى في الطائفة الذين معه، ولفظة أدنى يعقل منها القلة لا يقال عندي دون العشرة الأول والنقصان فيها قليل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي يعلم مقادير ساعاتها على الحقيقة. ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي علم أنكم لم تعلموا حقيقة قدرهما يعني أنكم لا تعرفون مقادير الليل والنهار، وإذا لم تعلموا حقيقة المقدار الذي أمرتم بالقيام فيه لم تطيقوه إلا بمشقة فتاب عليكم أي فتجاوز عنكم قيام الليل بالتخفيف[(2)] عنكم ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ في صلاة الليل ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ لا يقدرون على قيام الليل بقراءة السور الطوال قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي وآخرون يسافرون لطلب رزق الله تعالى فلا يطيقون ذلك، وعلم أن فيكم من يجاهد في سبيل الله يعني يقاتل أعداء الله لا يطيقون قيام الليل ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي من القرآن في الصلاة قوله تعالى:

(1) مكي في الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 2: 345.
(2) ابن العربي في الناسخ والمنسوخ 2: 403.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أقيموا الصلوات الخمس بشرائطها، وما يجب من حق لله تعالى فيها، فنسخ قيام الليل بالصلوات الخمس على المؤمنين، وثبت على النبي ﷺ[1] خاصة قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني المفروضة ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا﴾ من الصدقة سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف، وصدقة التطوع قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ما تفعلوا من صدقة فريضة أو تطوع، أو عمل صالح تجدوا ثوابه عند الله خيراً لكم مما أسلفتم وأعظم أجراً في الآخرة من الذي تؤخره إلى وصيتك عند الموت وإنما انتصب خيراً لأنه المفعول الثاني، ودخل (هو) فصلاً، ويسميه الكوفيون: العماد ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ لما مضى من الذنوب، والتقصير في الطاعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن استغفر ﴿رَّحِيمٌ﴾ لمن مات على التوبة، وقد تضمنت هذه الآية معاني:

أحدها: أنه نسخ بها فريضة قيام الليل، **والثاني**: أنها تدل على لزوم فرض القراءة في الصلاة لأن القراءة لا تلزم في غير الصلاة، **والثالث**: دلالة جواز الصلاة بقليل القراءة. **والرابع**: أن ترك قراءة الفاتحة في الصلاة لا يمنع جوازها إذا قرأ فيها غيرها. فإن قيل هذه الآية نزلت في قيام الليل وذلك منسوخ فكيف يستدلون بها على هذه الأحكام قلنا المراد بقوله: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أمر بالقراءة بعد ذكر النسخ ثم نسخ فرض الصلاة لا يوجب نسخ شرائطها، وسائر أحكامها فإن قيل المراد بقوله: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ﴾ في الصلاة التطوع قلنا: إذا ثبت وجوب ذلك وحكمه في التطوع فالفرض مثله لأن أحداً لا يفرق بينهما في هذه الأحكام، وصلاة التطوع وإن لم تكن فرضاً لكن إذا شرع فيها لزمه إقامتها بجميع أركانها كما يلزمه إقامتها بجميع شرائطها من الطهارة، وستر العورة، ونحو ذلك.

(1) القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» 19: 54.

سُورَةُ المُدَّثِّر

سورة المدثر مكية، وهي ألف وعشرة أحرف، ومائتان وخمس وخمسون كلمة، وست وخمسون آية، قال ﷺ: «**من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من صدَّق بمحمد ﷺ، وكذَّب به**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ
(5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (7) فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ (8) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَسِيرٌ (9) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10) ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّآ إِنَّهُۥ
كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (17)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يسير إلى جبل حراء إذ سمع منادياً ينادي من فوق رأسه يقول يا محمد فنظر من خلفه يميناً وشمالاً وإلى السماء فلم ير شيئاً فمضى على وجهه، فنودي الثانية فنظر كذلك فلم ير شيئاً ففزع ومضى على وجهه، فنودي الثالثة،

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.
الزمخشري في الكشاف 4: 188.

فنظر خلفه يميناً وشمالاً ثم نظر إلى السماء، فنظر مثل السرير بين السماء والأرض عليه جبريل مثل النور المتوقد يتلألأ. ففزع فوقع مغشياً عليه، ثم أفاق فقام يمشي ورجلاه مصطكتان، فرجع حتى دخل على خديجة فصبت عليه ماء بارداً، فقال «**دثروني دثروني**» فدثروه بقطيفة حتى استدفأ ثم قال: «**لقد أشفقت على نفسي**»، فقالت خديجة: أبشر فوالله ما يخزيك الله أبداً: إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر، فأتاه جبريل عليه السلام وهو متدثر بثيابه مضطجعاً على فراشه ليلاً[1] فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بثيابه مضطجعاً على فراشه ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ كفار مكة العذاب إن لم يوحدوا ربك، وادعهم إلى الصلاة والتوحيد، والدثار: ما تدثر به من الثوب الخارج، والشعار: الثوب الذي يلي الجسد قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي صفه بالتعظيم، وعظمه مما يقول عبدة الأوثان ويقال: أراد به التكبير لافتتاح الصلاة قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي طهر ثيابك من النجاسة لإقامة الصلاة، وقيل معناه: طهر نفسك وخلقك عما لا يحمد لك، وقيل معناه: وقلبك فطهره، وقد يعبر بالثوب عن القلب، وقيل معناه: وعملك فأصلحه قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً إنه طاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه خبيث الثياب قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ أي والإثم فاتركه ولا تقربه، وقيل معناه: والأصنام فتباعد عنها، والرجز في اللغة: العذاب، والمعنى على هذا فاهجر ما يؤديك إلى عذاب الله.

قرأ الحسن وعكرمة ومجاهد، وشيبة ويعقوب: والرُّجز بضم الراء ومثله روي عن عاصم، وقرأ الباقون بكسرها وهما لغتان[2] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ معناه: لا تعط شيئاً من مالك لتأخذ أكثر منه، والمعنى: لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه في الدنيا اعطِ لربك. أدَّب الله نبيه ﷺ بأشرف الآداب،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9: 682، كتاب التفسير.
أسباب النزول للواحدي: 375.

(2) الكشف عن وجوه القراءات 2: 347.
والنشر في القراءات العشر 2: 393.
والفراء في معاني القرآن 3: 200.

وقيل معناه: لا تمنن بالنبوة على الناس مستكثراً عملك، وقيل معناه لا تعط شيئاً، وتعطى أكثر من ذلك، وهذا للنبي ﷺ خاصة لأنه كان في أعلى مكارم الأخلاق كما حرمت عليه الصدقة، وأما غيره فليس عليه إثم في أن يهدى هدية يتوقع بها أكثر منها قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ على الأذى والتكذيب وقيل فاصبر على البلوى والامتحان، فإن الله يمتحن أحباءه وأصفياءه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ أي فإذا نفخ في الصور يعني النفخة الثانية فذلك يومئذ يوم عسير يعني يوم القيامة النفخ في الصور يوم عسير يعسر فيه الأمر على الكفار وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ بدل من يوم عسير أي لا يكون هيناً عليهم. قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ يعني الوليد بن المغيرة المخزومي خلقته في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد أي كل امرىء خلقته فريداً بلا مال ولا ولد ثم أعطيته بعد ذلك مالاً ممدوداً أي كثيراً يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة قال عطاء ما بين مكة إلى الطائف من الإبل المؤبلة، والخيل المسومة، وعبيد وجوار، وقيل معنى قوله تعالى: ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾ يأتي شيئاً بعد شيء غير منقطع، وقد اختلفوا في مبلغ ماله قال مجاهد وابن جبير مائة ألف مثقال، وقال سفيان الثوري ألف ألف مثقال، وقال مقاتل: كان له بستانان في الطائف لا ينقطع ثمارهما شتاء ولا صيفاً[1] قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي حضوراً معه بمكة لا يغيبون عنه قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر ولداً، وقال مجاهد: كانوا عشرة كلهم ذكور منهم الوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد، والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد فأسلم منهم ثلاثة[2]: خالد، وهشام، وعمارة قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك، وانتصب قوله: ﴿وَحِيدًا﴾ على الحال، ويجوز أن يكون صفة المخلوق على معنى: خلقته وحده، ويجوز أن يكون من صفة الخالق على معنى: خلقته وحدي لم يشركني

---

(1) تفسير القرطبي 19: 71.
(2) معالم التنزيل 5: 479.

في خلقته أحد[1] قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ أي بسطت له في العيش، وطول العمر بسطاً ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ كَلَّآۖ﴾ معناه: ثم يطمع أن أزيد له في المال والولد وقد كفر بي وبرسولي كلا لا أزيده فلم يزل الوليد بعد هذا في نقصان من المال والحال حتى صار يسأل الناس ومات فقيراً وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ معناه: إنه كان لكتابنا أو رسولنا معانداً، والعنيد: الذاهب عن الشيء على طريق العداوة، والجمل العنود: هو الذي يمر على جانب من القطار.

قوله تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي سأكلفه في النار ارتقاء الصعود وهو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف الكافر أن يرتقيه حتى إذا بلغ أعلاه في أربعين عاماً كلما وضع يده عليه ذابت وإذا رفعها عادت، وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: **«الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى منه كذلك أبداً كلما وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت، وكلما بلغ إلى أعلى ذلك الجبل أحدر إلى أسفله ثم يكلف أيضاً أن يصعد، فذلك دأبه أبداً يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد مسافة كل صعود أربعون سنة»**[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿18﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿19﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿20﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿21﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿22﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿23﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿24﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿25﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿26﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿27﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿28﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿29﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿30﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ معناه: إنه فكر في أمر النبي ﷺ في احتياله للباطل، وقدّر القول فيه، وقيل معناه: تفكر ماذا يقول في القرآن، وقدر القول

---

(1) النحاس في إعراب القرآن 5: 66.
الفراء في معاني القرآن 3: 201.
(2) أخرجه أحمد في المسند 3: 75.
وذكره الألباني في ضعيف الجامع 3: 3554.

في نفسه، وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1] قام النبي ﷺ في المسجد، والوليد بن المغيرة قريب منه يستمع قراءته، فلما نظر النبي ﷺ استماعه إلى قراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم وقال: والله لقد سمعت من محمد الآن كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأن قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه ثم انطلق فقعد إلى جنبه حزيناً، فقال له الوليد: ما لي أراك يا ابن أخي حزيناً قال: وما لي لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد وتدخل إليه، وإلى ابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم[2].

فغضب الوليد، وقال: ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالاً وولداً، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل، ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: إن الموسم قد دنا، وقد فشا أمر هذا الرجل في الناس، فماذا أنتم قائلون لمن يسألكم عنه؟ قالوا نقول: إنه مجنون، قال إذاً يخاطبونه، فيعلمون أنه غير مجنون، فقالوا نقول: إنه شاعر، فقال العرب يعلمون الشعر، ويعلمون أن الذي أتى به غير الشعر، فقالوا نقول: إنه كاهن فقال: إن الكاهن يصيب ويخطىء، ولا يقول في كهانته: إن شاء الله وهذا يقول في كلامه إن شاء الله، وقوله لا يشبه قول الكهنة، فقال بعضهم لبعض: قد صبأ الوليد وإن صبأ لم يبق أحد من قريش إلا صبأ، فقالوا له: كيف تقول أنت يا أبا المغيرة في محمد؟ فتفكر في نفسه، ثم نظر، ثم عبس، وقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه بسحره ألا ترون أنه يفرق بين المرء

---

(1) سورة غافر: 40، الآية: 1ـ 2ـ 3.

(2) الثعلبي في تفسيره.

وزوجه، فإن المرأة تكون معنا، ويكون زوجها معه، فتفرقوا على هذا القول. ومعنى الآية: إنه فكر ليجد شبهة يتعلق بها في تكذيبه، وقدر لينظر فيما قدر ليستقيم له أن يقوله أم لا قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي لعن وعذب على أي حال قدر من الكلام كما يقال لأضربنه كيف صنع أي على أي حالة كانت منه. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي ثم لعن وعوقب بعقاب آخر كيف ذهب إلى هذا التقدير ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ معناه: ثم نظر إلى النبي ﷺ نظر العداوة وبكراهة شديدة ليجد طعناً لهم وقيل ثم نظر في طلب ما يدفع به القرآن ويرده قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي ثم كلح في وجوه الصحابة رضي الله عنهم، وقبض جبهته، والبسور: أشد من العبوس، والمعنى: ثم كلح بوجهه، ونظر بكراهة شديدة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ أي أعرض عن قبول القرآن واتباع الرسول، وتعظيم الإيمان، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر أي قال ما هذا القرآن إلا سحر يروى عن السحرة أي يأثره محمد عن غيره، وذلك أنه كره أن يقول إن محمداً ساحر فيغضب بنو هاشم فقال: إن السحر في الأعاجم، وهذا إنما يأثر السحر عن غيره. وكان يقول في القرآن ما هو سحر ولا كهانة ولكنه سحر يؤثر عن قول البشر أي يحكى عنهم ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ يعني أنه كلام الإنس وليس من عند الله قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي سأدخله سقر وألزمه في الآخرة سقر بما فعل واستكبر عن قبول الحق، وسقر اسم من أسماء النار، وهي معرفة ومؤنثة فلذلك لم تنصرف قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لأمرها، وإنما سميت بهذا الاسم لشدة إيلامها من قولهم سقرته الشمس إذا آلمت دماغه قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي﴾ لحماً ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ عظماً، وعن مجاهد: لا تبقي من فيها حياً ولا تذره ميتاً[1] وقوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي مغيرة للجلد حتى تجعله أسود يقال: لوحته الشمس ولاحه السقم والحزن إذا غيّره، قيل إنها تغير الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل المظلم قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الزبانية الموكلين بتعذيب أهلها جاء في الحديث: «**إن أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم**

---

(1) أي كلما احترقوا جددوا، البغوي في معالم التنزيل 5: 482.

كصياصي[1] **البقر يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة تسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت الرحمة من قلوبهم يسرون بتعذيب أهل النار يدفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم**»، وقال ﷺ: «**في نعته لأحدهم مثل قوة الثقلين**»[2]، وقال عمرو بن دينار يدفع أحدهم بالدفعة الواحدة في جهنم مثل أكثر من ربيعة ومضر قال ابن عباس والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر يخوفكم بهم وأنتم الدهم يعني العدد الكثير أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطش بواحد منهم ثم يخرجون من النار، وروي أن أبا جهل قال لقريش ثكلتكم أمهاتكم أنتم الدهم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بخزنة جهنم، قال رجل من بني جمح يقال له: أسيد بن كلدة الجمحي أنا أكفيكم يا أهل مكة سبعة عشر أحمل عشرة منهم على ظهري، وسبعة على صدري فاكفوني أنتم اثنين، وروي أنه قال يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة، فأنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار فنمضي فندخل الجنة فأنزل[3] الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿31﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ﴾ أي ما جعلنا خزانها إلا ملائكة ومن المعلوم أن الملك الواحد إذا كان كافياً لقبض أرواحهم كان تسعة عشر ملكاً أكفاء ألا ترى أن ملكاً واحداً وهو ملك الموت يقبض أرواح الخلق كلهم فكيف يعجز تسعة عشر ملكاً عن تعذيب بعض الخلق قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي ما جعلنا عددهم في القلة إلا محنة لكفار مكة

---

(1) صياصي البقر: قرونها.

(2) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 1: 80ـ 81.

(3) البغوي نفسه.

لجهلهم بالملائكة وتوهمهم أنهم كالبشر والمعنى: وما جعلنا عدة هؤلاء الملائكة مع قلتهم في العدد إلا ضلالة للذين كفروا حتى قالوا ما قالوا من التكذيب وقولهم إنا نكفيكموهم وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي ليعلم اليهود والنصارى بذلك صحة نبوة النبي ﷺ حين يجدون ما أتى به موافقاً لما في التوراة والإنجيل فإن عدد هؤلاء الخزنة في كتبهم تسعة عشر، فيعلمون أن ما أتى به محمد ﷺ موافقاً لما عندهم قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ أي ولكي يزداد المؤمنون تصديقاً على تصديقهم لتصديق أهل الكتاب بذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي ولئلا يشك الذين أوتوا الكتاب في أمر القرآن، ولا يشك المؤمنون بالتدبر والتفكر فيه ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك ونفاق والمراد بهم المنافقون وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ يعني أهل مكة أي شيء أراد الله بذكر عدد خزنة جهنم صفة من قلة الملائكة يعني أنهم لا يصدقون بهذا العدد والمثل يكون الحديث أي يقولون ما هذا من الحديث قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي كما أضل من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدق بذلك يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والمعنى: يخذل الله من كان أهلاً للخذلان، ويوفق من كان أهلاً للهدى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله، وقيل معناه: وما يعلم جموع ربك يا محمد من الملائكة من عددهم ومقاديرهم وقوتهم إلا الله تعالى، قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ يعني سقر بالصفات التي ذكرها ما هي إلا عظة للخلق، وإنذاراً لهم بأن نار الدنيا تذكرهم نار الآخرة فيجتنبوا ما يؤديهم إليها.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (32) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (34) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (35) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (36) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37) كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ (39) فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (40) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (42) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (46) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (47) فَمَا تَنفَعُهُمْ

شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (48) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49)﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ هذا قسم على عظم شأن سقر معناه: حقاً والقمر والليل إذا جاء بعد النهار، والصبح إذا أضاء أن سقر لإحدى العظائم التي هن دركات النار والعرب تؤكد القسم بلفظ كلا كما تؤكده بحقاً، ويقال معناه: ورب القمر قرأ نافع وحمزة وخلف ويعقوب وحفص إذ أدبر على لفظ الإدبار إذا انقضى وذهب، ويقال كلاهما لغتان دبر النهار وأدبر[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ أي سقر لإحدى الكبر قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية[2] وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ قال الزجاج: هو حال من قوله: «قم» في أول السورة أي قم نذيراً[3] للبشر وهكذا روي عن ابن عباس، وقيل: نذيراً نصب على الحال على معنى: إنها كبيرة في حال الإنذار، وذكر النذير بلفظ التذكير لأن معنى النار العذاب يعني أن النار نذير للبشر، قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها[4].

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدل من قوله: للبشر، والمعنى: أنها نذير لمن شاء أن يتقدم في العبادة والإيمان والخير فينجو منها، أو يتأخر عن الطاعة والإيمان فيقع فيها، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل أحد ممن آمن أو كفر قال الحسن: هذا وعيد لهم كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[5] قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي كل نفس مأخوذة بعملها مرهونة به، وقال ابن عباس: مرتهنة في جهنم إلا أصحاب اليمين، وهم المؤمنون الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، فإن الله أفتك رقابهم من الرهن، وأدخلهم الجنة، ويقال: هم الأطفال الذين لا ذنوب لهم فإنهم غير مرتهنين، وعن عائشة

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات 2: 347.
الفراء في معاني القرآن 3: 204.
(2) البغوي في معالم التنزيل 5: 484 بنصه.
(3) معاني القرآن وإعرابه 5: 249.
(4) تفسير الطبري 14: 204، رقم 27481.
(5) سورة الكهف: 18، الآية: 29.

رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين أين هم؟ قال «**في الجنة**»[1]، وسألته عن أطفال المشركين، فقال: إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ معناه: في بساتين يتساءلون عن أهل النار يقولون لهم: أي شيء أدخلكم النار؟ وحبسكم فيها، فيقولون لهم: ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ لله في دار الدنيا ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ في الله ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ مع أهل الباطل في الباطل والتكذيب، وكنا نكذب بيوم الدين أي بيوم الحساب ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ فشاهدناه، ويجوز أن يكون اليقين هٰهنا الموت الذي يعرف المرء عنده أمر الآخرة يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ أي ما تنفعهم شفاعة الملائكة والنبيين كما تنفع الموحدين قال الحسن: لم تنفعهم شفاعة ملك، ولا شهيد، ولا مؤمن يشفع يومئذ النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ قال ابن مسعود: فهؤلاء الذين يبقون في جهنم قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾ معناه: فما لأهل مكة عن القرآن الذي يقرأ عليهم معرضين أي شيء لكفار مكة في الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن ولم يؤمنوا به مع هذه الأدلة ثم شبههم بالحمر الوحشية في إعراضهم عما يقرأ عليهم.

قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ (50) فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ (51) بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ (52) كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ (53) كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ (54) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (55) وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ (56)﴾.

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء[2] أي

---

(1) تفسير الطبري 14: 206ـ 207.

(2) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 411.
الفراء في معاني القرآن 3: 206.

متفرقة مذعورة يعني: فرت من الأسد قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه، وقال الضحاك ومقاتل القسورة: الرماة الذين يصدونها لا واحد له من لفظه قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ قال المفسرون: إن كفار مكة وقريش قالوا للنبي ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله بأنك رسوله يؤمر فيه باتباعك، والصحف جمع صحيفة ومنشرة معناه: منشورة وقيل معناه: بل يريدون بإفراط جهلهم أن يعطى كل واحد منهم كتاباً من السماء مفتوحاً هذا كتاب من فلان إلى فلان بأن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ معناه: كلا لا يؤتون الصحف، ولا يكون لهم ذلك بل هم لا يخافون الآخرة يعني لا يخافون عذاب الآخرة حين لم يؤمنوا بها، ولو خافوا ذلك لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالة قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي حقاً إن القرآن عظة من الله تعالى ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي اتعظ به وما يتعظون إلا أن يشاء الله ذلك لهم، وقيل: إلا أن يشاء الله لهم المشيئة، وقيل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ﴾ أي أهل أن يتقى فلا يعصى، ولا يجعل معه إلٰه آخر ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يغفر لمن اتقى قال الله تعالى: أنا أهل من اتقى، فلم يجعل معي إلٰهاً فمن اتقى أن يجعل معي إلٰهاً، فإني أهل أن أغفر له، وقال قتادة: هو أهل أن تتقى محارمه، وأهل أن يغفر الذنوب كلها.

سُورَةُ القِيَامَةِ

سورة القيامة مكية، وهي ستمائة واثنان وخمسون حرفاً، ومائة وتسعون كلمة، وأربعون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة القيامة، شهدت أنا وجبريل له يوم القيامة، إنه كان مؤمناً بيوم القيامة**[1]**، وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة**»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (1) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ
عِظَامَهُۥ (3) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (4) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (5) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ
يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (6)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ معناه: أقسم بيوم القيامة و «لا» صلة، وقال الفراء: «لا» ردٌّ على الذين أنكروا البعث والجنة والنار[3]، ويدل على إثبات القسم، قراءة الحسن والأعرج: لأقسم بغير ألف، وتقديره على هذه القراءة لأقسمن فحذفت النون قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ يعني بجميع أنفس الخلائق لأنه ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها قال ﷺ: «**ليس يوم القيامة أحد إلا ويلوم نفسه إن كان محسناً**» قال: يا ليتني

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 193، والثعلبي عن أبي بن كعب.

(2) معاني القرآن 3: 207.

ازددت، وإن كانت نفسه مسيئة قال: يا ليتني لم أفعل، فالمسيء ألوم وألزم، وقيل: إنما سميت النفس اللوامة لأنها كثيرة اللوم لا صبر لها على محن الدنيا وشدائدها، قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ يعني الكافر بالبعث يقول: أيظن الكافر أن لن نجمع عظامه بعد التفريق، ولن نبعثه في الآخرة بلى نجمعها قادرين على تسوية بنانه قال ابن عباس: المراد به أبو جهل يقول الله تعالى يحسب الإنسان أن لن يبعث بلى قادرين على أن نسوي بنانه على ما كان منه وإن قل عظامها وصغرت فنردها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان، ومن قدر على جمع صغار العظام كان على جمع كبارها أقدر، وقيل معناه: قادرين على أن نسوي بنانه وأنامله، ونجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير، أو كظلف الخنزير، أو كحافر الحمير فلا يمكنه أن يفعل بها شيئاً، ولكن مننا عليه ففرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء، ويقبض إذا شاء، ويبسط إذا شاء.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ أي بل يريد الكافر أن يكذب بما قدامه من البعث، ويقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويكفر أبدا ما عاش قال ابن الأنباري معناه: يفجر ما امتد عمره، وليس في نيته أن يتوب، والمعنى: ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت ولكنه يريد أن يفجر أمامه، وأن يمضي قُدماً في معاصي الله راكباً رأسه لا يقلع ولا يتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله، وأسوأ عمله، قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يسأل متى يوم القيامة تكذيباً به، ويقال في معنى ليفجر أمامه: أي ليعزم على الفجور في مستقبل عمره في أوقات لعله لا يعيش فيها ولا يبلغ إليها وأصل الفجور: الميل عن القصد يقال للكافر: فاجر، وللمكذب بالحق فاجر.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (9) يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (15) لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (17) فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ (21)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ معناه: إن يوم القيامة يكون إذا حار

البصر وفزع وذلك عند رؤية جهنم وهذا جواب لقوله: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيقول الله إن يوم القيامة يكون إذا برق البصر قرأ نافع برَق بفتح الراء من البريق[1] أي شخص البصر إلى ما يتوقع من أهوال يوم القيامة كنظر المحتضر عند نظره إلى الملائكة قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي وذهب ضوء القمر، والخسوف: ذهاب الضوء ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي جمعا في ذهاب نورهما كالثورين القرينين يعني كوراء يوم القيامة قيل: إنهما يرمى بهما في النار خلقا من النار ثم يعادان إليها قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ معناه: يقول الكافر المكذب بيوم القيامة أين الفرار؟ وأين المهرب من الأهوال؟.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي حقاً لا موضع يلجأ إليه ولا حصن، ولا حرز والوزر في اللغة: ما تحصنت به والتجأت إليه، ومنه الوزير لأن الناس يلتجئون إليه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي المنتهى والمرجع والمصير، وقيل: المستقر: موضع الحساب، وقيل المعنى أن مستقر المؤمنين: الجنة، ومستقر الكافرين: النار، وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي بما قدم من طاعة الله، وما أخر من طاعة الله فلم يعمل به، وقيل معناه: ينبؤ الإنسان بأول عمله وآخره، وقيل بما قدم من أمواله وما خلف للورثة، وقيل بما عمل في أول عمره، وما عمل في آخر عمره قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ يعني إن جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بجوارحه، والمعنى على الإنسان رقباء يشهدون عليه بعمله وإن أرخى ستوره وأغلق أبوابه يعني فالرقباء سمعه وبصره، وذكره، ويداه، ورجلاه، وجميع جوارحه ودخول الهاء في بصيرة لأن المراد بالإنسان هٰهنا الجوارح قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ أي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يعني، وإن اعتذر فعليه من يكذب عذره وقيل: المعاذير جمع المعذار وهو الستر معناه: وإن أسبل الستر ليخفى بما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ يقول لا تحرك بالقرآن لسانك لتعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 2: 350.

وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه شيء من الوحي لم يفرغ جبريل من آخره حتى يتلاه النبي ﷺ مخافة أن ينفلت منه فأعلمه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي علينا حفظه في قلبك وتأليفه على ما يأمره الله تعالى به وأعلمه بأنه لا ينسيه إياه كما قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[1] فلم ينسَ النبي ﷺ شيئاً حتى مات، وعن ابن عباس في معنى هذه الآية قال كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان إذا نزل عليه الوحي تحرك لسانه، وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي مخافة أن لا يحفظ، فأنزل الله هذه الآية[2]: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ ومثله: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي جبريل يقرؤه عليك حتى تحفظه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي فإذا قرأ جبريل بأمرنا، وفرغ منه فاقرأه أنت إذا فرغ جبريل من قراءته، وقيل معناه: فإذا جمعناه وألقيناه فاتبع ما فيه من الحلال والحرام والأمر والنهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي بيان ما أشكل من معانيه، وبيان مجملاته مثل أركان الصلاة، وشروطها، ونصب الزكاة، ومقاديرها قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ معناه: كلا لا يؤمن أبو جهل وأصحابه بالقرآن وبيانه بل يحبون العاجلة يعني كفار مكة يحبون الدنيا ويعملون لها، ويذرون العمل للآخرة، فيؤثرون الدنيا عليها، وقرأ نافع والكوفيون: تحبون وتذرون بالتاء[4] أي قل لهم يا محمد بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة.

ع

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ (26) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (28) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (29) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (30)﴾.

---

(1) سورة الأعلى، الآية 6.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح العسقلاني 9: 686 رقم 4927 كتاب التفسير.

(3) سورة طه: 20، الآية: 114.

(4) مكي في الكشف عن وجوه القراءات 2: 350.

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ معناه: وجوه يوم القيامة ناعمة غضة حسنة مضيئة مسفرة مشرقة بنعيم الجنة وهي وجوه المؤمنين كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال الكلبي: تنظر إلى الله يومئذ لا تحجب عنه، قال مقاتل: ينظر إليها ربها معاينة قال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تنضر وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب من النظر إلى ربهم**»[2] ينظرون إلى الله تعالى في الجنة بلا كيف ولا تحديد كما عرفته القلوب بلا تكييف ولا تشبيه، وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظروا في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في سرره وأزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى الله كل يوم نظرتين**» رواه الحاكم في صحيحه[3] قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي كالحة عابسة كئيبة مسودة وهي وجوه الكفار ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي تستيقن أن يفعل بها داهية من العذاب، والفاقرة الداهية العظيمة والأمر الشديد الذي يكسر فقار الظهر، قال ابن زيد: هي دخول النار[4] قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ أي كلا لا يؤمن الكافر بهذا وقوله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ هذا ذكر حال من تحضره الموت ليرتدع الناس عما يؤديهم إلى العذاب والمعنى: إذا بلغت الروح الترقوة، ويقول من يحضر الميت من أهله هل من راق يرقيه، وطبيب يداويه يطلبون الأطباء ليكشفوا عنه ما به إما بالرقاء أو بالعلاج، وقال بعضهم هذا من قول الملائكة لأن النفس عند أن تقبض يحضرها سبعة أملاك من ملائكة الرحمة، وسبعة أملاك من ملائكة العذاب أعوان لملك الموت ينظر بعضهم إلى بعض أيهم يرقى بروحه[5]، والتراقي جمع ترقوة وهي عظم وصل

---

(1) سورة المطففين: 83، الآية: 24.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 3:17، باب إثبات الرؤية في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى. وابن ماجه في سننه 1:67، رقم: 187.

(3) رواه الحاكم في المستدرك 2:509.

(4) القرطبي في تفسيره 19:110.

(5) البغوي في معالم التنزيل 5:493.

بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان عن يمين ثغر النحر وعن شمالها كالحوضين قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي تيقن عند ذلك المريض الذي بلغت روحه تراقيه إنه الفراق من الدنيا ومفارقة المال والأهل والولد قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي اجتمعت عليه الشدائد، والتقى عليه أمر الدنيا والآخرة. وقال الضحاك: الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه، وقال الحسن معناه: والتفت ساقاه في الكفن بلف أحدهما إلى الأخرى[1]، وقال قتادة: ماتت ساقاه فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوّالاً قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أي إليه المرجع والمنتهى في الآخرة إلى حيث يأمر الله إما إلى عليين، وإما إلى سجين.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (31) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (33) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (34) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (35) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (38) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (39) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ (40)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ يعْني أبا جهل يقول الله فيه لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله ولكن كذب وتولى أي كذب القرآن، وتولى عن الإيمان به، ويدخل في هذا كل كافر مثله ثم ذهب إلى أهله يتمطى أي رجع إلى أهله يتبختر في المشي، ويختال فيه وأصله يتمطط أي يتمدد والمط هو المد وتمطى الإنسان إذا قام من منامه يمتد والمطاء هو الظهر، وتمطى إذا مدّ مطاه.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ هذا وعيد على وعيد من الله لأبي جهل، وهذه كلمة موضوعة للتهديد والوعيد، والمعنى: كأنه يقول لأبي جهل: الويل لك يوم تحيي، والويل لك يوم تموت، والويل لك يوم تبعث، والويل لك يوم تدخل النار وقيل معناه: وليك المكروه يا أبا جهل، وقرب منك ما تكره قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ معناه: أيظن الكافر أن يترك مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يوعظ ولا يبتلى، ولا يحاسب بعمله في الآخرة،

(1) الطبري في تفسيره 14: 245.

والسدي: المهل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ معناه: ألم يك هذا الإنسان في ابتداء خلقه نطفة من منيّ تصب في الرحم قرىء: تمنى يعني النطفة، وروي: يمنى يعني المني[1] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي صار دماً منعقداً بعد النطفة فخلقه وسواه باليدين والرجلين والعينين والأذنين إلى أن بلغ هذا الحد الذي يشاهد، وخلق فيه الروح قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ أي خلق من هذه النطفة أولاداً ذكوراً وإناثاً وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ معناه: أليس الذي خلق الإنسان من المني، ونقله من ذلك الأحوال إلى هذه الحالة قادراً على أن يحيي الموتى والمعنى: من قدر على الابتداء قدر على البعث بعد الموت دلهم الله تعالى على البعث بابتداء الخلق، وعن رسول الله ﷺ أنه كان إذا ختم هذه السورة قال: «**سبحانك اللهم وبلى**»[2]، وعن ابن عباس قال: إذا قرأ أحدكم: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ فليقل: اللهم بلى[3].

(1) ابن خالويه إعراب القراءات السبع 2: 417ـ 418.
(2) ذكره الألباني في ضعيف الجامع: 4453.
(3) أخرجه أبو داود في سننه 1: 234 رقم 887 كتاب الصلاة.

سُورَةُ الإنسَانِ

قال أبو بكر الحداد رحمه الله: سورة الإنسان مكية، إلا قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ إلى آخر السورة، فإنها نزلت بالمدينة وهي ألف وأربعة وخمسون حرفاً، ومائتان وأربعون كلمة، وإحدى وثلاثون آية، قال ﷺ: **«من قرأ سورة الإنسان كان جزاؤه على الله جنة وحريراً»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿1﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿2﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا
كَفُورًا ﴿3﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿4﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن
كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿5﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿6﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ
وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿7﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أي القدر، أي قد أتى على آدم أربعون سنة التي مرت به وهو بصورة الإنسان قبل أن ينفخ فيه الروح لم يذكر اسمه ولا يدرأ ما يراد به كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، إلا أنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح ومعنى الآية: قد أتى على آدم أربعون سنة ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ لا يذكر

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.

ولا يعرف ولا يدري ما اسمه، ولا ما يراد به. وروي أن عمر رضي الله عنه: سمع رجلاً يقرأ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾، فقال عمر ليتها تمت أو ليته بقي على ما كان وكان لا يلد، وقرأ رجل عند ابن مسعود ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ فقال: ليت ذلك لم يكن، ولفظ «هل» بمعنى[1] قد لأنه لا يجوز على الله أن يستفهم لأنه لم يزل عالماً بالأشياء كلها، ولا يزال عالماً قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ يعني نسل آدم خلقه الله من نطفة أمشاج[2] أي أخلاط واحدها مشج وهو شيئان مخلوطان يعني اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة أحدهما أبيض والآخر أصفر فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من نطفة المرأة، وتم الكلام ثم قال تعالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ معناه: سميعاً بصيراً لنبتليه والأمشاج: الأخلاط يقال مشجت هذا بهذا أي خلطته به فهو ممشوج أي مخلوط، وقال ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومجاهد يعني: ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما جميعاً الولد فماء الرجل أبيض خليط يجري من الصلب وماء المرأة أصفر رقيق يجري من الترائب ثم يختلطان فأيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له، ويقال جعل الله في النطفة أخلاطاً من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة، واليبوسة والرطوبة، وقال الحسن: نعم والله خلق الإنسان من نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حلت النطفة ارتفع[3] الحيض قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي بيّنا له طريق الهدى وطريق الضلالة فمكناه من الشكر والكفر ثم إنه يكون بعد الابتلاء إما شاكراً موحداً طائعاً، وإما مشركاً بالله كافراً والمعنى: إما أن يختار طريق الإسلام، وإما أن يختار طريق الكفر، ومعنى نبتليه أي نتعبّده فيظهر ما علمناه منه، ولا يقع الابتلاء إلا بعد إتمام الخلقة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ بيّن الله بهذا ما أعد في

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 213.

(2) تفسير الطبري 14: 252.

(3) الطبري نفسه.
والقرطبي في تفسيره 19: 121.

الآخرة للكافرين، وما أعد فيها للمؤمنين، والمعنى: إنا هيأنا في جهنم لكل كافر سلسلة في النار طولها سبعون ذراعاً يسلك فيها، وقرناؤه من الشياطين، وقوله تعالى: ﴿وَأَغْلَلًا﴾ أي أغلالاً من حديد تغل بها أيديهم إلى أعناقهم من ورائهم وقوله تعالى: ﴿وَسَعِيرًا﴾ أي وناراً موقدة يعذبون بها قرأ نافع، وعاصم، والأعمش، والكسائي، وأيوب: سلاسلاً بالتنوين وكذلك قواريراً وفيه وجهان: أحدهما: أن من العرب من يصرف جميع ما لا ينصرف، والثاني: إن هذا الجمع أشبه بالآحاد لأنهم قالوا: صواحبات يوسف في جمع صواحب وكذلك مواليات في جمع موالي فإذا كان صواحب وموالي في معنى واحد فكذلك سلاسل[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ يعني بالأبرار المطيعين لله تعالى الصادقين في إيمانهم في الدنيا، وقيل: هم الذين يبرون الآباء والأمهات من المؤمنين، وقيل: هم الذين لا يؤذون الذر، ولا يرضون بالشر.

وقوله تعالى: ﴿مِن كَأْسٍ﴾ أي من خمر، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي كان مزاج الخمر التي كانت في كأس كافوراً قال بعضهم: أراد بذلك ما يشم من ريحها لا من جهة طعمها كما روي عن مجاهد أنه قال: يمزج شرابهم بالكافور، ويختم بالمسك، وعن مقاتل أنه قال: يكون على برد الكافور، وريح المسك، وطعم الزنجبيل ليس ككافور الدنيا ومسكها وزنجبيلها، ولكن وصف الله ما عنده بما عندنا لتهتدى القلوب له، ويقال يغير الله طعم الكافور إلى نهاية ما يشتهي ويجتمع طيب الرائحة مع لذة الطعم[2] قوله: ﴿عَيْنًا﴾ منصوب على البدل من الكافور، ويقال في معنى يشربون عيناً أي من عين فوّارة في أرض[3] الجنة وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون معناه: يشرب بها يقال: شربت بماء كذا أي شربته، ويجوز أن يكون معناه: يشرب بالجنة

---

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 419ـ 420.
الفراء في معاني القرآن 3: 214.

(2) يراجع المراد بالأبرار، وما أعدلهم، والمقصود بالنذر الذي يوفون به، في تفسير القرطبي 19: 25 ـ 28.

(3) النحاس في إعراب القرآن 5: 97 ـ 98.
الفراء في معاني القرآن 3: 215.

وبالأرض التي بها العين كما يقال شربت بموضع كذا شراباً صافياً وقوله تعالى: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أي أولياؤه يفجرون تلك العين ويسقونها إلى حيث شاء ولمن دونهم من أهل الجنة بخلاف عيون الدنيا وأنهارها، والتفجير: تشقيق الأرض تجري بالماء، وقيل معنى يفجرونها: أي يقودون تلك العين حيث شاءوا من منازلهم ودونهم وحيث شاءوا قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ يعني الأبرار هذه صفاتهم في الدنيا كانوا يوفون بطاعة الله من الصلاة والحج ومعنى النذر في اللغة: الإيجاب ومعنى الوفاء بالنذر: إتمام العهد بالوفاء به، وإقامة فروض الله قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ معناه: ويخافون من نقض العهد عذاب يوم كان شره ممتداً فاشياً يقال استطار الخير إذا فشا وظهر، وعن قتادة قال: استطاروا لله شر ذلك اليوم حتى ملئت السموات والأرض منه نحو انشقاق السماء، وانتثار الكواكب ونسف الجبال، وخسوف الشمس والقمر وفزع الملائكة.

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿8﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿9﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿10﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿11﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿12﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿13﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿14﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي على حب الطعام، وقلته على أشد ما يكونون محتاجين إليه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] ويقال على حب الله لطلب مرضاته، وقوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فالمسكين: هو الذي يسأل، وقيل: المتعفف الذي لا يسأل، واليتيم: هو الذي لا أب له من يتامى المسلمين، والأسير: الكافر المأسور في أيدي المؤمنين قال قتادة: وكان أسيرهم يومئذ من المشركين، فوالله لأخوك المسلم أعظم حرمة وحقاً عليك[2]، ويقال: الأسير العبد ويستدل من هذه الآية على أن في إطعام أهل الحبوس ثواباً جزيلاً من الله. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم**

(1) سورة الحشر: 59، الآية: 9.

(2) تفسير الطبري 14: 261 رقم 27728.

أطعم مسلماً على جوع إلا أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال مجاهد أما والله إنهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله ما في قلوبهم فأثنى عليهم خيراً والمعنى: إنهم يقولون في أنفسهم، وفيما بينهم، وبين ربهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ ولطلب ثوابه، قوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي لا نريد منكم مكافأة ولا محمدة وقوله تعالى: ﴿شُكُورًا﴾ مصدر مثل: العقود والخروج، وفي هذه الآية دليل على أن من أطعم غيره للمكافأة أي ولكي يمدحه ويشكره لا يستحق بذلك الثواب، وإنما يستحقه إذا فعله خالصاً لله لا يريد شيئاً من الدنيا قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ معناه: إنا نصنع ما نصنع خوفاً من عذاب ربنا، وطمعاً في رحمته، واليوم العبوس: هو الذي تعبس الوجوه من هوله لا تنبسط، والقمطرير: الشديد الغليظ الصعب يقال: يوم قمطرير وقماطر إذا كان عظيم الشر طويل البلاء.

وعن ابن عباس قال العبوس: الضيق، والقمطرير: الطويل، وقال مجاهد القمطرير: الذي يقلص الوجه، ويقبض الجبهة، وما بين الأعين من شدته، قال ابن عباس العبس: الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، قال الحسن: سبحان الله ما أشد اسمه وهو أشد من اسمه قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي دفع الله عنهم شر ذلك اليوم ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أي حسناً في الوجوه، وسروراً في القلوب لا انقطاع له قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي جزاهم بما صبروا في الدنيا على طاعة الله، وعلى ما أصابهم من الشدائد في ذات الله: جنة يسكنونها، وحريراً يلبسونه في الجنة.

قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ نصب على الحال فيها أي في الجنة على الأرائك أي على السرر في الحجال لا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا قال مقاتل الأرائك: السرر في الحجال من الدر والياقوت موضونة بقضبان الدر والذهب والفضة، وألوان الجواهر والحجال: شبه القباب فوق السرر، لا يصيبهم في الجنة شمس ولا زمهرير أي لا يصيبهم حر الشمس، ولا برد الزمهرير،

والزمهرير: البرد الشديد الذي يحرق ببرودته إحراق النار.

وروي أن هذه الآيات نزلت[1] في علي، وفاطمة، وجارية لهما يقال لها: «فضة» قال ابن عباس: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، فقالوا لعلي: لو نذرت على ولديك نذراً، فقال علي رضي الله عنه: إن برئ ولداي مما بهما صمت ثلاثة أيام، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جاريتهما كذلك، فوهب الله لهما العافية، فانطلق علي رضي الله عنه إلى شمعون اليهودي فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير، وطحنت الجارية صياعاً، وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص، وصلى علي مع رسول الله ﷺ المغرب، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين، فوقف بالباب، وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي رضي الله عنه فأنشأ يقول:

فاطم ذات الفضل واليقين ∴ يا بنت خير الناس أجمعين

أما ترين البائس المسكين ∴ قد قام بالباب له حنين

يشكو إلى الله ويستكين ∴ يشكو إلينا جائع حزين

كل امرىء بكسبه رهين ∴ وفاعل الخيرات يستبين

موعدنا جنة عليين ∴ حرّمها الله على الضنين

وللبخيل موقف مهين ∴ تهوي به النار إلى سجين

شرابه الحميم والغسلين

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 378.
البغوي في معالم التنزيل 5: 498.
القرطبي في تفسيره 19: 130، وذكر القرطبي هذه الأبيات التي ذكرها الحداد في تفسيره مع بعض الاختلاف، تلك الأبيات التي قيلت على ألسنة: المسكين واليتيم والأسير وعلى ألسنة كل من علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها، ويظهر عليها الصنعة والتكلف، وكذا الثعلبي في تفسيره: مخطوط.

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أمرك عندي يا ابن عم طاعة ∴ ما بي من لؤم ولا وضاعة
غذيت في الخير له صناعه ∴ أطعمه ولا أبالي ساعة
أرجو إذا أشبعت ذا المجاعة ∴ أن ألحق الأخيار والجماعة
وأدخل الخلد ولي شفاعة

فأطعموه طعامهم، ولم يذوقوا ليلتهم إلا الماء، فلما كان اليوم الثاني أصبحوا صياماً فطحنت الجارية الصاع الثاني، وخبزت منه خمسة أقراص، فصلى علي رضي الله عنه مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه، وإذا بيتيم قد وقف بين يديه على الباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي رضي الله عنه فأنشأ يقول:

فاطم بنت السيد الكريم ∴ بنت نبي ليس باللئيم
قد جاءنا الله بذا اليتيم ∴ من يرحم اليوم لدى رحيم
موعده في جنة النعيم ∴ قد حرّم الخلد على اللئيم
يساق في العقبى إلى الجحيم

فأنشأت فاطمة تقول:

إني سأعطيه ولا أبالي ∴ وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهمُ أشبالي ∴ أصغرهم يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيال ∴ للقاتل الويل مع الوبال
تهوي به النار إلى سفال ∴ مقيّد اليدين بالأغلال
كبولة زادت على الأكبال

فاعطوه الطعام وباتوا على الماء، فلما كان اليوم الثالث طحنت الجارية

الصاع الثالث وصنعته خمسة أقراص، فصلى علي مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فإذا بأسير قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد تأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي رضي الله عنه فأنشأ يقول:

فاطم بنت النبي أحمد ∴ بنت نبي سيد مسوَّد
هذا أسير للنبي المهتدي ∴ مكبل في غله مقيَّد
من يطعم اليوم يجده في غد ∴ عند العلي الواحد الموحُد
فاطعم من غير مَنٍ أنكد ∴ حتى تجاري بالنعيم السرمد

فأنشأت فاطمة تقول:

لم يبق مما جئت غير صاع ∴ قدمته بالكف والذراع
أطعمته لله في الجياع ∴ وما على رأسي من قناع

فأعطوه طعامهم، وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء، فلما أصبحوا يوم الرابع أخذ علي رضي الله عنه الحسن بيده اليمنى، والحسين بيده اليسرى، ومضى بهما إلى رسول الله ﷺ، وهما يرتعشان من شدة الجوع، فلما رآهما قال: ما أرى بكم انطلقوا بنا إلى فاطمة، فانطلقوا إليها، فوجدوها في محرابها، وقد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع، فقال النبي ﷺ: واغوثاه يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعاً، فهبط جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد خذ ما أعطيت هناك الله تعالى في أهل بيتك، فقال: وما آخذ؟ فقرأ عليه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا عَيْنًا كَافُورًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[2] قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ نعت الجنة أي وجزاهم بما صبروا جنة دانية ظلالها أي قربت ظلال أشجارها عليهم، وأتت دانية لأن الظلال جمع، وفي قراءة

(1) سورة الإنسان: 76 الآية: 5، 6، 7.
(2) سورة الإنسان: 76 الآية: 22.

عبد الله: ودانياً عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي وسخرت وقربت ثمارها تسخيراً لا يمنعهم عنها شوك ولا بعد ينالها القائم والقاعد والمضطجع يتناولونها كيف شاءوا، وإذا كان الرجل قائماً تطاولت له الشجرة على قدر قيامه، وإن كان قاعداً أو منكباً أو مضطجعاً[1] انخضعت له على قدر ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال مجاهد: أرض الجنة من فضة ترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وورقها لؤلؤ وزبرجد، والثمر تحت ذلك فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل قاعداً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه.

قال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (18) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (22)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ أي بأقداح من فضة وأكواب أي كيزان لا عرى لها ولا خراطيم قوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي كانت تلك الأكواب من فضة وهي في صفا القوارير يرى من خارجها ما في داخلها من الأشربة قال ابن عباس: لو أخذت من فضة أهل الدنيا فضربتها حتى صارت مثل جناح الذباب لم يبصر ما فيها من ورائها ولكن قوارير الجنة في بياض الفضة وفي صفاء القوارير قال الكلبي: إن الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم فإن تراب الجنة من فضة فجعل من تلك الفضة قوارير يشربون فيها وفي قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَ﴾ قراءتان من لم ينونها لأنها لا تنصرف، ومن صرفها فعلى اتباع رؤوس الآي[2] قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي قدرها الملائكة قبل مجيئهم بها

(1) الطبري في تفسيره 14: 266ـ 267.

(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها 2: 354.
إعراب القراءات السبع وعللها: 2: 420.

تقديراً فجاءت على ما قدروا كما روي أن المؤمن لا يحدث نفسه بشيء من شراب الجنة إلا أتاه الملك بالشراب الذي اشتهى في قدح من فضة على الصفة التي ذكرنا على مقدار ريّ الشارب وشهوته من غير زيادة ولا نقصان حتى يستوي في الكمال من غير أن كان يكلم به، وألذ الشراب ما لا يكون فيه فضل ولا عجز عن الري[1].

ويقال في معنى: إنها تكون على قدر أكف الخدم، وري المخدوم، فلم يثقل حملها على أحد منهم قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي يسقون في الجنة بآنية مملوءة من الخمر كان مزاجها زنجبيلا لا يشبه زنجبيل الدنيا لكن سماه الله باسمه ليعرف لأن العرب تستطيب رائحة الزنجبيل في الدنيا، وأما هذا الزنجبيل المذكور في هذه الآية فهو زنجبيل الجنة يشوق ويطرب من غير حرقة ولذع، وإنما قال ذلك لأن العرب كانت تضرب المثل بالخمر الممزوجة بالزنجبيل قال الشاعر[2]:

كَـأَنَّ الْـقَـرَنْـفُـلَ وَالـزَّنْـجـبـيـ ∴ ـلَ بـاتـا بـفـيـهـا وأريـاً مَـشُـورا[3]

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ معناه تمزج الخمر بالزنجبيل من عين في الجنة تسمى تلك العين سلسبيلا، والمعنى من عين فيها تسمى سلسبيلا قال مقاتل: السلسبيل عين من الخمر تنبع من تحت العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي يطوف عليهم بالخدمة وصفاء خلقوا للخلود ولا يتغيرون عن سنهم وشبابهم، وقيل معنى مخلدون: مسورون مقرطون يقال لجماعة الحلى الخلدة إذا رأيتهم يا محمد حسبتهم لصفائهم، وحسن ألوانهم لؤلؤاً منثوراً أي كاللؤلؤ المنثور فإن اللؤلؤ أبيض ما يكون إذا نثر وذلك أن اللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً قوله

(1) الطبري نفسه.
(2) الأعشى: ميمون بن قيس تقدمت ترجمته.
(3) يصف الأعشى طعم ريق جارية: ابن منظور في اللسان: زنجبيل. وأرياً مشوراً: عسلاً مجتنى من الخلايا، اللسان: أري، شور.

تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي إذا نظرت في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي ملكاً عظيماً لا يلحقه الزوال والعزل قال مقاتل: الملك الكبير: استئذان الملائكة لا يدخل رسول رب العزة من الملائكة إلا بإذنهم، ولا يدخل إلا بالهدايا من الله تعالى، والسلام من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[1] فإذا انتهى الملك إلى الباب قال للحاجب الذي على الباب: ائذن لي بالدخول، فيقول الحاجب: لا أستطيع أن آذن لك على ولي الله، ولكن أخبر الذي يليني فيخبر الذي يليه فيقول الثاني كذلك فلا يزال كذلك حتى يأتيه الخبر في سبعين باباً فذلك هو: الملك الكبير. فإذا دخل عليه الملك قال له: إن الله تعالى يقرئك السلام، فيضع الهدية بين يديه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يقول له الملك: إن الله عنك راض فهذا القول عنده أكبر من السلام والهدية والنعيم الذي هو فيه فذلك قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرأ قتادة، ومجاهد وابن سيرين، ونافع، وحمزة، والأعمش، وأيوب: عاليهم بإسكان الياء، وهو في موضع رفع بالابتداء والمعنى: الذي يعلوهم من الثياب، ويقال الذي يعلوهم على جمالهم، وقرأ الباقون عاليهم بنصب الياء على الظرف أي فوقهم، ويجوز أن يكون نصباً على الحال أي يطوف على الأبرار ولدان مخلدون في هذه الحال أي في حال علو ثياب السندس[3] عليهم، وقوله تعالى: ﴿خُضْرٌ﴾ قرأ ابن كثير خضر بالخفض على نعت السندس، واستبرق بالرفع على نعت الثياب. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع نعت الثياب، واستبرق بالخفض على معنى ثياب من سندس، ومن استبرق، وقرأ نافع، وأيوب، ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ كلاهما

---

(1) سورة يس: 36، الآية: 58.
(2) سورة التوبة: 9، الآية: 72.
(3) الكشف عن وجوه القراءات وعللها 2:354، والفراء في معاني القرآن 3:218. والنحاس في إعراب القرآن 5:103.

بالرفع عطفاً للاستبرق على قوله: خضر، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلف: كلاهما بالخفض[1] قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي حلى أهل الجنة أساور من فضة، وفي آية أخرى ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[2] فاقتضت الآيتان أن كلا منهم يحلى بثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وقال بعضهم: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ راجع إلى الولدان، وقوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي شراب من خمر ليس بنجس كما كانت خمر الدنيا نجسة، وقيل شراب من خمر لا يخالطه شيء من الفساد والقبائح لا ينقلب إلى التغيير بل هو من عين على باب الجنة من شرب منها نزع الله من قلبه الغل، والغش، والحسد قال أبو قلابة معناه: إنه لا يصير بولاً نجساً، ولكنه يصير رشحاً في أبدانهم كريح المسك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي يقال لهم: هذا الثواب والكرامة كان لكم جزاء لأعمالكم في الدنيا، وكان سعيكم مشكوراً أي وكان عملكم في الدنيا مقبولاً هذا معنى الشكر لأنه لا يكون لأحد على الله نعمة يستحق بها عليه الشكر، ولكن شكره لعباده قبول طاعتهم ومغفرة ذنوبهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿23﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿24﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿25﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿26﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿27﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿28﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿29﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿30﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿31﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ أي إنا نحن نزلنا عليك القرآن يا محمد متفرقاً آية، وآيتين، وثلاث آيات، وسورة، وفصلناه في الإنزال، ولم ينزله جملة واحدة قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي اصبر لقضائه على تبليغ

---

(1) المراجع السابقة.

(2) سورة الحج: 22، الآية: 23.

الرسالة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي لا تطع من مشركي مكة آثماً أي كذاباً فاجراً ولا كفوراً أي ولا كافراً بنعم الله، ويعني بقوله: آثماً «عتبة بن ربيعة»، ويعني بالكفور «الوليد بن المغيرة»، وقيل: الآثم: الوليد والكفور: عتبة بن ربيعة كانا قالا للنبي ﷺ ارجع عن هذا الأمر، ونحن نرضيك بالمال والتزويج، وكان عتبة قال للنبي ﷺ: إن كنت صنعت هذا من أجل النساء فلقد علمت قريش أن بنتي من أجملها بنات، فأنا أزوجك بنتي، وأزفها إليك بغير مهر، فارجع عن هذا الأمر، وكان الوليد قال للنبي ﷺ: إن كنت يا محمد صنعت هذا من أجل المال فلقد علمت قريش أني من أكثرهم مالاً، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى، فارجع عن هذا الأمر فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً، قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي صل لله تعالى: صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ أي فصل له المغرب، والعشاء قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ أي صلّ له في الليل الطويل يعني التطوع بعد المكتوبة، وكان على النبي ﷺ أن يقوم كل الليل، ثم يسبح بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني كفار مكة يحبون الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي يتركون العمل للآخرة، ومعنى يوم القيامة يوماً ثقيلاً لشدة أهواله، وقد يذكرون الوراء بمعنى قدام قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي نحن خلقنا أهل مكة، وجميع الناس، وقوينا خلقهم بعد أن خلقوا من ضعف، وقيل: شددنا مفاصلهم لئلا يسترخى شيء منها أي شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب، وقيل: يعني موضع البول والغائط شددناهما بحيث إذا خرج الأذى منهما تقبّضا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي أهلكناهم وآتيناهم بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ أي إن هذه السورة موعظة من الله ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾ إلى رضى ربه طريقاً بالعمل الصالح قوله تعالى: ﴿وَمَا

(1) سورة الزمل: 73، الآية: 2.
(2) سورة الكهف: 18، الآية: 79.

﴿تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي ما تشاءون اتخاذ السبيل إلا بمشيئة الله تعالى ذلك لكم وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي عليماً قبل خلقكم بمن يتخذ سبيلاً ومن لا يتخذ حكيماً فيما أمركم به، واختلفوا في تفسير هذه الآية، والصحيح: أن معناها: وما تشاءون إلا أن يشاء الله لكم إن تشاءوا ودليل ذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[1] قالوا قد جعلت المشيئة لنا ولا نشاء، فشق ذلك على النبي ﷺ، فنزل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ومن نفي المشيئة قال: إن هؤلاء مخصوصون لا يشاءون إلا أن يشاء الله أن يكون همهم عليه قال الحسن: ما شاءت العرب أن يبعث الله محمداً رسولاً فشاء الله ذلك وبعثه على كره منهم، وعن النضر بن شميل أنه قال: لا تمضي مشيئة إلا بمشيئة الله، ولا تمضي مشيئة من العبد إلا بعلم الله، فمن علم منه خيراً شاء الإيمان، ومن شاء الإيمان شاء الله له أن يوفقه، ومن شاء الكفر شاء الله له أن يخذله. قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ﴾ أي يكرم من يشاء بدين الإسلام بتوفيقه من كان أهلاً لذلك وقوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فصب الظالمين على المجاورة، ولأن ما قبله منصوب المعنى، ويعذب الظالمين[2] ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ويعني بالظالمين مشركي مكة.

(1) سورة التكوير: 81، الآية: 28.

(2) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه 5:264.

سُورَةُ المُرْسَلاتِ

سورة المرسلات مكية، وهي ثمانمائة وستة عشر حرفاً، ومائة وإحدى وثمانون كلمة، وخمسون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة المرسلات كتبه الله ليس من المشركين**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4)
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8)
وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12)
لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس أي ورب المرسلات عرفاً، وقال مقاتل معناه: والملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه وقوله تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يعني الريح شديدة الهبوب فإذا وقعت الريح الشديدة في البحر صارت قاصفة، قوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ يعني الرياح التي تنشر السحاب للمطر نشراً، وهي اللينة التي يرسلها الله نشراً بين يدي رحمته، وقيل العاصفات: الملائكة تعصف بأرواح الناس أي تذهب بها، وقيل الناشرات: الملائكة أيضاً لأنها تنشر الصحائف بأمر

---

(1) الثعلبي في تفسيره، عن أبي بن كعب، والزمخشري في الكشاف 4:205.

الله قوله تعالى: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿4﴾﴾ يعني الملائكة تنزل بالوحي للفرق بين الحلال والحرام، والحق والباطل، قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿5﴾﴾ يعني الملائكة تلقي كتب الله إلى الأنبياء قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿6﴾﴾ معناه: أعذاراً وأنذاراً لخلقه، والإعذار: قطع المعذرة. والإنذار: الإعلام بموضع المخافة ليبقى، ولهذا بعثت الرسل، وأنزلت الكتب والمعنى بهذه الآيات أن كفار مكة لما أنكروا البعث أقسم الله تعالى بما بين من قدرته وتدبيره بالملائكة والسحاب والرياح أن قيام الساعة كائن، فقال: إنما توعدون لواقع أي إن أمر الساعة والبعث لكائن لا محالة، ثم ذكر متى يقع، فقال ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي محي نورها، وسلب ضوؤها، وتساقطت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿9﴾﴾ أي شقت من الرحمن، وانفطرت بعد أن كانت سقفاً محفوظاً، فأول حالها الدهان ثم الانشقاق قال الله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿16﴾﴾[2] ثم الانفتاح فقال الله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾[3] ثم الانفراج حتى يتلاشى فتصير كأنها لم تكن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿10﴾﴾ أي قلعت من أماكنها بسرعة وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿11﴾﴾ أي بين لها مواقيتها للفصل في القضاء بينهم وبين الأمم، وقيل جمعت لوقتها، وإنما قلبت الواو همزة على قراءة غير الواو ولأن كل واو انضمت، وكانت ضمتها لازمة جاز إبدالها همزة ولأن العرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم: أكدت ووكدت، وأرخت الكتاب وورخت، ووسادة وإسادة، قرأ أبو عمرو: ووقتت بالواو والتشديد على الأصل وقرأ أبو جعفر: بالواو والتخفيف، وقرأ عيسى، وخالد بن إلياس: أقتت بالألف والتخفيف، وقرأ الباقون: بالألف والتشديد[4] قوله تعالى: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿12﴾﴾ معناه: لأي يوم أخرت هذه الأشياء من

---

(1) سورة الانفطار: 82، الآية: 2.
(2) سورة الحاقة: 69، الآية: 16.
(3) سورة النبأ: 78، الآية: 19.
(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع 2: 357، والنحاس في إعراب القرآن 5: 115.

الطمس والنسف وغيرهما، ثم بين فقال تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي أخرت ليوم الفصل بين الخلائق، وهو يوم القيامة سمي بهذا الاسم لأنه يفصل فيه بين المحق والمبطل، وبين الظالم والمظلوم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ فيه تعظيم لأمر ذلك اليوم أي لم تكن يا محمد تعلم ما يوم الفصل، وما أعد الله فيه لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب حتى أتاك خبر ذلك اليوم وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الويل: واد في جهنم للمكذبين بالوعيد.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ (17) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (19) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (20) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (21) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (23) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (24) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (26) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (27) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (28) ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (29) ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ (30) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (33) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (34)﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ معناه: ألم نهلك قوم نوح بالعذاب في الدنيا حين كذبوا نوحاً ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي ثم نلحقهم أي ألحقنا بهم الآخرين، وهم قوم هود ومن بعدهم ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ من أمتك يا محمد يعني كفار مكة ومن سلك طريقهم قرأ الأعرج: ثم نتبعهم[1] الآخرين بالإسكان عطفاً، وقرأه الكافة نتبعهم بالرفع على معنى: ثم نحن نتبعهم، وفي قراءة ابن مسعود: وسنتبعهم[2] الآخرين. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ تنبيه على القدرة على الإعادة، وتحذير من التكبر لأن الذي يقدر على أن يخلق من الماء الحقير بشراً على هذه الصفة قادر على إعادة الخلق بعد الموت والمراد بالماء المهين: النطفة، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي في الرحم إلى قدر معلوم يعني مدة الحمل على اختلاف مدة حمل الحيوانات لا يعلم مقدار ذلك،

(1) ابن جني في المحتسب 2: 346.
(2) الثعلبي في تفسيره: خ.

ولا صفة الحمل إلا الله وقوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ قرأ السلمي وقتادة ونافع وأيوب: بالتشديد من التقدير يعني: نطفاً، وعلقاً، ومضغا، وعظاماً، وذكراً وأنثى، وقصيراً، وطويلاً وقرأ الباقون[1]: مخففاً ومعناهما واحد، ويجوز أن يكون من القدرة، وقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ معناه على هذا فنعم القادرون على الخلق، وعلى الأول فنعم المقدرون لهذه المخلوقات وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ معناه: تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، ونكفتهم أمواتاً في بطونها أي نحوزهم فظهرها للأحياء وبطنها للأموات، وعن مجاهد معناه: نكفت الميت فلا يرى منه شيء، ونكفت الحي في بيته فلا يرى من عمله شيء، وفي كل واحد من هذين من النعمة ما لا يخفى على عاقل، والكفت في اللغة: الضم، ويسمى الوعاء: كفاتاً بكسر الكاف لأنه يضم الشيء، وفي هذه الآية دليل على وجوب: مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره، وسائر ما يزايله، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي جبالاً ثوابت، والشامخات: الطوال العاليات المرتفعات جعلت أوتاداً للأرض فسكنت بها، وكانت تمور كالسفينة لا تستقر على الماء إلا بمرساة تثقلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي عذباً حلواً غير ملح ولا أجاج ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بنعم الله التاركين لشكرها قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ معناه: ويقال لهم يوم القيامة أي تقول لهم الخزنة: انطلقوا إلى العذاب الذي كنتم به تكذبون في الدنيا إنه لا يكون ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أي انطلقوا إلى دخان من جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق وهو قوله تعالى: ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ شعبة فوقهم، وشعبة عن يمينهم وشعبة عن يسارهم، وذلك أنه يخرج لسان من نار فيحيط بهم كالسرادق فيحبسون فيه إلى أن يساقوا إلى النار أفواجاً أفواجاً، قال إبراهيم النخعي: هذا الظل مقيل الكفار قبل الحساب والمعنى: انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث

(1) إعراب القراءات السبع 2: 428.
النحاس في إعراب القرآن 5: 117.
كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: 666.
الفراء في معاني القرآن 3: 223.

شعب فكونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب ثم وصف الله ذلك الظل فقال: لا ظليل ولا يغنى من اللهب أي ولا يظل من الحر، ولا يغني من اللهب أي ولا يرد عنكم لهب نار جهنم أي إنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم من حر النار شيئاً، فأما المؤمنون فيقيلون في الجنة كما قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ معناه: أن النار تقذف بشرر متفرق متطاير كالقصر وهو البناء العظيم كالحصن، وقيل مثل قصور الأعراب على المياه يعني الخيام قال مقاتل: بشرر النار في ذلك اليوم يكون من الكثرة في عدد النجوم، وورق الأشجار لا يقع شيء منها إلا على أكتاف الرجال، والشرر: ما يتطاير من النار، وينشر في الجهات متفرقاً قرأ علي وابن عباس: كالقصر بفتح الصاد أراد كأعناق النخل، وقيل: كأعناق الدواب وهي الإبل والقصر: العنق، وجمعه قُصُر وقصَرات، وقرأ سعيد بن جبير كالقِصَر بكسر القاف وفتح الصاد[2]، وهي لغة فيه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ يعني أن لون الشرر يشبه لون الجمال الصفر، وجمالات جمع جمال قرأه حمزة والكسائي وخلف، وحفص جمالة بكسر الجيم من غير ألف على جمع جمل مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب جماله بضم الجيم من غير ألف أراد الأشياء العظيمة المجموعة، وقرأ ابن عباس جمالات بضم الجيم جمع جُمالة وهي الشيء المجمل[3].

وقوله تعالى: ﴿صُفْرٌ﴾ معناه: سود قال الفراء: الصفر سود الإبل ألا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة لذلك سمت العرب سود الإبل صفر والأصفر الأسود[4] قال الأعشى:

تِلْكَ خَيْلي منه وتلك رِكَابي ∴ هُنَّ صُفْر أولادها كالزَّبيب[5]

أي هن سود.

---

(1) سورة الفرقان: 25، الآية: 24.
(2) المحتسب 2: 346.
(3) النشر في القراءات العشر 2: 397. الفراء في معاني القرآن 3: 225.
(4) في معاني القرآن نفسه.
(5) ابن منظور اللسان: صفر، ديوان الأعشى: 219..

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (37) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (40) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (45) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (46) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)﴾.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ قال المفسرون: إن في يوم القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون، وعن قتادة قال: جاء رجل إلى عكرمة فقال: أرأيت قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[1] فقال إنها مواقف، فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم على أفواههم، فتكلمت أيديهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون وهذا الوقت المذكور في الآية من المواطن التي لا يتكلمون فيها وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قال مقاتل: لا ينطقون أربعين سنة، ولا يؤذن لهم فيعتذرون وإنما رفع فيعتذرون لأنه عطف على يؤذن ولو قال: فيعتذروا على النصب بالفاء كان حسناً كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[2] ولو كان لهم عذر لم يمنعوا من الاعتذار قال الجنيد: وأي عذر لمن كفر بآيات ربه، وأعرض عن نعمه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ أي هذا يوم قيامة الفصل بين أهل الجنة والنار جمعناكم مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كذبوا أنبياءهم.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع إن كان لكم حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لأنفسكم، وقيل معناه: إن كان لكم كيد فكيدون به أوليائي كما كنتم تكيدونهم في الدنيا فكيدوهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ أي في ظلال الأشجار وقصور الدور،

---

(1) سورة الزمر: 39، الآية: 31.

(2) سورة فاطر: 35، الآية: 36.

وعيون جارية تجري بالماء، والخمر، واللبن، والعسل ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ ويتمنون يقال لهم: كلوا من ثمار الجنة، واشربوا من شرابها ﴿هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي سليماً من الآفات ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ من الطاعات في الدنيا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي هكذا نجزي المحسنين على إحسانهم، ثم يقال لكفار مكة ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم ﴿إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ أي مشركون بالله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ أي إذا أمروا بالصلوات الخمس لا يصلون، ويل يومئذ لمن كذب بالركوع قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي إن لم يؤمنوا بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه فبأي كتاب يصدقون، ولا كتاب بعده.

سُورَةُ النَّبَإِ

سورة النبأ مكية وهي تسعمائة وتسعون حرفاً، ومائة وسبعون كلمة، وأربعون آية قال ﷺ: «**من قرأ سورة النبأ سقاه الله برد الشراب يوم القيامة**»[(1)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿1﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿2﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿3﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
﴿4﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿5﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿6﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿7﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا
﴿8﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿9﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿10﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿11﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿12﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿13﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿14﴾
لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿15﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿16﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال المفسرون لما بعث الله النبي ﷺ، وأخبرهم بتوحيد الله، والبعث بعد الموت، وتلى عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم، ويقولون: ماذا جاء به محمد ﷺ، وما الذي أتى به، فأنزل[(2)] الله هذه الآية.

ومعناها: عن أي شيء يتحدثون فيما بينهم، وهذا لفظه لفظ استفهام،

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.
الزمخشري في الكشاف 4: 211.

(2) الطبري في تفسيره 15: 3، رقم 27889.

والمعنى تفخيم القضية، وأصله عن ما فأدغمت النون والميم، وحذفت الألف لأن العرب إذا وضعت ما في موضع الاستفهام حذفت ألفها فرقاً بينها وبين أن يكون اسماً مثل قوله: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾[1] وعلام تفعل بخلاف قولهم سألت فلاناً عما يفعل لا يجوز فيه حذف الألف لأن معناها: الذي وكذلك إذا كانت ما للصلة كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[2] قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ إخبار من الله بأن الذي يتساءلون عنه: النبأ العظيم أي الخبر الشريف وهو القرآن فإنه خبر عظيم الشأن لأنه ينبىء عن التوحيد، وتصديق الرسول والخبر عن ما يجوز وما لا يجوز وعن البعث والنشور، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يعني أنهم اختلفوا في القرآن فجعله بعضهم سحراً، وبعضهم كهانة، وبعضهم شعراً، وبعضهم أساطير الأولين ثم وعد الله من كذب بالقرآن، فقال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أي ليس الأمر على ما قالوا سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد على أثر وعيد وقيل معنى كلا: ارتدعوا وانزجروا فليس الأمر على ما تظنون، وسيعلم الكفار عاقبة أمرهم ثم كلا سيعلمون أمر القيامة وأهوالها، وما لهم من أنوع العذاب في النار.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ نبه سبحانه على عظيم قدرته ولطيف حكمته ليعرفوا توحيده، والمهاد: الوطاء للتصرف عليه من غير كلفة فالأرض مهاداً يسيرون في مناكبها، ويسكنوا في مساكنها، والمهاد والمهد بمعنى واحد، والمهاد: الفراش والجبال: أوتاداً للأرض لأن الأرض كانت تتكفأ بأهلها على وجه الماء فأرساها الله بالجبال الثوابت حتى لا تميد بأهلها، وكان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي ذكراناً وإناثاً، ويقال: ألواناً وأصنافاً، وكلكم ترجعون إلى أب واحد ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة لأبدانكم، وكل من تعب من الخلق إذا نام استراح، والسبات مأخوذ من السبت، وهو القطع، والسبات: قطع العمل، والسبات ههنا: أن ينقطع عن الحركة، والروح في بدنه.

---

(1) سورة النازعات: 79، الآية: 43.
(2) سورة المؤمنون: 23، الآية: 40.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ أي سابغاً بظلمته وسواده لكل شيء ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ أي ضياء لطلب المعاش بالحراثة والتجارة ونحوهما، قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ أي رفعنا فوق رؤوسكم سبع سموات غلاظاً شديدة الإتقان قائمة بإذن الله لا تنهار ولا تتغير من طول الزمان غلظ كل سماء خمسمائة عام قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ أي وقاداً متلألئاً مشتعلاً بالنور العظيم تنضح الأشياء بحرها وتضيء للناس بنورها، والوهج يجمع النور والحرارة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ قال مجاهد، ومقاتل، وقتادة، والكلبي: المعصرات: الرياح[1] لأنها تعصر السحاب حتى تخرج منه المطر قال الأزهري: هي الرياح ذوات الأعاصير ومن معناها: الباء كأنه قال بالمعصرات ولأن الريح تستدر المطر قال أبو العالية، والربيع، والضحاك: المعصرات: السحاب التي تنجلب منها المطر كالمرأة المعصرة وهي التي دنا حيضها قال الشاعر[2]:

جـاريـة بـسَـفَـوانَ دارهـا ∴ تمشي الهُوَيْنى ساقطاً خِمارها[3]

قد أُعصرت أو قد دنا إعصارها

وقال ابن عباس المعصرات: القاطرات، وقال ابن كيسان: المعينات، وقال زيد بن أسلم المعصرات: السموات، والماء الثجاج: هو السائل الصباب، والثج: الصب كما روي في الحديث: «**أفضل الحج: العج والثج**»[4] أراد بالعج: رفع الصوت بالتلبية، وبالثج: إراقة الدم، وقال مجاهد ثجاجاً: أي مدراراً، وقال قتادة: متتابعاً يتلو بعضه بعضاً قوله تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ أي ليخرج بالمطر حباً تأكلونه ونباتاً ترعاه أنعامكم ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ أي بساتين ملتفة الأشجار

---

(1) الطبري في تفسيره 15: 7، رقم 27903.

(2) نسبه ابن منظور إلى منصور بن مرثد الأسدي، اللسان، وكذا القرطبي في تفسيره 19: 173.

(3) الجارية المعصر: هي التي بلغت عصر شبابها وأدركت، ويقال: التي قاربت الحيض فالإعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام، اللسان: عصر.

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك 1: 450، وابن ماجه في سننه 2: 975 رقم 2924 كتاب المناسك والبيهقي في الشعب 5: 473 رقم 7320، والدارمي في سننه 2: 231.

واحدها: لف بالكسر وجمعه: لف بالضم، وجمع الجمع: ألفاف.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا (17) يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا (19) وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا (22) لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (23) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَآءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا (29) فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ معناه: إن يوم الفصل بين الخلائق وهو يوم القيامة كان ميقاتاً للأولين والآخرين أن يجتمعوا فيه، وميقاتاً لما وعد الله من الثواب والعقاب ثم بين متى يكون ذلك اليوم فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يعني نفخة البعث فيأتي كل أناس بإمامهم فوجاً بعد فوج وزمراً زمراً من كل مكان للحساب، والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل، وعن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله أرأيت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قال: «**يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر**» ثم بكى رسول الله ﷺ، وقال: «**يا معاذ يحشر الناس عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد بدل الله صورهم وغيرهم من جماعة المسلمين فيبعثهم الله بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين رؤوسهم وأرجلهم فوق وجوههم يسحبون، وبعضهم عمي يترددون وبعضم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبين على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة هم النمامون، والذين على صورة الخنازير أكّالون السحت، والذين هم منكسون على رؤوسهم: آكلة الربا، والعميان: الجائرون في الحكم، والصم البكم هم الذين يعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم: العلماء والوعاظ الذين خلف قولهم أعمالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم: الذين يؤذون الجيران، والمصلوبون على جذوع النار: السعاة إلى السلطان، والذين هم أشد نتناً من الجيف هم الذين يتنعمون بالشهوات واللذات، ومنعوا حق الله من**

أموالهم، **والذين يلبسون الجباب هم أهل الكبر والفجور والخيلاء»** قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي فتحت لنزول الملائكة فكانت ذوات أبواب قرأ أهل الكوفة: وفتحت بالتخفيف[1] وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي سيرت على وجه الأرض فصارت كالتراب المنبث إذا رآه الناظر يحسبه سراباً شدتها وصلابتها والسراب: الغبار المنبث في الهواء يحسبه العطشان عند وقوع الشمس أنه ماء وليس بماء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي طريقاً وممراً للعباد ولا سبيل إلى الجنة حتى يقطع النار وقال مقاتل معناه: إن جهنم كانت محبساً معدة للطاغين أي للكافرين ﴿مَـَٔابًا﴾ أي مرجعاً يرجعون إليه، وفي الحديث: «**إنها أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها»** قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قرأ حمزة: لبثين فيها، وقرأ الباقون: لابثين وهما بمعنى واحد[2]، أي ماكثين فيها مقيمين فيها، واختلف العلماء في معنى الحقب فروي عن عبد الله بن عمر أن الحقب الواحد: أربعون سنة كل يوم منها: ألف سنة، فهذا هو الحقب الواحد، وهي أحقاب لا يعلم عددها إلا الله عز وجل، وعن علي رضي الله عنه: إن الحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً كل يوم ألف سنة، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والله لا يخرج من النار من دخلها من المشركين حتى يكونوا فيها أحقاباً»** والحقب بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم ألف سنة[3] وقال الحسن: إن الله لم يذكر شيئاً إلا وقد جعل الله له مدة ينتهي إليها، ولم يجعل لأهل النار مدة بل قال: لابثين فيها أحقاباً فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب مدة عدة إلا الخلود في النار ولكن قد ذكر أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة كل يوم منها ألف سنة مما تعدون وقال مقاتل: الحقب الواحد سبع عشرة ألف وثلاثين سنة، وقال هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يعني أن

---

(1) ابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات: 668.

(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 2: 359.

(3) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 10: 395.

العدد قد انقطع وأن الخلود قد حصل، وعن عبد الله رفعه قال: «**لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصاء الدنيا لحزنوا**» قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يذوقون في تلك الأحقاب برداً ولا شراباً من الماء، وقيل معناه: لا يذوقون في جهنم مع شدة حرها برداً يقيهم[1] من حرها ولا شراباً يقيهم من عطشها، وقيل معناه: لا يذوقون في جهنم برد ريح ولا ظل ولا شراباً بارداً إلا حميماً وغساقاً أي إلا ماء حاراً في غاية الحرارة، وغساقاً وهو ما يغسق أي ما يسيل من صديد أهل النار، وكل ذلك يزيد في العطش.

وقال شهر بن حوشب: الغساق: واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً في كل بيت أربعة زوايا في كل زاوية ثعبان كأعظم ما خلق الله في رأس كل ثعبان صم لا يعلم قدره إلا الله. وعن أبي معاذ النحوي[2] قال في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ إن البرد: النوم، ومثله قال الكسائي، وأبو عبيدة[3]، والعرب تقول: منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم، ولأن العطشان لينام فيبرد غليله فلذلك سمي النوم برداً قال الشاعر[4]:

وإن شِئْتُ حَرَّمتُ النِّساءَ سواكُم ∴ وإن شئت لم أَطْعَم فقاخاً ولا بَرْداً[5]

أي يوماً. قوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ انتصب على المصدر أي جوزوا على وفق أعمالهم جزاء، وقيل تقديره: جازيناهم جزاء وقوله تعالى: ﴿وِفَاقًا﴾ أي وافق أعمالهم وفاقاً كما يقول قاتل قتالاً والمعنى جوزوا بحسب أعمالهم على قدر أعمالهم قال مقاتل: وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي إنهم كانوا

---

(1) في النسخة ك: ينفعهم.

(2) أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي المروزي روى القراءة عن خارجة بن مصعب توفي قريباً من سنة إحدى عشرة ومائتين هجرية، غاية النهاية 2:8 رقم 2558.

(3) مجاز القرآن 2:282.

(4) أبو عمر عبد الله بن عمر الأموي العرجي شاعر غزل مطبوع نسب إلى ضيعة له قرب الطائف وله ديوان مطبوع توفي سنة عشرين ومائة هجرية، الشعر والشعراء: 244.

(5) نسب ابن منظور هذا البيت للعرجي، وقال: الفقاخ الماء العذب والبرد النوم. اللسان: برد.

لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي وكذبوا بمحمد والقرآن تكذيباً، وفِعال من مصادر التفعيل قال الفراء: هي لغة فصيحة يمانية، ويقال: خرَّقت القميص[1] خِرَّاقاً.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ أي وكل شيء من أعمال بيناه في اللوح المحفوظ كقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[2] قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي يقال لهم: ذوقوا العذاب في النار فلن نزيدكم إلا ألوان العذاب لوناً بعدَ لونٍ وكل عذابٍ يأتي بعد الوقت الأول فهو زائد على الأول.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿31﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿32﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿33﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿34﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿35﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿36﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿37﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿38﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿39﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿40﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾ المتقي: هو المؤمن المطيع لله الكاف عن جميع معاصيه، والمفاز: موضع الفوز وهو الجنة، والمعنى: إن للمتقين فوزاً ونجاة من النار قوله تعالى: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾ تفسير لذلك الفوز، والحدائق جمع الحديقة وكلما أحيط عليه الحائط من الأشجار فهو حديقة وهو البستان الجامع والأعناب أنواع العنب في البستان والمعنى: إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً يعني أشجار الجنة وثمارها. قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ الكواعب جمع الكاعب وهي الجارية الناهد المفلكة الثدي وهي التي خرج ثديها بأحسن الخروج ولم يعظم بعد والأتراب اللدات المستويات في السن ويجوز أن يكون المعنى مثل أزواجهن في السن والصورة والقدّ وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾

---

(1) معاني القرآن 3: 229.

(2) سورة يس: 36، الآية: 12.

الكأس: الإناء الذي فيه الشراب، والدهاق: الملآن المتتابع والمعنى: وكأساً ممتلئة وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ أي لا يسمعون في مجالسهم في الجنة كلاماً لا فائدة فيه، ولا يكذب بعضهم بعضاً، والمعنى: لا يسمعون في الجنة إذا شربوا الخمر باطلاً من الكلام، ولا يكذب بعضهم بعضاً قال ابن عباس: وذلك أن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل، وأهل الجنة إذا شربوا لم يتكلموا عليها بشيء يكرهه الله، وقرأ الكسائي: ﴿وَلَا كِذَابًا﴾ بالتخفيف[1] أي لا يكذب بعضهم بعضاً والكذاب مصدر المكاذبة وهو حسن المعنى وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي جازاهم الله بهذه الأشياء جزاء من ربك وأعطاهم عطاء حساباً أي كافياً، وقال ابن قتيبة: عطاء كافياً يقال احتسبت فلاناً أي أكثرت له وأعطيته ما يكفيه، قال الزجاج في ذلك الجزاء كل ما يشتهون ومن ذلك قولهم حسبي ربي أي كفاني والمعنى: جزاء من ربك عطاء كثيراً أي كافياً وافياً[2]. قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير - رب السموات برفع الباء والرحمن بالرفع على المعنى وهو رب السموات والأرض وما بينهما وهو الرحمن، وإن شئت قلت رب مبتدأ والرحمن خبره وقرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب كلاهما بالخفض على البدل من ربك[3].

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿رَّبِّ﴾ بالخفض الرحمن رفعاً قال أبو عبيد: وهذه القراءة أعد لها عندي لأن قوله تعالى: رب قريب من ربك فيكون نعتاً له، وارتفع الرحمن لبعده عنه فيكون مبتدأ وما بعده خبره قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه، وقال الكلبي معناه: لا يشفعون إلا بإذنه وقيل: لا يجترىء أحد أن يتكلم في عرصات يوم القيامة إلا بإذنه ثم وصف ذلك اليوم فقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(1) الفراء نفسه.

(2) معاني القرآن وإعرابه 5: 275.

(3) تراجع هذه القراءات في ابن خالويه إعراب القراءات 2: 432. والنحاس في إعراب القرآن 5: 136.

صَفًّا﴾ قيل معناه: في يوم يقوم الروح، واختلفوا في الروح قال الشعبي، والضحاك: هو جبريل الذي سماه الله الروح الأمين، وقال ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً، وقال ابن مسعود: هو ملك عظيم أعظم من السموات ومن الجبال وأعظم من الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملك، وقال مجاهد وقتادة: الروح خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا منهم يقومون صفاً والملائكة صفاً هؤلاء جند وهؤلاء جند وعن ابن عباس: إنه ملك لم يخلق الله في الملائكة أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام وحده مقاماً وقامت الملائكة كلهم صفاً فيكون أعظم خلقه مثل صفوفهم، وقيل هو خلق غير الجن والإنس يرون الملائكة، والملائكة لا يرونهم كما أن الملائكة يرونا ونحن لا نراهم قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ معناه: الخلق كلهم المؤمنون والملائكة لا يتكلمون إلا من أذن الله له في الكلام، ولا يؤذن إلا لمن إذا قال قال صواباً. ويقال معناه: إلا من أذن له الرحمن، وقال في الدنيا قولاً صواباً عدلاً وهو كلمة التوحيد يعني: لا إله إلا الله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي ذلك اليوم الذي وصف الله وهو اليوم الحق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ مرجعاً حسناً أي من شاء رجع إلى الله بطاعته، ثم خوف الكفار فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي خوفناكم من عذاب قريب كائن يعني العذاب في الآخرة وكلّ ما هو آت قريب، والخطاب لأهل مكة، ثم بين متى يكون ذلك العذاب فقال: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي يوم يرى الرجل فيه جزاء عمله في الدنيا من خير وشر وخص اليدين لأن أكثر العمل يكون بهما، وأما الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ أي ليتني لم أبعث، وليتني بقيت تراباً بعد الموت، وقال مقاتل: إن الله يجمع الدواب والطيور والوحوش يوم القيامة، ويقضي بين الثقلين الجن والإنس ثم يقضي للجماء من القرناء فإذا فرغ من ذلك قال: من ربكم؟ فيقولون: الرحمن الرحيم، فيقول الله تعالى: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم، وكنتم لي مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي خلقتكم منه فيصيرون تراباً فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً قال أبو هريرة: فيقول التراب للكافر لا حباً ولا كرامة لك أن تكون مثلي.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سورة النازعات مكية، وهي سبعمائة وثلاثة وخمسون حرفاً، ومائة وسبع وتسعون كلمة، وخمس وأربعون آية، قال ﷺ: **«من قرأها هون الله عليه نزعه عند موته، ولم يكن حسابه في القيامة إلا قدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿1﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿2﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿3﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿4﴾
فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿5﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿6﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿7﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿8﴾
أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿9﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿10﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿11﴾
قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿12﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿13﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿14﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ أقسم الله بالملائكة إعظاماً لهم ولله تعالى أن يقسم بغيره وليس للعباد أن يقسموا إلا به، ويجوز أن يكون القسم هٰهنا برب الملائكة كأنه قال: ورب الملائكة النازعات، والنازعات: هم الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار بشدة من أجسادهم من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم يردّونها في جسدها حتى إذا كادت تخرج ردّوها في جسدها.

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.
والزمخشري في الكشاف 4: 217.

قال مجاهد يعني ملك الموت وأعوانه، قال سعيد بن جبير: ينزعون أرواحهم ثم يغرقونها ثم يقذفون بها في النار، وقال السدي: هي النفس حين تغرق في الصدر، وقيل: يرى الكافر نفسه وقت النزع كأنها تغرق، وقيل معناه: تنزع الملائكة أرواح الكفار عن أجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق: اسم أقيم مقام الإغراق قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ الملائكة ينشطون أرواح الكافر من قدميه إلى حلقه نشطاً كما ينشط الصوف من سفود الحديد قيل إنهم ينشطون أرواح الكفار نشطاً عنيفاً ويجذبونها جذباً شديداً بكرب ومشقة وغم كنشط السفود الكثير الشعر من الصوف المبتل فيشتد عليهم خروج أرواحهم[1] يقال نشطت يد البعير إذا ربطته بالحبل وأنشطته إذا حللته قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ هم الملائكة الموكلون بقبض أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً ثم يدعونها تستريح رويداً كالسابح بالشيء في الماء يرفق به، وقال مجاهد: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال للفرس الجواد السابح لسرعته، وقال الكلبي: هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء فأحياناً ينغمس وأحياناً يرتفع يسلونها سلاً رفيقاً، وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2]. وقال عطاء: هي السفن قوله تعالى: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ هم الملائكة سبقت بني آدم بالخير والعمل الصالح والإيمان والتصديق، وقيل يسبقون بأرواح المؤمنين إلى الجنة قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ يعني جبريل، ومكائيل، وإسرافيل، وملك الموت يدبرون أمر الله في أهل الأرض، فجبريل للوحي والتنزيل، وميكائيل للقطر والنبات، وإسرافيل للصور، وملك الموت لقبض الأرواح، وجواب هذه الأقسام محذوف تقديره: لتبعثن للجزاء والحساب أو لتحاسبن يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلق والراجفة: صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ يعني النفخة الثانية ردفت النفخة الأولى، وبينهما أربعون سنة، وسميت الثانية رادفة تشبيهاً بالرادفة من المراكب.

---

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 515.

(2) سورة يس، الآية: 40.

قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي مضطربة قلقة لما عاينت من أهوال يوم القيامة قيل أراد بها قلوب الكفار والوجيف: اضطراب القلب، وقال مجاهد: يعني واجفة وجلة وقال السدي: زائلة عن أماكنها، وقيل غير هادئة ولا ساكنة وقال أبو عمرو مرتكظة قوله تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ أي أبصار أصحابها ذليلة خاضعة، وذلك أن المضطرب الخائف لا بد أن يكون نظره نظر الذليل الخاضع ليرقب ما ينزل من الأمر العظيم ويقال ذليلة عند معاينة النار كقوله: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾[1] قال عطاء يريد أبصار من مات كافراً يدل عليه أن ذكر منكري البعث فقال: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ معناه: يقول الكفار وهم في الدنيا أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا يقال: رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء والحافرة عند العرب اسم لأول الشيء وابتداء الأمر والمعنى أنهم كانوا يستبعدون البعث ويقولون: أنرد إلى الحياة الأولى، وتعاد فينا الروح بعد أن نصير عظاماً نخرة أي بالية ومنه قولهم: رجع فلان في حافرته إذا رجع في الطريق الذي جاء فيه، وقال بعضهم: الحافرة: الأرض التي تحفر فيها قبورهم والحافرة بمعنى المحفورة كما في عيشة راضية، وماء دافق ومعناه: إننا لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً ونمشي على أقدامنا وقال ابن زيد الحافرة: النار، وقيل معناه: أنرد أحياء في قبورنا بعد الموت قوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ قرأ أهل الكوفة ناخرة بالألف، وهي قراءة عمر رضي الله عنه، وابنه، وابن عباس، وابن مسعود، وابن الزبير وقرأ الباقون: نخرة بغير ألف[2]، والنخرة: البالية، والناخرة: المجوفة يقال: نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر إذا بلي وتفتت، وقال الأخفش: هما لغتان أيهما قرأت فحسن والمعنى: إنهم أنكروا البعث، فقالوا: أنرد أحياء إذا متنا وبليت عظامنا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ كانوا يقولون على جهة التكذيب إن كان الأمر على ما يقول محمد فتلك الرجفة إذا رجعت خاسرة، والخاسرة ذات الخسران. أي إن رددنا بعد الموت لتحسرن بما يصيبنا بعد الموت

(1) سورة الشورى: 42، الآية: 45.
(2) الفراء في معاني القرآن 3: 231.
ابن خالويه في إعراب القرآن 2: 435.

ثم أعلم الله سهولة البعث عليه فقال تعالى رداً عليهم ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعني النفخة الأخيرة صيحة واحدة يسمعونها وهم في بطون الأرض أموات ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ أي فإذا هم أحياء على وجه الأرض، والساهرة: وجه الأرض وظهرها والمعنى: فإنما هي نفخة واحدة وصيحة واحدة هائلة فإذا هم بالساهرة أي فإذا هم على ظهر الأرض بعد أن كانوا في جوفها والعرب تسمي وجه الأرض ساهرة، وسميت الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهرتهم، ويقال: إن المراد بالساهرة: أرض بيت المقدس، ويقال: أراد به أرض الآخرة، وقيل الساهرة: جهنم.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (15) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (16) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19) فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ (20) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (22) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (24) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ (25) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (26)﴾.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (15)﴾ أي هل جاءك يا محمد حديث موسى إذ ناداه ربه أي هل بلغك قصة موسى وخبره، وهذا استفهام بمعنى التقرير كما يقول الرجل لغيره هل بلغك حديث فلان وهو يعلم أنه بلغه ذلك، ولكن يريد بهذا الكلام التحقيق، ويجوز أن يراد بهذا ابتداء الإخبار كأنه قال لم يكن عندك يا محمد ولا عند قومك ما علمك الله به من حديث موسى إذ أسمعه الله نداءه بالوادي المقدس أي بالواد المطهر الذي كلمه الله عليه، واسم ذلك الوادي طوى وهذا يقرأ بالتنوين وغيره فمن نونه وصرفه فلأنه مذكر سمي به مذكر، ومن لم يصرفه جعله اسم البقعة التي هي مشتملة على ذلك الوادي[1] قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (24)﴾ أي ناداه ربه، فقال له: يا موسى اذهب إلى فرعون إنه علا وتكبر وكفر، وتجاوز عن الحد في المعصية.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (18)﴾ أي تطهر عن الشرك، وتشهد أن لا إلٰه إلا الله وتعمل عمل الأزكياء، وهل لك رغبة في أن ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى معرفة

---

(1) النحاس في إعراب القرآن 5: 143.
الفراء في معاني القرآن 3: 222.

ربك وعبادته وتوحيده، ومعرفة صفاته فتخشى عقابه إن لم تطعه ثم بين الله تعالى أن موسى لم يقتصر على ذلك حتى أراه الآية الكبرى يعني: العصا إذ كانت أكبر آية، وقال بعضهم يعني: اليد البيضاء أخرجها لها شعاع كالشمس فكذب وعصا أي ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ بأنها من الله وعصا موسى فلم يطعه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿22﴾﴾ أي أدبر عن الإيمان وأعرض عنه بعمل الفساد في الأرض ويقال: أدبر يسرع هارباً من الجنة قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ﴾ أي فجمع قومه وجنوده فنادى لما اجتمعوا، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿24﴾﴾ أي لا رب فوقي، وقيل إنه جمع قومه بالشرط يستنصر بهم على إبطال أمر موسى ودفع ضرر الحية فنادى فيهم أعيدوا أصنامكم التي كنتم تعبدونها وأنا رب أصنامكم الأعلى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿25﴾﴾ معناه: لما بلغ في استنكاره وكفره إلى حد لا ينفع فيه الوعظ حين إذ أخذه الله بعقوبة صار بها نكالاً في الدنيا والآخرة، و ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[1] ولو تفكر هؤلاء الجهال لعلموا أنه لو كان إلٰهاً لم يحتج إليهم لدفع ضرر الحية التي يخافها، وقيل معنى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿25﴾﴾ يعني كلمتي فرعون حين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[2] وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ وكان بينهما أربعون سنة قال مجاهد هذا معنى: الآخرة والأولى وهو قوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهي الكلمة الأخرى، وقوله تعالى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ هي الكلمة الأولى، وهذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن معناه: نكال الدنيا والآخرة أغرقه في الدنيا، وعذبه بالنار في الآخرة، وعن ابن عباس قال قال موسى: يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول: أنا ربكم الأعلى ويكذب بأنبيائك ورسلك فأوحى الله إليه: إنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ أي إن في الذي فعل بفرعون من العقوبة حين كذب عظة لمن يخشى عذاب الله، والعبرة: هي الدلالة المؤدية إلى الحق، ثم خاطب منكري البعث.

---

(1) سورة غافر: 40، الآية: 46.

(2) سورة القصص: 28، الآية: 38.

فقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿27﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿28﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿29﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿30﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿31﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿32﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿33﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿34﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿35﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿36﴾﴾.

فقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ﴾ الخطاب لأهل مكة يقول ءأنتم أشد خلقاً معناه: أخلقكم بعد الموت أشد عندكم أم السماء في تقديركم وهما في قدرة الله واحد وهذا كقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿بَنَىٰهَا﴾ أي بناها الله مع عظمها فكيف لا يقدر على إعادتكم مع صغر أجسامكم، وقوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿28﴾﴾ أي رفع سقف السماء فوق كل شيء بلا عمد تحتها ولا علاقة فوقها فسواها من الفطور والعيوب، وقيل فسواها بلا سقوف ولا فطور قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿29﴾﴾ أي أظلم ليلها وأظهر نهارها، والغطش: الظلمة، وأضاف الليل والنهار إلى السماء لأن الليل إنما يكون لضروب الشمس والشمس منسوبة إلى السماء فإذا غربت الشمس كان مبدأ الظلام من جانب السماء وكذلك الضياء يظهر قبل طلوع الشمس من جانب السماء قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿30﴾﴾ أي بسطها بعد خلق السماء مأخوذ من الدحو وهو البسط وذلك أن الله خلق الأرض قبل السماء مجموعة ثم خلق السماء وشمسها وقمرها وليلها ونهارها ثم دحا الأرض بعد ذلك إلى ما شاء الله تعالى ليكون ذلك أدلّ على القدرة قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿31﴾﴾ أراد بالماء ماء الآبار والعيون التي تخرج من الأرض، وبالمرعى: النبات مما يأكل الناس والأنعام وهو قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿33﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿32﴾﴾ أي أثبتها وثقل بها الأرض فعل ذلك منفعة لكم ولدوابكم لا لمنفعة نفسه، فإنه تعالى منزه عن المضار والمنافع وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿34﴾﴾ يعني النفخة الثانية التي فيها البعث والطامة: الحادثة التي تطم على ما سواها أي تعلو فوقه والقيامة تطم على كل شيء فسميت الطامة.

(1) سورة غافر: 40، الآية: 57.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿35﴾﴾ أي ما عمل في دار الدنيا من خير أو شر، قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿36﴾﴾ أي أظهرت لجميع الخلائق حتى يراها أهل الموقف كلهم، والطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع، وقيل إن الطامة الكبرى: حين يساق أهل النار إلى النار، وأهل الجنة إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿37﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿38﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿39﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿40﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿41﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿42﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿43﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿44﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿45﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿46﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ معناه: فأما من جاوز الحد في معصية الله، واختار ما في الدنيا من زهرتها وزينتها على الإيمان بالله وطاعته فإن الجحيم هي المأوى أي مأواه، وأما من خاف مقام ربه للحساب واجتنب المعاصي ونهى النفس عن المحارم التي يشتهيها قال مقاتل: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها[1] ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿41﴾﴾ له قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ أي متى قيامها ووقوعها؟ يعني القيامة يسألون عن تلك لتكذيبهم بها وقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿43﴾﴾ أي في أي شيء أنت من ذكر القيامة ووقتها؟ ولم يعرفك الله بذلك، والمعنى لست في شيء من علمها أي لا تعلمها وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿44﴾﴾ أي علمها وقيامها لا يعلمها أحد غيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿45﴾﴾ معناه: إنما أنت مخوف من يخاف قيامها أي إنما ينفع إنذارك من يخافها قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا﴾ أي كأنهم يوم يرون القيامة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر عشية من العشيات أو قدر ضحى العشية وذلك أنه إذا استقبلهم أمر الآخرة ذهب عنهم الفكر في مقدار مكثهم في الدنيا ومقدار مكثهم في قبورهم لعظم ما استقبلهم من الشدائد والمعنى أن الذي أنكروه سيرونه حتى كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة ونصف كأنها لم تكن، والضحى: وقت ارتفاع النهار، والعشي: ما بعد الزوال.

---

(1) البغوي في معالم التنزيل 5:520، بلفظه.

سُورَةُ عَبَسَ

سورة عبس مكية، وهي خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً، ومائة وثلاث وثلاثون كلمة، وأربعون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (1) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ
ٱلذِّكْرَىٰٓ (4) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (5) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (7) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ
يَسْعَىٰ (8) وَهُوَ يَخْشَىٰ (9) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (10) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (12) فِى
صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (13) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (14) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (16)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ كان عمه العباس، وأبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وغيرهم من أشراف قريش، وقد أقبل عليهم يدعوهم إلى الإيمان، ويقرأ عليهم القرآن رجاء أن يؤمنوا، فيؤمن بإيمانهم بشر كثير، فجاء عبد الله ابن أم مكتوم وهو الأعمى المذكور، فجعل يسأل النبي ﷺ عن آيات أنزلت ويقول: أقرئني يا رسول الله وعلمني مما علمك الله؟ وهو لا يعلم شغل قلب النبي ﷺ ولا يدري أنه مشغول

(1) الثعلبي في تفسيره: خ - عن أبي بن كعب.
الزمخشري في الكشاف 4: 221.

بالإقبال على غيره، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقطب وجهه، وعبس وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات[1] والمعنى: عبس محمد وأعرض بوجهه لأن جاءه الأعمى، وأن في موضع نصب لأنه مفعول له والتولي عن الشيء: هو الإعراض عنه فإنه صرف وجهه عن أن يليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③﴾ معناه: وما يعْلمك يا محمد لعل ابن أم مكتوم يتزكى للعمل الصالح بجوابك عن سؤاله ويتعظ فينفعه ذكراك، وقيل معنى يتزكى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح أو يذكر فيتعظ بما يعلمه من مواعظ القرآن فينفعه بالنصب على جواب لعل بالفاء، وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على تزكى[2] ويذكر قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ يعني أشراف قريش قال بعضهم معناه: أما من استغنى بماله، وقيل استغنى عن وعظك أي جعل نفسه عيناً عنه. وقال ابن عباس معناه: استغنى عن الله، وعن الإيمان فأنت له تصدى لوعظه أي تعرض له وتقبل عليه بوجهك، وتميل إليه، وتصغى إلى كلامه ويقال فلان يتصدى لفلان أي يتعرض له ليراه قرأ نافع وابن كثير ويعقوب: تصدَّى بالتشديد على معنى: يتصدى، وقرأ الباقون بالتخفيف[3] على الحذف ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦﴾ أي وما عليك أن لا يؤمن ولا يهتدي فإنه ليس عليك إلا البلاغ، ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ⑧﴾ لعمل الخير وهو ابن أم مكتوم جاءك يسرع في المشي إليك يلتمس منك الدين وهو يخشى عذاب الله، وقيل يخشى العثور في مشيته فأنت عنه تلهى أي تتشاغل فتعرض بوجهك عنه يقال: لهيت عن الشيء ألهى إذا تشاغلت عنه وليس من لها يلهو ومن هذا قولهم: إذا استأثر الله بشيء فأله عنه أي تركه وأعرض عنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي حاشا أن تعود إلى مثل ذلك لا يعد إليه ولا يفعل مثله والمعنى: إن كلا هٰهنا ردع وزجر أي كلا لا يفعل بعدها مثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي إن هذه الآيات التي أنزلها الله عليك موعظة

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 379.
الطبري في تفسيره 15: 65 رقم 28143.

(2) ينظر ابن خالويه في إعراب القراءات 2: 439.

(3) ابن خالويه نفسه.
والنشر في القراءات العشر 2: 398.

يتعظ بها عباد الله وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي من شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره ويتعظ به وهذه كلمة تأديب للنبي ﷺ، وتبيين له أن المحافظة على الإقبال على المؤمنين أولى من الحرص على من هو كافر لرجاء أن يتزكى، فلما نزلت هذه الآية أكرم رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم وألطفه، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما ليصلي بالناس، وكان ﷺ إذا رآه يقول: «**مرحباً بمن عاتبني فيه ربي هل لك من حاجة؟**» ولا يمتنع أن يكون إعراض النبي ﷺ عن ابن أم مكتوم لأنه كان يريد أن يعلم الناس طريقة حفظ الأدب في تعلم العلم وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي فمن شاء ذكر ما أنزل الله من الآيات، ويقال من شاء الله له أن يتعظ اتعظ ثم أخبر الله تعالى بجلالة القرآن في اللوح المحفوظ عنده فقال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي في كتب معظمة بما تضمنت من الحكمة، والمرفوعة: مرفوعة القدر في السموات مطهرة أي مطهرة منزهة من الإنس، ومن التناقض، والاختلاف كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1].

والصحف جمع الصحيفة، وقيل يعني بقوله: في صحف مكرمة: اللوح المحفوظ وقوله تعالى: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ يعني في السماء السابعة ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ أي لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ يعني الكتبة من الملائكة واحدهم سافر مثل كاتب وكتبة، وقال الفراء السفرة هٰهنا: الملائكة الذين هم رسل الله بالوحي إلى أنبيائه واحدهم: سفير وهو الرسول، وسفير القوم: هو الذي يسعى بينهم بالصلح من السفارة: وهو السعي بين القوم ثم أثنى الله عليهم فقال تعالى: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ أي كرام على ربهم مطيعين له، والكريم: الذي من شأنه أن يأتي بالخير ـ والبررة: جمع بار وهو الفاعل للبر المطيع لله[2].

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿17﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿18﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿19﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿20﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿21﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿22﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ

(1) سورة فصلت: 41، الآية: 42.
(2) معاني القرآن 3: 236.

مَا أَمَرَهُۥ ﴿23﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿24﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿25﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿26﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿27﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿28﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿29﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿30﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿31﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿32﴾﴾.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أي لعن الله الكافر ما أكفره بالله وبنعمه مع كثرة إحسانه إليه قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب[1]، والمراد به كل كافر وقوله تعالى: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجيب بمعنى التوبيخ تقول أي شيء حمله على الكفر مع وضوح الدلائل على وحدانية الله فتعجبوا من كفره، وأما الله تعالى: فلا يجوز أن يتعجب من شيء لكونه عالماً لم يزل قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ معنى الآية: ما أشد كفره بالله اعجبوا أنتم من كفره ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه فقال: من أي شيء خلقه لفظه: استفهام، ومعناه: التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي من ماء مهين حقير خلقه فصوره في رحم أمه على الاستواء باليدين والرجلين، وسائر الأعضاء فقدره على ما يشاء من خلقه: طويلاً وقصيراً وذميماً وحسناً، وذكراً وأنثى، وشقياً وسعيداً وغير ذلك من الأوصاف. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ قال السدي، ومقاتل: أخرجه من الرحم، وهداه إلى الخروج من بطن أمه قال مجاهد: ثم يسر له سبيل الدين ومكنه من سلوكه وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي أماته عند انقضاء أجله، وجعل له قبراً يوارى فيه وأمر عباده أن يقبروه ولم يجعله ممن يلقى على الأرض كما تلقى البهائم أكرمه الله بذلك يقال: أقبرت فلاناً إذا جعلت له قبراً يدفن فيه وقبرته إذا دفنته والقابر: الدافن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي إذا شاء بعثه وأحياه بعد الموت قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي حقاً لم يقض ما أمره الله به، ولم يؤد حقه مع كمال نعمه عليه، ثم ذكر رزقه ليعتبر فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أي ليتأمل الكافر في طعامه كيف خلقه الله وقدره سبباً لحياته ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب: أنا بالفتح على نية تكرير الخافض تقديره: فلينظر إلى أنا صببنا المطر من السماء صباً، وقرأ

(1) ذكره ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» 16: 231.
والقرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» 19: 217.

الباقون بالكسر على الابتداء[1]، والمطر ينزل من السماء إلى السحاب صباً ثم ينزل من السحاب إلى الأرض قطرة قطرة ليكون أقرب إلى النفع وأبعد من الضرر وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿26﴾﴾ أي صدعنا الأرض بالنبات فأنبتنا فيها حباً يعني الحبوب كلها الذي يتغذى بها وعنباً أي كرماً وقضباً للدواب، وزيتوناً: هو الذي يعصر منه الزيت، وقال الحسن: القضب: العلف ونخلاً جمع نخلة، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿30﴾﴾ الحدائق: جمع الحديقة وهي البستان الذي أحدق بالحيطان، والغلب: الشجر العظام الغلاظ وقيل الغلب: الملتفة بالأشجار بعضها في بعض يقال: شجرة غلباً إذا كانت غليظة، ورجل أغلب إذا كان غليظ العنق قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿31﴾﴾ يعني ألوان الفاكهة، والأب: هو المرعى والكلأ الذي لم يرتعه الناس عما تأكله الأنعام. وسئل أبو بكر رضي الله عنه عن الأب فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وعن أنس رضي الله عنه أن عمر قرأ هذه الآية، فقال: عرفنا الفاكهة فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال: اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، وما لم يبين فدعوه.

وقال الحسن: الأب هو الحشيش وما تأكله الدواب، وقال قتادة: أما الفاكهة فلكم، وأما الأب فلأنعامكم، وعن ابن عباس قال: هو ما أنبتت الأرض مما تأكل الناس والأنعام قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿33﴾﴾ أي خلقنا هذه الأشياء متاعاً لكم ولدوابكم لسد خلتكم وتتميم حاجتكم، وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿24﴾﴾ يعني إلى مدخله ومخرجه، وعن رسول الله ﷺ أنه قال لرجل[2] «**ما طعامك؟**» قال: اللحم واللبن يا رسول الله قال: «**ثم يصير إلى ماذا؟**» قال: إلى ما قد علمته قال: «**فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم تمثيلاً للدنيا**»[3]، وقال أبو قلابة: مكتوب في التوراة

---

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع 2: 440.
الفراء في معاني القرآن 3: 238.
المهذب في القراءات العشر 2: 324.

(2) هو الضحاك بن سفيان الكلبي.

(3) أخرجه البيهقي في الشعب 5: 29 رقم 5653 باب في المطاعم والمشارب.

يا ابن آدم انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار، وعن ابن عباس إن معناه: فلينظر الإنسان إلى أول أمر طعامه ثم إلى عاقبته فليعتبر.

قال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (35) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (42)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ يعني صيحة القيامة تصخ الأسماع أي تصمها لشدة الصيحة والصاخة من أسماء القيامة ثم بين في أي وقت تجيء فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ لا يلتفت إلى أحد منهم لعظم ما هو فيه، ومخافة أن يسأله أحد منهم يحمل عنه شيئاً من عقابه أو يواسيه بشيء من ثوابه وقيل يفر منه حذراً من مطالبتهم إياه بما بينهم من التبعات والمظالم، وقيل لعلمه بأنهم لا ينفعونه، وعن الحسن رضي الله عنه قال: أول من يفر من أبيه يوم القيامة إبراهيم ويفر محمد ﷺ من أمه، ويفر لوط عليه السلام من زوجته، ونوح من ابنه كنعان وهابيل من أخيه قابيل وهذا في أهل الثواب من أهل العقاب، وفي أهل العقاب فيما بينهم وأما أهل الثواب فيما بينهم فليسوا كذلك، ولكن يسألون ربهم إلحاق ذريتهم بهم قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» قالت: قلت يا رسول الله، فكيف بالعورات(1)؟ فقال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وعن سودة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس حفاةً عراةً غرلاً**»، قالت: قلت يا رسول الله، واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض، قال: شغل الناس عن ذلك ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي مضيئة مشرقة حسنة فرحة معجبة مسرورة بما أكرمها الله به وهي وجوه أهل الثواب ضاحكة بالسرور مستبشرة أي فرحة بما تنال من الله من

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح العسقلاني 13: 187 رقم 6527 كتاب الرقاق.

الكرامة، ووجوه يومئذ عليها غبرة أي غبار من البلاء وسواد وكآبة ترهقها قترة أي يعلوها ويغشاها كسوف وسواد عند معاينة النار، والقترة سواد كالدخان الأسود ثم بين من أهل هذه الوجوه، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ أي الكفرة بالله الكذبة على الله جمع كاذب وفاجر.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

سورة كورت مكية، وهي خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً، ومائة وأربع كلمات، وتسع وعشرون آية، قال ﷺ: «**من قرأها أعاذه الله أن يفضحه حين ينشر صحيفته**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿1﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿2﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿3﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ
عُطِّلَتْ ﴿4﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿5﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿6﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿7﴾ وَإِذَا
ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿8﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿9﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿10﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿11﴾ وَإِذَا
ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿12﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿13﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿14﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي لفت كما تلف العمامة يقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً إذا لففتها، وقال الكلبي ومقاتل: كورت أي ذهب ضوءها، وقال مجاهد: اضمحلّت[2] قال المفسرون: تجمع الشمس بعضها إلى بعض ثم تلف فيرمى بها، ويقال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من التشتت بعد الألفة ومن النقصان بعد الزيادة.

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.
والزمخشري في تفسيره 4: 226.

(2) تراجع هذه الأقوال في معالم التنزيل 5: 526.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت وتناثرت يقال: انكدر الطائر من الهوى إذا نقص قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الأرض وذلك أن النجوم كالقناديل معلقة بسلاسل من نور بأيدي الملائكة من نور فإذا ماتت الملائكة تساقطت تلك السلاسل من أيديهم وانكدرت النجوم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ تسير إلى وجه الأرض كما يسير السحاب فيصير هباءً منبثاً وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار هي النوق الحوامل إذا أتت عليها عشرة أشهر وبقي شهران، وهي أحسن ما يكون في الإبل، وأعزها على أهلها وليس يعطلها أهلها إلا في حال الشدة العظيمة واحدها: عشراً، وليس في القيامة عشار ولكن هذا على وجه التمثيل حتى لو كان للرجل يومئذ عشار لعطلها واشتغل بنفسه ونظيره: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[1] ومعنى عطلت: أي تركت هملاً بلا راع أهملها أهلها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ الوحوش جمع وحش وهو ما يأوي إلى الفلوات وينفر عن الناس وقوله تعالى: ﴿حُشِرَتْ﴾ أي جمعت حتى يقتص بعضها من بعض وقال ابن عباس: حشر البهائم موتها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير مخففاً وقرأ الباقون بالتشديد ومعناه واحد أي وإذا البحار ملئت[2] وفجر بعضها في بعض ثم صيرت بحراً واحداً وقال بعضهم معناه: أحميت من قولهم: سجرت التنور إذا أحميته والمراد بالبحار على هذا القول بحار في جهنم تملأ من الحميم لتعذيب أهل النار، وفي الحديث: «**إن الله تعالى يفني ماء هذه البحار كلها**» كما روي أن البحار كلها تسيل حتى تبلغ إلى الثور الذي على قرنه الأرضون، فإذا بلغه فتح فاه فابتلعها كلها فإذا وقعت المياه كلها في جوفه يبست فلا يرى منها قطرة بعد ذلك. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي ردت الأرواح إلى الأجساد فقرنت كل روح إلى جسدها وسئل عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال معناه: يقرن الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن الرجل السوء مع الرجل

---

(1) سورة الحج: 22، الآية: 2.

(2) الكشف عن وجوه القراءات 2: 363.

السوء في النار فذلك تزويج الأنفس ومنه قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[1] أي وقرناءهم وقال عطاء: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكفار بالشياطين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال الفراء: سئلت الموءودة فقيل لها بأي ذنب قتلت؟ ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب، والموءودة: المقتولة بثقل التراب الذي يطرح عليها[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾[4] أي لا يثقل عليه حفظ السموات والأرض وكانت العرب تئد البنات من أولادها حمية كيلا يخطبن إليهم ومخافة الإملاق كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾[5] قال المفسرون: الموءودة: هي المقتولة المدفونة حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤودها أي يثقلها حتى تموت، قالوا: وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت فإذا أراد أن يستبقيها ألبسها جبة من الصوف وترعى له الغنم والإبل، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية ثم يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى بيت أقاربها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل عليها التراب حتى يسويها بالأرض قال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته ويغذو كلبه، ويجوز أن يكون معنى سئلت: طلبت من قاتلها لم قتلها؟ كما تقول: سألت حقي من فلان إذا أخذته وطلبت حقك منه. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أراد به ديوان الحسنات والسيئات وذلك أنه: إذا مات ابن آدم، طويت صحيفته على مقدار عمله، فإذا كان يوم القيامة نشرت، وأعطى كل واحد منهم على مراتبهم، فينبغي لكل عاقل أن يذكر

---

(1) سورة الصافات: 37، الآية: 22.

(2) سورة النساء: 4، الآية: 38.

(3) معاني القرآن 3: 240.

(4) سورة البقرة: 2، الآية: 255.

(5) سورة الإسراء: 17، الآية: 31.

حاله التي في آخر عمره، وحالة الشر يوم القيامة، ويجتهد أن يملىء صحيفته في حياته من الطاعات قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ أي نزعت عن أماكنها فطويت كما يكشط الغطاء عن الشيء وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف، ومعنى الكشط: رفع شيء عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن الشاة[1]، وفي قراءة ابن مسعود: قشطت بالقاف والمعنى واحد ويقال معنى: الكشط: أن ينزع عنها ما فيها: من الشمس والقمر والنجوم يقال: كشطت الحرف عن البياض إذا قطعته[2] ومحوته قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ أي أوقدت للكافرين والمنافقين قرأ نافع بالتشديد أي أوقدت مرة بعد مرة، وزيد في وقودها وشدة لهبها[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ أي أدنيت من المتقين، وقربت لهم، ودنا حلولهم إياها كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[4] ومن ذلك المزدلفة لقربها من عرفات وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ جواب هذه الأشياء يقول إذا كانت هذه الأشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أحضرته من خير أو شر تجزى به.

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿15﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿16﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿17﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿18﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿19﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿20﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿21﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿22﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿23﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿24﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿25﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿26﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿27﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿28﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿29﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ معناه: أقسم برب الخنس، ولا في هذا الموضع مؤكدة زائدة وقوله تعالى: ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ أي الجارية في الأفلاك وتخنس في مجراها أي ترجع إلى مطالعها في سيرها فهي الخنس ثم تستر عند

---

(1) معاني القرآن وإعرابه 5: 291.

(2) الفراء في معاني القرآن 3: 241، وتفسير البحر المحيط 8: 434.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع 2: 363.

(4) سورة الشعراء: 26، الآية: 90.

غروبها فتغيب في المواضع التي تغيب فيها كما تكنس الظباء بأن تستتر في كناسها، والخنس: هو التأخر ومنه الخنس في الأنف: تأخره في الوجه يقال: رجل أخنس وامرأة خنساء، وسمى الأخنس بن شريق بهذا الاسم لتأخره يوم بدر عن أصحابه ومنه الخناس وهو الشيطان لأنه يغيب عن أعين الناس، والخنس: جمع خانس وهي ههنا النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد ـ تجري في الأفلاك وتخنس في مجراها أي ترجع إلى مطالعها في سيرها وروى أن رجلاً من خثعم جاء إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين ما الخنس؟ قال: ألست رجلاً عربياً؟ قال: بلى ولكن أكره أن أفسر القرآن على عربيتي، فقال الخنس: هي النجوم الخمسة: الزهرة، والمشتري، وعطارد، والمريخ، وزحل، فقال: ما الكنس؟ قال: مسقطهن إذا سقطن[1] وهي الجواري يخنسن خنوس القمر يرجعن وراءهن ولا يتقدمن كما تتقدم النجوم، وليس من نجم غيرهن ألا يطلع ثم يجري حتى يقطع المجرة، وقيل معنى خنوسها: أنها تستتر بالنهار فتخفى وتكنس وقت غروبها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ أي إذا أقبل بظلامه، وقيل: إذا أدبر بظلامه، والعس: طلب الشيء بالليل ومنه العسس، ويقال: عسعس الليل إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر وهو من الأضداد إلا أن ما بعد هذه الآية دليل على أن المراد به أدبر وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ أي إذا امتد ضوءه حتى يصير نهاراً بيّناً، ومنه تنفس الصعداء وهو امتداد نفس الخوف بالخروج من الأنف والفم ثم ذكر جواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ يعني القرآن أتى به جبريل عليه السلام من عند الله، وهو رسول كريم فقرأه على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ يعني جبريل عليه السلام ذي قوة فيما كلف وأمر به ومن قوته أنه قلب قرى قوم لوط وهي أربع مدائن في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري فحملهم من الأرض السفلى بقوادم جناحه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب

(1) يراجع تفسير الطبري 15: 94 رقم: 28273.
وكذا الطبري 15: 96 رقم 28285.

ثم قلبها بأمر الله فهوت بهم كل هذا من غير تكلف لحقه قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ معناه: عند خالق العرش ومالكه وجيه رفيع القدر، يقال: فلان مكين عند الأمير أي ذو قدر ومنزلة عنده ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿21﴾﴾ أي مطاع في السموات يطيعه أهل السموات بأمر الله، ويقال: فرض طاعته على أهل السماء كما فرض طاعة النبي ﷺ على أهل الأرض وقوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ أي فيما يؤدي عن الله إلى أنبيائه عليهم السلام حقيق بالأمانة فيه لم يخن ولا يخون قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿22﴾﴾ يعني محمداً ﷺ، والخطاب لأهل مكة، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً مجنون، فأقسم الله تعالى: إن القرآن نزل به جبريل، وإن محمداً ليس بمجنون كما قالوا وفي هذا بيان غاية جهل قريش حيث نسبوا أعقل خلق الله إلى الجنون، والمجنون في اللغة: هو المغطى على عقله لآفة نزلت به. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿23﴾﴾ أي ولقد رأى محمد جبريل بالأفق الأعلى وهو مطلع الشمس الذي يجيء منه النهار، وقد تقدم في سورة النجم أن جبريل عليه السلام كان يأتي محمداً ﷺ في صورة دحية الكلبي، وأن النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته التي هو عليها إلا مرتين.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: «**إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء**» قال: لن تقدر على ذلك. قال: «**بلى**» قال: أين تشاء أتخيل لك؟ قال: «**بالأبطح**» قال الأبطح لا يسعني، قال «**بمنى**»، قال: لا تسعني قال: «**بعرفات**»؟ قال: فهبط في عرفات بخشخشةٍ وَكَلْكَلَةٍ قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فخر النبي ﷺ مغشياً عليه فتحول جبريل في صورة دحية الكلبي، وضمه إلى صدره، وقال يا محمد لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه تحت العرش، ورجلاه في التخوم السابعة، والعرش على كاهله[1] قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال بعضهم: أراد به جبريل ليس بمتهم على تبليغ الوحي والرسالة، ولا يتخيل، بل هو صادق موثوق به، وقال بعضهم: أراد به النبي ﷺ، والمراد

---

(1) الثعلبي في تفسيره ـ خ ـ، وكذا القرطبي 19: 241.

بقوله: على الغيب أي على الوحي، وقرأ الحسن والأعمش، وعاصم، وحمزة ونافع، وابن عامر: بضنين بالضاد، وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب ومعناه: وما هو على الغيب ببخيل، ولا يبخل عليكم، بل يعلمكم ويخبركم به تقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون فأنا به ضنين أي بخيل قال الشاعر:

أَجُود بِمَكْنُونِ الْحَدِيثِ وإِنَّنِي ∴ بِسِرِّكِ عَمَّن سالني لَضَنِين

وقرأ الباقون بظنين بالظاء، وهي قراءة ابن مسعود، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز ومعناه: بمتهم والظنة: التهمة[1] قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿25﴾﴾ هذا رد على الكفار وأنهم كانوا يزعمون أن النبي ﷺ يأتيه شيطان اسمه الري يتراءى له فيلقيه على لسانه، والرجيم: الملعون المرجوم بالشهب والمعنى: وما القرآن بقول شيطان رجيم قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿26﴾﴾ خطاب لكفار مكة يقول: أي طريق تسلكون أبين من هذا الطريق الذي بينت لكم، ويقال: أين تذهبون بقلوبكم عن معرفة ما بين الله لكم من صحة نبوة النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ما القرآن إلا عظة بليغة لجميع الخلائق. قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿28﴾﴾ أي يتمسك بطريقة الإيمان. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿29﴾﴾ أعلم الله أن المشيئة والتوفيق والخذلان إليه تعالى وهم لا يعملون شيئاً من الخير والشر إلا بمشيئة الله عز وجل وقد اختلقوا في تفسير هذه الآية على قولين: قال بعضهم: هذا القرآن ذكر لمن يشاء الله له أن يستقيم، وما تشاءون إلا أن يشاء الله تعالى لكم ذلك، وقال بعضهم: هذا ذكر عام للعالمين فمن شاء منكم أن يستقيم استقام.

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات 2: 446، والفراء في معاني القرآن 3: 242. والنحاس في إعراب القرآن 5: 163.

سُورَةُ الانفِطَار

سورة انفطرت مكية وهي ثلاثمائة وتسعة عشر حرفاً، وثمانون كلمة، وتسع عشرة آية قال ﷺ: «**من قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح له شأنه يوم القيامة**»(1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ
بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ
عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ أي انشقت والانفطار: الانصداع والانشقاق بمعنى واحد، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ أي تساقطت على وجه الأرض، ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ أي فتح بعضها في بعض، ورفع الحاجز بين العذب والملح قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ أي بحثت وأثيرت وكشفت عن الأموات واستخرج ما فيها من الموتى ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ من عمل وما أخرت منه أي عند ذلك تعلم النفس ما قدمت

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 229.
والثعلبي في تفسيره ـ خ ـ عن أبي بن كعب.

وأخرت وهذا جواب الشرط، ويقال: ما قدمت من الطاعة والمعصية، وما أخرت من الحسنة والسيئة، ويقال: ما قدمت وأسلفت من الخطايا، وسوفت من التوبة، وقيل: ما قدمت من الصدقات وأخرت من البركات. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ الخطاب في هذه الآية للكفار والمراد بالإنسان «أبو الأشد بن كلَّدة» ويقال الخطاب للكافر والعاصي يقال له يومئذ لم أغررت وتشاغلت عن طاعة الله وطلب مرضاته؟ وهو الكريم الصفوح عن العباد الذي خلقك فسوى خلقك في بطن أمك باليدين والرجلين وسائر الأعضاء لم يخلقها متفاوتة ولو كان خلق إحدى رجليك أطول من الأخرى لم تكمل لك منفعتك، وعن رسول الله ﷺ أنه تلى هذه الآية فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ فقال: «**جهله يا رب**» وقال قتادة: غر الإنسان شيطانه المسلَّط عليه، وقيل للفُضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ماذا كنت تقول؟ قال أقول غرتني ستورك المرخاة، وقال مقاتل: غره عفو الله حين لم يعجل عليه بالعقوبة، وقال سريّ: غره رفق الله به، وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني ربي بين يديه فقال: ما غرك بي؟ فقلت: غرني بك رفقك بي سالفاً وآنفاً قال أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته كأنه لقنه الإجابة حتى يقول: غرني كرم الكريم قال وعن ابن مسعود قال: ما منكم من أحد إلا سيقال له يوم القيامة ما غرك بربك الكريم؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت (ماذا أجبت المرسلين) وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت غرني كرم الكريم[1] قوله تعالى: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأ أهل الكوفة بتخفيف الدال أي صرفك لأي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر، وقرأ الباقون بالتشديد أي قومك وخلقك معتدل الخلق ومعتدل القامة في أحسن[2] صورة كما في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3] قوله تعالى: ﴿كَلَّا

٤٣

---

(1) تراجع هذه الأقوال في تفسير القرطبي 19: 245.
والثعلبي في تفسيره - خ.
(2) ابن خالويه في إعراب القراءات 2: 448. والفراء في معاني القرآن 3: 244.
(3) سورة التين: 95، الآية: 4.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ كلا كلمة ردع ومعناه: لا تغتر بغير الله فتترك عبادة الله في أي صورة ما شاء ركبك أي في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم، وقيل معناه حقاً إنكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمتي عليكم بل تكذبون بالإسلام مع هذه النعم، ويقال أراد بالدين ههنا يوم الحساب والجزاء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ ابتداء إخبار من الله معناه: وإن عليكم رقباء يحفظون عليكم أعمالكم وهم الملائكة قوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ أي كراماً على الله كاتبين يكتبون أقوالكم وأفعالكم قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يأوي إلى مضجعه إلا بكت أعضاؤه إلى الله تعالى مما يجني عليها الإنسان**»، وإنما قال كراماً على الله ليكون أدعى إلى احترامهم، وإلى الامتناع عن فعل ما يؤذيهم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي يعلمون ما تفعلون في الظاهر دون الباطن يعني يعلمون ما تفعلون دون ما تعتقدون قال ابن مسعود يكتبون كل شيء حتى الأنين ونظيره قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ أراد بالأبرار [الصادقين في إيمانهم وأراد بالفجار: الكفار وقيل: أراد بالأبرار: عمال الإحسان من المؤمنين[2]، وبالفجار] عمال الإساءة من الفساق وقوله تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾ أي يدخلونها يوم الحساب والجزاء ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾ إلى أن يقضي الله بإخراج من كان فيها من أهل التوحيد، وأما الكفار فلا يغيبون عنها أبداً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧﴾ أي ما أعلمك يا محمد ما في ذلك اليوم من الشدائد على الكفار، ثم ما أعلمك ما فيه من النعيم للأبرار قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ قرأ ابن كثير وأبو

---

(1) سورة القمر: 54، الآية: 53.

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة: ك ـ من غير بياض.

عمرو: برفع الميم نعتاً لقوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أو بدلاً منه وقرأ الباقون: بالنصب على الظرف[1] أي في يوم، ومعناه: لا تملك نفس لنفس أي لا يملك أحد لأحد نفعاً ولا ضراً لأن الأمر لله دون غيره.

(1) إعراب القراءات السبع وعللها 2: 449.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

قال الإمام الحداد: سورة المطففين مكية وهي سبعمائة وثلاثون حرفاً، ومائة وست وستون كلمة، وست وثلاثون آية، وقال بعضهم: نزلت على رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة في هجرته إلى المدينة[1]، وقيل كلها مدنية إلا ثماني آيات قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ إلى آخر السورة، قال ﷺ: «**من قرأها سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم**»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿1﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿2﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿3﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿4﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿5﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿6﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿1﴾﴾ الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن، والويل: الشدة في العذاب، وهي كلمة تستعمل لكل من وقع في الهلكة، وهي ههنا رفع بالابتداء، وخبره للمطففين، والتطفيف: التنقيص في الكيل والوزن، والطفيف: الشيء القليل، وإناء طفيان إذا

---

(1) ابن عطية في المحرر الوجيز 16: 249.

(2) الزمخشري في الكشاف 4: 233.
والثعلبي في تفسيره.

لم يكن ملآن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ يعني إذا اكتالوا من الناس، وعلى ومن يتعاقبان والمعنى: إذا أخذوا من الناس حقوقهم أخذوها على الوفاء، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون في الكيل والوزن، والإخسار والخسران بمعنى واحد، وإطلاق لفظ المطفف لا يتناول إلا من يتفاحش منه التطفيف بحيث لو وقع ذلك المقدار في التفاوت بين الكيلين العدلين لزاد عليه، وأما الأتقياء من الناس فإنهم يجتهدون في استيفاء حقوقهم أن يكون ذلك أميل إلى النقصان، وفي إيفاء ما عليهم أن يكون أميل إلى الرجحان كما روي أن النبي ﷺ قضى دينه فأرجح، فقيل له في ذلك، فقال: إنا كذلك نزن. قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ معناه: ألا يستيقن أولئك أنهم مبعوثون، وفيه بيان أن التطفيف ليس يفعله من يعلم أنه مبعوث للحساب ليوم عظيم وهو يوم القيامة كأنه قال: لو علموا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن. وكان الحسن يقول: نزلت هذه الآية في الموحدين، وما آمن بيوم القيامة من طفف في الميزان. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه بيان صفة ذلك اليوم قال الكلبي: يقومون مقدار ثلاثمائة سنة لا يؤذن لهم فيعتذرون، وعن رسول الله ﷺ: قال: «**يقوم الناس لرب العالمين حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[1]، وحتى يقول الكافر: رب أرحني ولو إلى النار، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خمس بخمس**»، قالوا: يا رسول الله، وما خمس بخمس: قال: «**ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشى فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشى فيهم الموت، ولا طففوا الكيل والميزان إلا منعوا النبات فأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر**»[2].

وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لي وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار، قلت: ما تقول؟ قال يا أبا يحيى كان لي مكيالان: أكيل بأحدهما، وأكتال بالآخر، قال: فعميت، فجعلت أضرب أحدهما

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9: 709 رقم 4938 كتاب التفسير.

(2) ذكره الألباني في صحيحه: 107.

بالآخر، فقال: يا أبا يحيى: كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عليّ الأمر عظماً، قال: فمات في مرضه ذلك[1].

وقال عكرمة: أشهد على كل كيال ووزان إنه في النار، قيل له: إن ابنك كيال أو وزان قال: أشهد إنه في النار[2]، وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له: اتق الله، وأوف الكيل والميزان بالقسط، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم، ومر علي رضي الله عنه على رجل يزن الزعفران، فقال: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ⑦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ⑧ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ⑨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑩ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ⑪ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ⑬ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ⑭ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ⑮ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ⑯ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ⑰﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ⑦﴾ أي ليس الأمر على ما تظنون إنهم لا يبعثون ليوم عظيم، وقيل: إن كلا ههنا كلمة ردع وزجر أي ارتدعوا من التطفيف وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ يعني الكتاب الذي يكتب فيه أعمالهم قال ابن عباس: السجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعة وهي التي عليها الأرضون مكتوب فيها عمل الفجار[3]، وعن رسول الله ﷺ قال سجين: جب في جهنم مفتوح وفي الفلق: جب في النار مغطى[4]. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ⑧﴾ تعجيب للنبي ﷺ يقول: ليس ذلك مما تعلمه أنت، ولا قومك لأنكم لم تعاينوه ثم فسره فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ⑨﴾ أي مثبت عليهم في تلك الصخرة كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يحمى حتى يجازون به ومعنى الرقم على هذا القول: هو الطبع في الحجر. قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ

(1) ذكره القرطبي في تفسيره 19: 253.
(2) الطبري في تفسيره 15: 114 رقم 28351.
(3) تفسير القرطبي 19: 258.
(4) نفسه.

﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)﴾ يعني الوليد بن المغيرة كان إذا قرىء عليه القرآن قال: هو أساطير الأولين، وأحاديثهم وأباطيلهم التي سطروها في الكتب، وهذه الآية عامة في كل كافر يقول مثل مقالته والمعتدي: هو المتجاوز عن الحد في المعصية، والأثيم: كثير الإثم قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي حاشا أن يكون القرآن أساطير الأولين، بل غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعصية يقال: رانت الخمر على عقله إذا سكر فغلبت على عقله ويقال في معنى الران إنه كثرة الذنوب التي تحيط بقلوبهم حتى لا تنكرها قلوبهم، وحتى لا يجد الحق إليها سبيلاً، والرين كالصدى يغشى على القلب، وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب، وقال مجاهد[1]: هو الطبع.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المؤمن إذا أخطأ خطيئة كانت نقطة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه فهو الران**»[2] الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (14)﴾ قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (15)﴾ أي حقاً إنهم عن رحمة ربهم وكرامته لممنوعون ثم إنهم مع كونهم ممنوعين من الجنة ونعيمها يدخلون الجحيم غير خارجين منها أبداً ثم يقال لهم على وجه التقريع على طريق الذم هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا وقيل معناه: محجوبون عن رؤية الله.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (18) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (22) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (25) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (28)﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (18)﴾ أي حقاً إن عمل

(1) ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز 16: 254.
والقرطبي في تفسيره 19: 260.
(2) أخرجه البيهقي في الشعب 5: 440 رقم 7203، فصل في الطبع على القلب.

الأبرار وهم الصادقون في إيمانهم لمكتوب في أعلى الأمكنة فوق السماء السابعة، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿19﴾﴾ تعجيب للنبي ﷺ بأن ذلك غير معلوم وسيعرفه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿9﴾﴾ تفسير للكتاب الذي في عليين أي أعمالهم مكتوبة في لوح من زبرجدة خضراء تحت عرش الرحمن يحضر ذلك الكتاب سبعة أملاك من مقربي أهل كل سماء إعظاماً لذلك الكتاب وتشريفاً، وفي إعظام كتاب المرء إعظام له، وقال قتادة: عليون قائمة العرش اليمنى، وقال مقاتل: ساق العرش إليه ترفع أرواح المؤمنين وقيل: إن عليين جمع العلية وهي المرتبة العالية المحفوفة بالجلالة، وقال بعضهم معناه: علو في علو مضاعف، وقوله تعالى: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿21﴾﴾ أي تحضره تلك السبعة الأملاك الذين ذكرناهم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿13﴾﴾ أي نعيم دائم وهو نعيم الجنة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿23﴾﴾ أي على السرر من الدر والياقوت في القباب المضروبة ينظرون إلى نعيم الجنة، وقيل: إلى أعدائهم كيف يعذبون. قوله تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿24﴾﴾ أي بريق النعيم ونوره ونضارته وبهجته، وحسنه ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿25﴾﴾ أي من خمر صافية خالصة من الغش بيضاء مختوم من المسك، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور، ويختم لهم بالمسك، وقيل معناه: آخر طعمه مسك، وقرأ علقمة: خاتمة مسك[1] أي آخره ويقال معناه: إنهم إذا شربوا من ذلك الشراب يختم ذلك بطعم المسك، ورائحته، ويقال معنى المختوم ههنا أن ذلك الشراب في الجنة هو مختوم بالمسك بدل الطين الذي يختم بمثله الشراب في الدنيا فهو مختوم بالمسك يوم خلقه الله لا ينفك خاتمه حتى يدخل أهل الجنة الجنة فيفك ذلك لهم تعظيماً لشرابهم قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي في مثل هذا النعيم فليرغب الراغبون، وليجتهد المجتهدون لا في النعيم الذي هو مكدر بسرعة الفناء قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿27﴾﴾ معناه: ومزاج الرحيق من عين تنزل عليهم من ساق العرش سميت بذلك لأنها تنسم عليهم فتنصب انصباباً من فوقهم في منازلهم ومن سنام البعير لعلوه من بدنه وذلك أن الشراب إذا كان أعلى كان أطيب وأهنأ قوله تعالى:

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 248.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب على الحال أي في الحال التي تكون عينا لا ماء راكداً، وقيل: انتصب على تقدير: يسقون عينا أو من عين، وقيل: على إضمار أعني عيناً[1] وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي يشرب منها أفاضل أهل الجنة صرفاً بغير مزاج، ويشربها سائر أهل الجنة بالمزاج، وقيل: إن الباء في قوله تعالى: ﴿بِهَآ﴾ زائدة كما في قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[2] وقيل: إن التسنيم عين تجري في الهوى تنصب في أواني أهل الجنة على مقدار ملئها فإذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (32) وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ (33) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (36)﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ (29)﴾ معناه: إن الذين أشركوا وهم أبو جهل والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأصحابه من مشركي مكة كانوا يضحكون من ضعفة أصحاب النبي ﷺ وهم بلال، وصهيب، وعمّار، وسلمان كانوا يستهزءون بهم، ويعيرونهم على الإسلام، وإذا مر بهم أحد من أصحاب النبي ﷺ وهم جلوس يتغامزون بالطرف طعنا عليهم، وكانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا يطلبون بذلك نعيم الآخرة بزعمهم وكانوا إذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فاكهين أي ناعمين فرحين معجبين بما هم فيه لا يبالون بما فعلوا بالمؤمنين[3]، ويقولون: إنهم ضالون باتِّباعهم محمداً [ﷺ] يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ (33)﴾ أي ما أرسل الكفار ليحفظوا على المؤمنين أفعالهم فما لهم وإياهم بل أرسل المؤمنون ليحفظوا على الكفار أفعالهم فيشهدوا عليهم يوم القيامة قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾ معناه: يوم القيامة الذين صدقوا

---

(1) النحاس في إعراب القرآن 5: 182.
(2) سورة المؤمنون: 23، الآية: 20.
(3) البغوي في معالم التنزيل 5: 540.

بتوحيد الله، ونبوة رسله يضحكون من الكفار قصاصاً وشماتة بهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿23﴾﴾ أي على السرر في الحجال جالسون ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون، وذلك أنه يفتح بينهم وبين الكفار باب إلى الجنة، فإذا نظر الكفار إلى ذلك الباب أقبلوا نحوه يسحبون في النار، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فعند ذلك يضحك المؤمنون وهم على الأرائك في الدرجات ويقال يطلعهم الله على أهل النار الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا[1]، فيرونهم وهم في النار يدورون فيها كما تدور الرحاء، وإن جماجمهم لتغلي من حر النار فيقول المؤمنون ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ أي هل جوزوا على سوء صنيعهم واستهزائهم بنا، ويجوز أن يكون قوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ من قول الله تعالى ومعناه: التحقيق ومعنى ثوِّب: جوزي.

---

(1) البغوي نفسه.

سُورَةُ الانشِقَاقِ

سورة انشقت مكية، وهي أربعمائة وثلاثون حرفاً، ومائة وتسع كلمات، وخمس وعشرون آية قال ﷺ: **«من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه من وراء ظهره»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ (6)
فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا
(9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (10) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (11) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (12) إِنَّهُۥ
كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (14) بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (15)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (1)﴾ وذلك أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكان مسلماً جادل أخاه: الأسود بن عبد الأسد في الإسلام وكان الأسود كافراً فأخبره أبو سلمة بالبعث، فقال له الأسود: ويحك أترى أني مصدق أئذا كنا تراباً وعظاماً أنبعث؟ فأين السماء والأرض يومئذ، وما حال الناس؟ فأنزل الله هذه السورة[2]، ومعناها: واذكر إذا السماء انشقت لنزول

(1) تفسير الكشاف 4: 236، وتفسير الثعلبي ـ خ ـ عن أبي بن كعب.
(2) ابن عطية في المحرر الوجيز 16: 263.

الملائكة وهيبة الرحمن ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ أي سمعت وأطاعت لأمر ربها بالانشقاق وحق لها أن تطيع ربها يقال: أذنت للشيء إذا سمعت وأذنته إذا سمعته. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ أي بسطت بسط الأديم العكاظي فجعلت كالصحيفة الملساء لا يبقى جبل ولا بناء ولا شجر إلا دخلت فيها، وألقت الأرض ما فيها من الأموات، وتخلت عن ذلك كما كانت من قبل ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ أي سمعت وانقادت لأمر ربها وحق لها أن تسمع وتطيع، وجواب إذا في هذه السورة محذوف تقديره: رأى الإنسان عند ذلك ما قدم من خير أو شر، وقيل جوابه: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ والمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان كدحه وهو عمله، وقيل: جوابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ تقديره: إذا السماء انشقت لقي كل كادح ما عمله. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ اختلفوا في الخطاب لمن هو؟ فروى عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية، ثم قال: «**أنا ذلك الإنسان، أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأجلس جالساً في قبري، ثم يفتح لي باب إلى السماء بحيال رأسي فأنظر إلى عرش ربي، ثم يفتح لي باب إلى الأرض السفلى حتى أنظر إلى الثور والثرى، ثم يفتح لي باب عن يميني حتى أنظر إلى الجنة، وإلى منازل أصحابي، وإن الأرض تحرك تحتي فأقول لها مالك أيها الأرض؟ فتقول: إن ربي أمرني أن ألقي ما في جوفي وأتخلى فأكون كما كنت إذ لا شيء فيَّ**» والمعنى على هذا القول: إنك عامل لربك عملاً فملاقي ربك ترجع إليه فيجازيك، وقال بعضهم: الخطاب للمكذب بالبعث وهو أبي بن خلف الجمحي والمعنى: إنك عامل عملاً في كفرك فترد إلى ربك في الآخرة فتلقى جزاء عملك والظاهر أن الخطاب لجميع[1] الناس، والكدح في اللغة: هو السعي الدؤوب في العمل في الدنيا والآخرة قال الشاعر[2]:

---

(1) يراجع القرطبي في تفسيره 19: 271.

(2) أبو كعب تميم بن أبيّ بن مقبل من بني عجلان، شاعر مجيد أدرك الإسلام وأسلم، عاش أكثر من مائة سنة، وعد من المخضرمين وله ديوان شعر مطبوع توفى بعد سبع وثلاثين هجرية، الإصابة 1: 195.

وما الدَّهر إلاَّ تارتان فمنهُما .·. أمُوتُ وأُخْرَى أبْتَغى الْعَيْش أكْدَحُ[1]

والمعنى أيها الإنسان ترى جزاء ما عملت من خير أو شر، وانظر اليوم ماذا تعمل، وفيم تتعب نفسك ولا تعمل إلا لله حتى تستريح من الكدح قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي من أعطى ديوان عمله بيمينه فسوف يحاسب حساباً هيناً، والحساب الهين: هو أن يعرف جزاء عمله، وما له من الثواب، وما يحط عنه من الوزر، ويخرج مما عليه من المظالم، وينقلب إلى أهله من الحور العين، وإلى أقربائه من المؤمنين مسروراً بهم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أيحاسب المؤمنون؟ قال: «**يا عائشة من حوسب عذب**»، قالت: يا رسول الله، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، قال: «**يا عائشة: ليس الحساب ذلك، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب عذب**»[2].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ يعني الكافر تكون يمينه مغلولة إلى عنقه ويلوي يده اليسرى من ورائه فيدفع إليه كتابه من وراء ظهره، فإذا رأى إلى ما فيه من سيئاته دعا بالويل والثبور على نفسه واويلاه واثبوراه والثبور: الهلاك قوله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿12﴾﴾ أي يدخل ناراً موقدة قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: ويُصَلَّى بضم الياء وتشديد اللام[3] على وجه المبالغة أن يكبر عذابه في الآخرة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿13﴾﴾ أي كان مسروراً في أهله في الدنيا بمعاصي الله، وكان لا يحزنه خوف القيامة، وكان يمنعه السرور بأهله عن إقامة فرائض الله تعالى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿14﴾﴾ معناه: إنه ظن في الدنيا أن لا يرجع إلى الله في الآخرة، ولذلك كان يركب المأثم والمعنى: إنه ظن أن لن يرجع إلى الله، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي ليس كما ظن

---

(1) هذا البيت من البحر الطويل، من شعر ابن مقبل كأنه أراد فمنهما ساعة أموتها، وساعة أعيشها، الفراء معاني القرآن 2: 32، وخزانة البغدادي: 1: 113..

(2) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح فتح الباري 9: 710 كتاب التفسير.

(3) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 455.
الفراء في معاني القرآن 3: 250.

بل يحور إلينا ويبعث أي بلى ليرجعن إلى ربه بعد البعث ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي عالماً به قبل أن يخلقه بأن مرجعه ومصيره إليه، والحور في اللغة: هو الرجوع.

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿16﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿17﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿18﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿19﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿20﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿21﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿16﴾﴾ أي أقسم برب الشفق، ولا ههنا زائدة، والشفق عند أكثر أهل العلم: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: البياض، والشفق في الأصل: هو الرقة ومنه ثوب شفيق إذا كان رقيقاً، ومنه الشفقة رقة القلب، فإذا كان هكذا فالبياض منه أولى بالحمرة لأن البياض أرق من الحمرة، والحمرة أكثف من البياض قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿17﴾﴾ معناه: والليل وما جمع وردّ إلى ما منه ومبيته من كان منتشر في النهار يقال طعام موسوق أي مجموع في الغرائر، والوسق من الطعام: ستون صاعاً قال عكرمة: معناه: والليل ما جمع فيه من دوابه وعقاربه وحياته وظلمته قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿18﴾﴾ إذا اجتمع ضوءه وتكامل واستدار في الليالي البيض يقال: اتسقت الأمور إذا استوت وتكاملت قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿19﴾﴾ جواب القسم وهو خطاب لجميع الناس إذا قرئت بضم التاء على الجمع والمعنى: أيها الناس لتركبن يوم القيامة حالاً بعد حال وشدة بعد شدة تقول العرب: وقع فلان في بنات طبق يريد الدواهي العظائم، ويقال: أراد بالآية تغير الأحوال من حال النطفة إلى حال العلقة، ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى الصغر ومن الصغر إلى الشباب ومن الشباب إلى الكهولة ومن الكهولة إلى الكبر ومن الكبر إلى الموت ومن الموت إلى البعث ومن البعث إلى الحساب ومن الحساب إلى الصراط ومن الصراط إلى موضع الجزاء إما إلى الجنة أو إلى النار[1] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: لتركبن بفتح

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 251.
ابن عطية في المحرر الوجيز 16: 264ـ 265.

التاء وهي قراءة عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم، وقالوا يا محمد يعني لتركبنَّ طبقاً عن طبق أي سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة[1] قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳﴾ أي ما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بهذا القرآن، وبما جاء به محمد ﷺ من عند الله بعد ظهور الحجج والأدلة. ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي لا يصلون لله ولا يخضعون بل يكذبون به جهلاً وفي هذا وجوب سجدة التلاوة لأنه ذمهم على تركه عند السماع وظاهر الآية يقتضي وجوب السجود عند سماع سائر القرآن إلا إذا خصصنا منه ما عدا مواطن السجود بالإجماع فاستعملناه في مواضع السجود إذ لو لم نفعل ذلك للغينا حكم الآية رأساً قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي بما يضمرون في قلوبهم والإيعاء جعل الشيء في الوعاء والقلوب أوعية لما يحصل فيها من معرفة أو جهالة أو عزيمة أو خير أو شر قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي أخبرهم بعذاب وجيع مكان البشارة للمؤمنين بالنعيم المقيم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي لكن المؤمنين المطيعين لهم ثواب لا يكدر عليهم بالمن عليهم، ويقال: غير ممنون أي لا ينقص على ممر الدهور، ويقال غير مقطوع ولا منقوص.

---

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 455.
والقرطبي في تفسيره 19: 278.
والنحاس في إعراب القرآن 5: 187ـ 188.

سُورَةُ البُرُوجِ

سورة البروج مكية، وهي أربعمائة وثمانية وخمسون حرفاً، ومائة وتسع كلمات، واثنتان وعشرون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة البروج أعطي من الأجر بقدر كل جمعة، وكل يوم عرفة، يكون في الدنيا عشر حسنات**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ أي ذات النجوم، وقيل: ذات القصور على ما روى أن في السماء قصوراً يسكنها خلق من خلق الله، والأظهر أن البروج ههنا منازل الكواكب السبعة سميت بروجاً لارتفاعها، وسعتها، وهى اثني عشر من الحمل إلى الحوت، وتسير الشمس في كل برج ثلاثون يوماً وبعض يوم، وتسير القمر في كل برج يومين وثلث فلذلك ثمانية وعشرون ثم تسير في ليلتين قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قيل: إن الشاهد النبي ﷺ كما جاء إن اليوم الموعود: هو يوم القيامة، وعن أهل السموات وأهل الأرض أن يصيروا إلى ذلك اليوم لفضل القضاء قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ وقيل: إن الشاهد النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 240، والثعلبي في تفسيره عن ابن عباس، عن أبي بن كعب.

عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[1] والمشهود: يوم القيامة كما قال ذلك يوم مشهود، وقيل الشاهد جميع الأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2] والمشهود جميع الأمم، ويقال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة كما قال ﷺ: «**خير الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة**»، ويقال الشاهد يوم النحر، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة**» قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿4﴾﴾ هذا جواب القسم تقديره: لقد قتل أصحاب الأخدود، والمعنى: قتلتهم النار، والأخدود: شقوق تنشق في الأرض وجمعها: أخاديد، ويجوز أن يكون في معنى قتل: لعن على الدعاء عليهم، وقصة ذلك ما روي أن رجلاً من النصارى كان أجر نفسه من يهودي ليعمل له عملاً فرأت ابنة المستأجر النور في البيت بقراءة الأجير الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه فسأله عن ذلك فلم يجبه، فلم يزل به حتى أخبره أنه على دين عيسى وكان ذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فتابعه هو وسبعة وثمانون إنساناً من بين رجل وامرأة فأخبر بذلك ذلك اليهودي واسمه يوسف بن ذي نواس الحميري فخدّ لهم في الأرض، وأوقد فيه نار النفط والقطران والقصب، وعرضهم على اليهودية فمن أبى منهم أن يتهود قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى تركه، وكان في آخرهم امرأة معها صبي رضيع فلما رأت النار صدت فقال لها الصبي: يا أمه قفي فما هي إلا عميصة فصبرت فألقيت في النار وارتفعت النار أربعين ذراعاً، فاحترقت اليهود الذين كانوا حول الأخدود قال ابن عباس: كانوا يطرحونهم في النار فمن أبى منهم من ضربوه بالسياط حتى ألقوهم جميعاً في النار، فأدخل الله أرواحهم الجنة قبل أن تصل أجسادهم إلى النار، وعن وهب بن منبه أن رجلاً كان على دين عيسى فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير، وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخدَّ لهم الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفاً، وقال الكلبي كان أصحاب الأخدود سبعين ألفاً، وروي أن اليهود لما

---

(1) سورة النساء: 4، الآية: 41.

(2) سورة النحل: 16، الآية: 89.

ألقوا من كان على دين عيسى في الأخدود كان فيهم امرأة معها ثلاثة أولاد أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها: ارجعي عن دينك فأبت فأخذ ابنها الثاني فألقاه في النار ثم قال لها: ارجعي عن دينك فأبت فأخذ ابنها الطفل ليلقيه في النار فهمت بالرجوع عن دينها، فقال لها الطفل يا أمة لا ترجعي عن الإسلام، واصبري فإنك على الحق، فألقى الطفل: وأمه في النار فذلك قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿4﴾﴾ والأخدود: هي الحفرة المشقوقة في الأرض مستطيلة، وجمعها أخاديد يقال: خددت الأرض أي شققت فيها حفرة طويلة وعن عطية قال: خرجت عنق من النار، فأحرقت الكفار عن آخرهم قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿5﴾﴾ أي ذات الحطب والنفط، وقيل: أراد بالوقود إيذان الناس.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿6﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿7﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿8﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿9﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿10﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿11﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿6﴾﴾ جمع قاعد مثل: شاهد وشهود، وكان الكفار قعوداً على شفير الأخدود على الكراسي، قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿7﴾﴾ أي وهم على ما يفعله الجلادون الذين كانوا يلقون المؤمنين في النار شهود أي حضور يرون ذلك منهم قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿8﴾﴾ فيه بيان ما لأجله قصدوا إحراق المؤمنين ومعناه: وما طعنوا ولا أنكروا عليهم شيئاً إلا إيمانهم بالله المتبع بالنقمة ممن عصاه المستحق للحمد على كل حال والمعنى: ما علموا منهم عيباً ولا وجدوا لهم حرماً ولا رأوا منهم سوءاً إلا من أجل أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي الذي له القدرة على أهل السموات والأرض ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي عالم يجزي كل عامل على ما عمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي إن الذين أحرقوا وعذبوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا من ذلك فلهم عذاب جهنم في الآخرة مع الحريق الذي أصابهم في الدنيا يقال: فتنت الشيء إذا أحرقته ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[1] وقيل أراد بالفتنة: الامتحان وهو قولهم للمؤمنين: إن رجعتم عن الإيمان وإلا قذفناكم في النار وهذا هو الإكراه وهو من أعظم الفتن في باب الدين وفي الآية تنبيه على أن هؤلاء الكفار لو تابوا بعد الكفر لقبلت توبتهم، وفيه دليل أيضاً على أن الأولى بالمكره على الكفر أن يصبر على ما خوف منه، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة له في ذلك ولو صبر حتى قتل كان أعظم لأجره لأنه تعالى أثنى على الذين قتلوا في الأخدود، وبين أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿12﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿13﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿14﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿15﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿16﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿17﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿18﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿19﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿20﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿21﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿22﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿12﴾﴾ ابتداء كلام من الله تعالى، ويقال: إنه جواب القسم المذكور في أول السورة، ويقال: إن جواب القسم محذوف تقديره: والسماء ذات البروج لتبعثن يوم القيامة، ولتجزون على أعمالكم، والبطش في اللغة: هو الأخذ بالعنف على سبيل القدرة والقوة وفيه تخويف لكل من أقام على الكفر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي يخلق الخلق أولاً من النطفة ويعيدهم بعد الموت خلقاً جديداً ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿14﴾﴾ أي وهو كثير التجاوز والتستر على عباده كثير المحبة للمؤمنين بإحسان عليهم قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿15﴾﴾ أي ذو العرش الشريف، والمجيد في اللغة: هو العظيم الكريم لما يكون فيه من الخير، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: المجيد بالحفظ نعتاً للعرش، وقرأ غيرهم بالرفع نعتاً للغفور[2] قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا

بالخفض ٤٢٦

(1) سورة الذاريات: 51 الآية: 31.
(2) ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها: 2: 457.

يُرِيدُ﴾ أي يفعل ما يشاء لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع. قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ أي هل بلغك يا محمد حديث الجنود والجموع من الكفار كيف فعلوا، وكيف فعل الله بهم، وهذا استفهام بمعنى التقرير ثم بين أولئك الجنود قوله تعالى: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ وإنما خص فرعون وثمود بالذكر وهم بعض الجنود لاختصاصهم بكثرة العُدد والعَدد وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ معناه: بل هؤلاء المشركون في تكذيب بك، وبما أنزل إليك معرضين عمن أوجب الاعتبار بفرعون وثمود وكأنه تعالى يقول: قد ذكرنا أمثال من قبلهم من المكذبين وما حل بهم من النقمة ليعتبروا ويرتدعوا فلم يفعلوا بل هم في تكذيب. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ أي وعلم الله محيط بهم، وقدرته مشتملة عليهم بل هذا الذي أتى به محمد قرآن شريف كريم ليس كما تزعمون أنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين ولكنه في لوح محفوظ عند الله وهو أم الكتاب قرأ نافع محفوظ بضم الظاء على نعت القرآن وقرأ الباقون بالخفض على نعت اللوح[1]، فمن جعل قوله تعالى: محفوظ نعت للقرآن فمعناه محفوظ من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير لأنه معجز لا يقدر أحد أن يزيد فيه.

وعن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ودينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به عز وجل وصدق وعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور، وكلامه نور معقود بالعرش وأصله في حجر ملك محفوظ من الشياطين[2] وبالله التوفيق.

---

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات: 2: 458.

(2) البغوي في معالم التنزيل 5: 554، بنصه تقريباً.

سُورَةُ الطَّارِقِ

سورة الطارق مكية، وهي مائتان وتسعة وثلاثون حرفاً، وإحدى وستون كلمة، وسبع عشرة آية قال ﷺ: **«من قرأ سورة والطارق أعطاه الله من الأجر بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝1 وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝2 ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝3 إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا
حَافِظٌ ۝4 فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝5 خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝6 يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ
۝7 إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝8 يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝9 فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝10﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝1﴾ أول السورة قسم وجوابه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝4﴾، والطارق: كل ما يأتي ليلاً يعني بذلك النجم يظهر ويخفى نهاراً وكل ما جاء ليلاً فهو طارق، ومنه حديث جابر: نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، وقال: **«حتى تستعد المغيبة، وتمشط الشعثة»**[2]، وقالت هند يوم أحد:

نحن بنات طارق ∴ نمشي على النمارق[3]

---

(1) الثعلبي في تفسيره عن عبد الرحمن بن خالد، والزمخشري في الكشاف 5: 242.

(2) أخرجه أبو داود في سننه 3: 90 رقم 2778 من حديث جابر، كتاب الجهاد.

(3) سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾... الآية: 144 من سورة آل عمران.

تريد أبا نجم في شرفه وعلوه.

وقال ابن الرومي:

يا راقد الليل مسروراً بأوله ∴ إن الحوادث قد تطرقن أسحارا[1]

لا تفرحن بليل طاب أوله ∴ فرب آخر ليلٍ أجج النارا

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ تعجيب للنبي ﷺ من شأنه وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ تفسير للطارق، والثاقب: هو النير المضيء من النجوم كلها.

وعن ابن عباس ثقوبته: توقده بناره كأنه ثقب مكانه فظهر، ويقال: أثقبت النار: فثقبت إذا أضاءتها فأضاءت، وثقبت لسانها، ويقال معنى الثاقب: العالي الشديد العلو، وعن علي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: رجل يطرق من السماء السابعة بالليل إلى السماء بالدنيا، ويخفى عند الصبح، وقال مجاهد: الثاقب: المتوهج، وقال عطاء: الثاقب: هو الذي ترمى به الشياطين فتحرقهم[2] قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ «ما» ههنا صلة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] أي فبرحمة من الله والمعنى: إن كل نفس لعليها حافظ من الملائكة يحفظها، ويحفظ عليها عملها وأجلها يعني: إذا انتهى إلى المقادير كف عن الحفظ، وقرأ الحسن، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: لمَّا بالتشديد[4] يعنون ما كل نفس إلا عليها حافظ وهي لغة هذيل يقولون: نشدتك الله لمَّا قلت، يعنون إلاَّ قلت، قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة قال الكلبي معناه: حافظ من الله يحفظ قولها وفعلها، وعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ: **«وُكِّل بالمؤمن ستون ومائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الرجل الذباب عن قصعة العسل، ولو وكل العبد إلى**

---

(1) ينظر تفسير الثعلبي - خ - والمحرر الوجيز لابن عطية 16: 275 وتفسير القرطبي 20: 2.
(2) يراجع معنى الثاقب: في تفسير الثعلبي، وتفسير القرطبي 20: 2 ومعاني القرآن للفراء 3: 254.
(3) سورة آل عمران، الآية: 159.
(4) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع 2: 461.

نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»[1] قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ أي من أي شيء خلقه الله في رحم أمه ثم بين ذلك، فقال: خلق من ماء دافق أي مدفوق مصبوب مهراق في رحم المرأة يقال سر كاتم أي مكتوم قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ يعني ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما فماء الرجل يخرج من صلبه، وماء المرأة من ترائبها، والترائب جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر وهي أربع أضلاع من يمنة الصدر، وأربع أضلاع من يسرته، وسئل عكرمة عن الترائب فقال: هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه[2]. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ أي إنه على إحياء الإنسان بعد الموت فالبلاء لقادر. وعن مجاهد إن معناه: إنه على رد ذلك الماء إلى الإحليل كما كان قادر كأنه يقول إنه على ردّ الإنسان من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة ومن النطفة إلى الإحليل، ومن الإحليل إلى الصلب قادر فكيف لا يقدر على إحيائه بعد الموت[3] ثم أخبر متى يكون البعث فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ أي استعدوا ليوم يظهر فيه الضمائر التي لم يطلع عليها أحد من البشر، وقيل: أراد بالسرائر الأعمال التي أسرها العباد فلم يظهروها يظهرها الله تعالى يوم القيامة قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ فما للإنسان يومئذ من قوة يدفع بها عذاب الله عن نفسه ولا ناصر ينصره ويعينه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾ أقسم الله بالسماء الراجعة في كل عام بالمطر بعد المطر على مقدار حاجة العباد إليه، وبالأرض الصادعة عن النبات الذي هو قوت الخلائق إن القرآن يفصل به بين الحق والباطل وليس هو باللعب والمعنى: والسماء ذات الرجع بالغيث وأرزاق العباد كل عام لولا ذلك: لهلكوا وهلكت مواشيهم والأرض ذات الصدع أي تتصدع عن النبات والأشجار والأنهار

---

(1) أخرجه الطبراني.

(2) ينظر القرطبي في تفسيره 20: 5.

(3) الطبري في تفسيره 15: 183.

نظيره ثم شققنا الأرض شَقاً فأنبتنا فيها حباً إلى آخره قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ أي إن القرآن لقول حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل أي وما هو باللعب والباطل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعني كفار مكة يريدون الإيقاع بالنبي ﷺ من حيث لا يشعر بذلك، إنهم تواطئوا على قتل النبي ﷺ، فأعلم الله نبيه أنه يجازيهم جزاء كيدهم، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

سُورَةُ الأَعْلَى

قال الإمام أبو بكر الحداد:

سورة الأعلى مكية، وهي مائتان وواحد وسبعون حرفاً، واثنتان وسبعون كلمة، وتسع عشرة آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله من الأجر عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم، وموسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام**»[1]، وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ، يحب هذه السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل، قال النبي ﷺ: «**يا جبريل أخبرني عن ثواب من قالها في صلاة أو في غير صلاة**»، قال: يا محمد ما من مؤمن يقولها في سجوده أو في غير سجوده إلا كانت له في ميراثه أثقل من العرش، والكرسي، وجبال الدنيا، ويقول الله صدق عبدي أنا الأعلى فوق كل شيء، وليس فوقي شيء اشهدوا يا ملائكتي: إني قد غفرت لعبدي وأدخلته جنتي، فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم، فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه، فيوقفه بين يدي الله، فيقول: يا ربي شفعني فيه، فيقول: قد شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ

---

(1) الثعلبي في تفسيره، والزمخشري في الكشاف 4: 245.

أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿4﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿5﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿6﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿7﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿8﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿1﴾﴾ الخطاب للنبي ﷺ والأمة داخلون معه في هذا الخطاب والمعنى: صل لربك ونزهه عن كل ما لا يليق به من الصفات وقل سبحان ربي الأعلى، وقد تذكر الاسم وتزاد به العظيم المسمى قال الشاعر[1]:

إِلَى الْحَول ثُمَّ اسم السَّلاَمُ عَلَيْكُما ∴ وَمَن يبك حولاً كامِلاً فَقَد اعتذَرْ[2]

وقال قوم معناه: نزه ربك الأعلى عما يقول فيه الملحدون ويصفه به المشركون، وجعلوا الاسم صلة ويجوز أن يكون معناه: نزه اسم الله عن إجرائه على غيره، وكان علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم إذا قرأ أحدهم أول هذه السورة قال سبحان ربي الأعلى[3] من صفات الله بمعنى الأعلى مثل الأكبر بمعنى الكبير وليس هذا من علو المكان وإنما معناه: القاهر القادر فلا شيء أقدر منه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿2﴾﴾ أي خلق الإنسان وكل ذي روح فسوى خلقه باليدين والرجلين والعينين والأذنين وسائر الأعضاء قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿3﴾﴾ أي قدر الذي خلقه حسناً وذميماً، وقدر عليه السعادة والشقاوة فهدى كل مكلف من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الصواب، ومن الغي إلى الرشاد، وقيل هدى الإنسان لسبيل الخير والشر ونصرة السبيل ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4] وقيل لهم كل حيوان ما يحتاج إليه في أمر معيشته وعرفه كيف

---

(1) لبيد بن ربيعة العامري تقدمت ترجمته.

(2) هذا البيت من قصيدة له، يخاطب فيها ابنتيه، ومطلعها قوله:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ∴ وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وهو من شواهد تفسير الزمخشري والكشاف 4:406 «حرف الراء» في سورة هود عند قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ الآية: 41 حيث إن اسم مقحم، ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره.

(3) ينظر الثعلبي نفسه.

(4) سورة الإنسان: 76، الآية: 3.

يأتي الذكر الأنثى، وجعل الهداية في قلب الطفل حتى طلب ثدي أمه، ومنزه عن غيره، وهدى الفرخ لطلب الرزق، وهدى الأنعام لمرتعها وقيل معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③﴾ أي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة أشهر أو أقل أو أكثر فهدى للخروج من الرحم، وقيل: قدر الأرزاق وهداهم لطلبها، قيل قدر الذنوب على عباده وهداهم للتوبة، وقيل قدر الخلق على صورهم وعلى ما صار لهم من الأرزاق فهداهم إلى معرفة توحيده قرأ الكسائي والسلمي قدر فهدى مخففاً[1] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ④﴾ أي أنبت الكلأ الأخضر بالمطر للبهائم فجعله غثاء أحوى معناه: فجعل النبت بعد الخضرة هشيماً يابساً بالياً كالغثاء الذي يقذفه السبيل على جنبات الوادي وقوله تعالى: ﴿أَحْوَىٰ﴾ أي أسود وقد يرضوا النبت الأحوى لحاجة البهائم إليه، وقد يكون حطباً للناس وهذا كله إخبار عن قدرة الله تعالى وإنعامه على العباد قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ أي سيقرأ عليك جبريل القرآن بأمرنا فلا تنساه فلم ينس النبي ﷺ حرفاً من القرآن بعد نزول هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا ما شاء الله أن ينساه وهو ما نسخ تلاوته فنأمرك أن لا تقرأه حتى تنساه على وجه الأيام وهذا نسيان النسخ دون التضييع، وقيل: إلا ما شاء الله أن ينساه ثم يذكره بعد ذلك وقيل: إنما ذكر الاستثناء لتحسين النظم على عادة العرب بذكر الاستثناء عقيب الكلام وهو كقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[2] ومعلوم أن الله لم يشأ إخراج أهل الجنة من الجنة ولا إخراج الكفار من النار، ولكن المراد به ما ذكرناه. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي يعلم ما يقرؤه العباد من القرآن وما يذكرونه من الذكر في سر أو جهر وقيل يعلم العلانية من القول والعمل ويعلم السر وما لم يحدث به الإنسان نفسه بعد، ويعلم إعلان الصدقة واخفاءها قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧﴾ أي نيسرك لعمل الجنة ونوفقك للشريعة السهلة وهى الحنيفية السمحة.

قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⑨ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩ وَيَتَجَنَّبُهَا

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 256، والكشف عن وجوه القراءات 2: 370.
(2) سورة هود: 11 الآية: 107 ـ 108.

ٱلْأَشْقَى ﴿11﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿12﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿13﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿14﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿15﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿17﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿18﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿19﴾﴾.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿9﴾﴾ أي عظنا لله إن نفعت الموعظة وليس هذا على وجه الشرط فإن الموعظة تنفع لا محالة قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿10﴾﴾ أي سيتعظ بالقرآن من يخشى عذاب الله تعالى ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿11﴾﴾ أي ويتجنب التذكر والعظة ويتباعد عنها الشقي في علم الله فلا يتذكر ثواباً ولا عقاباً روي أن المراد بقوله سيذكر من يخشى عبد الله بن أم مكتوم ويدخل فيه كل مؤمن[1] والمراد بالأشقى الذي يتجنب الموعظة الوليد بن المغيرة ويدخل في ذلك كل كافر[2] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿12﴾﴾ وهي السفلى من طباق النار، وقيل سميت نار جهنم النار الكبرى لأنها أكبر من هذه النار كما روي في التفسير أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ولقد غمست في البحر مرتين حتى لانت ولولا ذلك ما انتفع بها أحد، وروي أن نار الدنيا تستخير أن يردها الله تعالى إلى نار جهنم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿13﴾﴾ أي لا يموت موتاً فيستريح من عذابها ولا يحيى حياة يجد فيها روح الحياة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿14﴾﴾ أي صار إلى البقاء الدائم والنعيم المقيم من تزكى بالإسلام والتوبة من الذنوب والمعنى: قد أفلح من تطهر من الشرك، وقال: لا إله إلا الله، وكان عمله زاكياً صالحاً وأدّى زكاة ماله قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ أي وافتتح الصلاة بذكر الله فصلى الصلوات المفروضات، وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرءاً تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية[3]. وقيل معناه: قد أفلح من أدى زكاة الفطر ثم صلى صلاة العيد[4] ويستدل بهذه الآية على جواز افتتاح الصلاة بغير التكبير لأنه تعالى ذكر الصلاة عقيب اسمه إذا ألقاه

(1) القرطبي في تفسيره 20: 20.
(2) القرطبي نفسه.
(3) الطبري في تفسيره 15: 195.
(4) الطبري نفسه.

للتعقيب من غير التراخي فلا فصل في الآية بين التكبير وسائر الأذكار قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿16﴾﴾ قرأ العامة بالتاء، وتصديق ذلك قراءة أبي بن كعب بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا، والخطاب للكفار كأنه قال: بل أنتم أيها الكفار تختارون الدنيا على الآخرة، وقرأه أبو عمرو يؤثرون بالياء يعني الأشقياء[1] قوله تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿17﴾﴾ أي ثواب الآخرة خير من الدنيا وما فيها وأدوم، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كرجل أدخل أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**»[2] قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿18﴾﴾ أراد به قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ هذا ممدوح في الصحف الأولى كما في القرآن، ويقال مذكور في الصحف الأولى: أن الناس يؤثرون الحياة الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى ويقال أراد به السورة كلها قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿19﴾﴾ قال قتادة: تتابعت كتب الله تعالى أن الآخرة خير وأبقى ويقال: إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، وقال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف نبي، وأربعة وعشرون ألف نبي**»، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر**»، قلت: أكان آدم نبياً؟ قال: «**نعم كلمه الله، وخلقه بيده يا أبا ذر أربعة من الأنبياء عرب هود، وصالح، وشعيب، ونبيك**» قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتب؟ قال: «**مائة وأربعة كتب منها على موسى عشر صحائف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة وهو أول من خط بالقلم، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان**»[3].

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 257.

(2) أخرجه البيهقي في الشعب 7: 324 رقم 10460 باب في الزهد.

(3) الثعلبي في تفسيره: خ، وفي النسخة: س على آدم.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

سورة الغاشية مكية وهي ثلاثمائة وواحد وثمانون حرفاً، واثنتان وتسعون كلمة وست وعشرون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حساباً يسيراً**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ أي قد أتاك حديث الغاشية يعني القيامة، تغشى كل شيء بالأهوال، ولأنها داهية تغشى جميع الناس، وقال سعيد بن جبير أراد بالغاشية نار جهنم تعم أهلها من جميع[2] الجوانب ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[3] قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي وجوه يوم القيامة خاشعة ذليلة وهي وجوه الكافرين والمنافقين ذليلة

---

(1) الثعلبي في تفسيره ـ خ، الزمخشري في الكشاف 4: 248.
في النسخة ك: من قرأها.

(2) القرطبي في تفسيره 20: 25.

(3) سورة إبراهيم: 14، الآية: 50.

في الآخرة أي يجر في النار على وجوههم ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ أي في تعب وعناء ومشقة وبلاء من مقاسات العذاب قال الحسن: لم تخشع لله في الدنيا، ولم تعمل له فأخشعها في الآخرة وأعملها وأنصبها بمعالجة الأغلال والسلاسل، وقال قتادة: تكبرت في الدنيا على طاعة الله فأعملها وأنصبها في النار وقال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار، والنصب الذنوب في العمل، وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بمعاصي الله ناصبة في النار يوم القيامة وقال سعيد بن جبير: هم الرهبان أصحاب الصوامع الذين يتعبون وينصبون في العبادة ثم لا يحصلون في الآخرة من ذلك على شيء لوقوع ذلك منهم على غير موافقة العلم ويقال: هم الخوارج، ويقال: المراد به كل من عمل عملاً خلط بعمله ما يبطله من شرك وزنا وعجب قوله تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (4)﴾ أي تلزم ناراً قد انتهى حرها، قال ابن مسعود: تخوض على النار كما تخوض الإبل في الوحل، قراءة العامة: تَصلى بفتح التاء وقراءة أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر بضمه[1] اعتباراً بقوله: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ﴾. قوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (5)﴾ أي من عين متناهية في الحر قال الحسن: قد أنى طبخها منذ خلق الله السموات والأرض[2] إلى تلك الساعة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (6)﴾ قال مجاهد وعكرمة وقتادة: هو نبت ذو شوك لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق حين يكون رطباً فإذا يبس فهو الضريع يصير عند اليبس كأظفار الهرة سماً لا تقربه دابة، وإنما تأكل الإبل في الربيع من ورقه، وقال ابن زيد: ما في الدنيا فإن الضريع: الشوك اليابس، وأما في الآخرة فهو شوك من النار، وقال الكلبي: الضريع لا تقربه دابة إذا يبس ولا يرعاه شيء، وقال عطاء: هو شيء يطرحه البحر المالح يسميه أهل اليمن الضريع وعن رسول الله ﷺ أنه قال: **«الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار سماه الله ضريعاً»** قيل إن الله يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل على ما بهم من العذاب فيستغيثون من الجوع فيغاثون من الضريع ثم يستغيثون فيغاثون

(1) الكشف عن وجوه القراءات 2: 370.

(2) الطبري في تفسيره 15: 201.

بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يسلكون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنية ولا مرية فكلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم، وسوَّدها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[1] فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ وكذبوا فإن الإبل لا ترعاه إلا ما دام رطباً، فأما إذا يبس فلا تقربه دابة، ورطبه يسمى شبرقاً لا ضريعاً والمعنى: لا يسمن من أكله ولا يسد جوعه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ هذه صفة وجوه أهل الجنة تكون وجوههم يومئذ نضرة حسنة جميلة عليها آثار النعمة ظاهرة وهي لعملها راضية بما أداها إليه من الثواب والكرامة في جنة عالية أي مرتفعة في القدر والشرف قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ أي لا يسمع أصحاب تلك الوجوه كلمة ذات لغو ولا حلفاً كاذباً ولا كلاماً باطلاً، وذلك لأن سماع ما لا فائدة فيه يثقل على العقلاء، ولا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم المقيم. قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ أي فيها لكل إنسان في قصره عين جارية من كل شراب يشتهيه تجري إلى حيث يشاء على حسب إرادته ومحبته.

قال الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ في الهوى رفيعة القدر بعضها فوق بعض من الذهب والفضة وغير ذلك من الجواهر الكريمة عليها الفرش والحجال قال ﷺ: **«لو ألقي من أعلاها فراش لهوى إلى قرارها مائة خريف»**، والحكمة في

---

(1) سورة محمد: 47، الآية: 15.

ذلك الارتفاع أن يرى المؤمن بجلوسه عليها جميع ما خوله الله تعالى من الملك والنعمة قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿14﴾﴾ الأكواب جمع كوب، وهو الكوز الذي لا عرى له ولا خراطيم موضوعة على حافة العين الجارية معدة لأشربتهم وهي من اللؤلؤ الرطب على ما ورد في الحديث. قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿15﴾﴾ هي جمع نمرقة وهي الوسادة المنسوجة من قضبان الذهب المكللة بالدر والياقوت قد صف بعضها إلى بعض للراحة ورفع المنزل قال الشاعر:

كهولٌ وشبانٌ حِسَانٌ وجوهُهُم ∴ على سُرُر مَصْفُوفَةٍ ونَمَارِق[1]

قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿16﴾﴾ الزرابي هي الطنافس العجيبة واحدتها زربيّة وهي البسط العريضة فالمبثوثة الكثيرة المبسوطة المفرقة في المجلس قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿17﴾﴾ فيه تنبيه على قدرة الله تعالى يقول أفلا يرون الإبل مع عظمها وشدتها كيف تبرك إذا أريد بروكها فيحمل عليها ويركب ثم تقوم فيقودها الصغير وينيخها ويحمل عليها الحمل الثقيل وهي باركة فينهض بثقله ولا تنهض دابة بحملها وهي باركة إلا البعير، وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها[2] أن النبي ﷺ لما وصف للمشركين سرر أهل الجنة مع علوها وارتفاعها وأنها تنحط لصاحبها إذا أراد صعودها ثم ترتفع استبعدوا ذلك، فذكر الله ما يزيل استبعادهم، وكانوا أرباب إبل فأراهم دلائل توحيده فيما كان في أيديهم وتكلمت به الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات، فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم[3]، وقال الحسن لأنها تأكل النوى وتخرج اللبن وقيل: لأنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف يذهب بها حيث شاء، وحكى الأستاذ أبو القاسم بن حبيب أنه رأى في بعض التفاسير أن فأرة أخذت بزمام ناقة فجعلت الفارة تجر الناقة وهي تتبعها حتى دخلت الجحر فجرَّت الزمام فبركت

(1) نسبه ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» 16: 290 إلى زهير.
(2) القرطبي في تفسيره 20: 34.
(3) البغوي في معالم التنزيل 5: 563، بنصه.

فجرته فقربت فمها من جحر الفأرة، فسبحان الذي قدرها وسخرها وذللها[1]. وقال أبو عمرو الإبل هي السحاب وقال وهي أليق بما بعده من ذكر السماء والجبال إلا أن هذا غير معروف في اللغة وإنما يقولون للسحاب الإبل بتشديد اللام[2] قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿18﴾﴾ في الهوى فوق كل شيء لا تنالها الأيدي بلا عمد تحتها ولا علاقة فوقها ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿19﴾﴾ فحملت مرساة مثبتة لا تزول وفجّر في أعلاها العيون لمنافع الناس ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿20﴾﴾ أي بسطت على وجه الماء فالذي فعل هذه الأشياء قادر على أن يخلق نعيم الجنة بالصفات التي ذكرها، قال أنس بن مالك: صليت خلف علي بن أبي طالب فقرأ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿17﴾﴾ وكذلك، رَفَعْتُ، وَنَصَبْتُ، وسَطَحْتُ برفع التاء، وقرأ الحسن: (سُطِّحَتْ) بالتشديد[3] قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿21﴾﴾ أي عظهم يا محمد بالقرآن إنما أنت واعظ به مبلغ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿22﴾﴾ أي بمسلط تجبرهم على الإيمان وتمنعهم عن الكفر، وهذا كان قبل آية القتال فنسخ بها وتسيطر الرجل إذا تسلط قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿23﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿24﴾﴾ أي لكن من أعرض عن الإيمان وثبت على كفره فكله إلى الله لست له بمذكر لأنه لا يقبل منك وسيعذبه الله في الآخرة بأعظم النيران. وإنما قال ذلك لأن من المعذبين من هو أشد عذاباً من غيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿25﴾﴾ أي طب نفساً يا محمد وإن عاندوا ومجدوا فإن إلينا مرجعهم أي مرجعهم إلينا وجزاؤهم. والإياب: الرجوع والمعاد ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿26﴾﴾ وإخراج ما لهم وعليهم حتى يظهر مقدار ما يستحقون من العذاب.

---

(1) الثعلبي في تفسيره.

(2) يراجع قول أبي عمرو في تفسير القرطبي 20: 35.
وكذا تفسير ابن عطية 16: 290.

(3) وكذلك يراجع قول أنس، وقراءة الحسن عند القرطبي، وابن عطية أيضاً.

سُورَةُ الفَجْرِ

سورة الفجر مكية، وهي خمسمائة وتسعة وتسعون حرفاً، ومائة وتسع وثلاثون كلمة، وثلاثون آية، قال ﷺ: **«من قرأ سورة الفجر كانت له نوراً يوم القيامة، ومن قرأها في الليالي العشر غفر الله له»**(1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَٰلِكَ
قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ
مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ
رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالفجر والفجر هو الصبح الذي يطلع في آخر الليل وهو دلالة على نعم الله وعلى توحيده، وفي ذكره بعث على الشكر والترغيب في إقامة صلاة الفجر وقوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)﴾ هي عشر ذي الحجة شرفها الله تعالى ليسارع الناس فيها إلى الخيرات والطاعات، وعن ابن عباس يعني العشر الأواخر من

---

(1) الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب، والزمخشري في الكشاف 4: 254.

رمضان، وقيل: العشر الأولى من المحرم[1] قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝3﴾ الشفع: هو يوم النحر يشفع بما قبله من الأيام من الشهر، والوتر: يوم عرفة أوتر بما قبله من أيام الشهر، وعن الحسن وقتادة: إن هذا قسم بالخلود كله فإنهم شفع ووتر وقال مقاتل: الشفع آدم وحواء، والوتر هو الله، وقال مجاهد ومسروق: هو الخلق كله قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[2] الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر هو الله عز وجل هو الله الواحد الأحد الفرد، وقيل الشفع صلاة الفجر والوتر صلاة المغرب، وقيل الشفع درجات الجنان لأنها ثمان، والوتر درجات النار لأنها سبع كأنه تعالى أقسم بالجنة والنار، وقيل الشفع صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل، والنظر والعمى، والوتر انفراد صفات الله عز وجل بلا ذل وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلف: والوتر بكسر الواو واختاره أبو عبيد لأنها الأكثر في الكلام وأفشى، ومنه وتر الصلاة ولم يسمع بشيء من الكلام الوتر بالفتح، وقرأ الباقون بالفتح وهي لغة أهل الحجاز[3] قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝4﴾ أقسم برب الليل إذا يسر بمضيّه وانقضائه إلى طلوع الفجر ويقال: إنه أقسم بليلة المزدلفة إذا سرى فيها وعلى هذا قال بعضهم إن المراد بالفجر فجر يوم النحر ووجد حذف الياء من يسر أنه رأس آية ورؤوس الآي كالفواصل في الشعر قرأ نافع وأبو عمرو بالياء في الوصل، وقرأ ابن عامر وعاصم بحذفها وصلا ووقفا وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء في الحالين[4] وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝5﴾ لفظه لفظ استفهام بمعنى التقرير يقول

---

(1) يراجع المراد بالليالي العشر في تفسير القرطبي 20: 38ـ 39.

(2) سورة الذاريات: 51، الآية: 49.

(3) الفراء في معاني القرآن 3: 260.
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها 2: 372.

(4) ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 476.
والفراء نفسه.

هل بعد هذا لذي عقل قسم والحجر هو العقل وجواب القسم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿14﴾﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي ألم تعلم كيف صنع ربك بعاد وكيف أهلكهم وأما إرم فهو صفة لعاد وهما عادان الأولى هي إرم، وعاد الأخيرة ولم تصرف إرم لأنها اسم للقبيلة، وكان إرم أبا عاد فنسبوا إلى أبيهم، وقيل: إن إرم كانت قبيلة من عاد، وكان فيهم الملك قوله تعالى: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي ذات المقامات الطوال والقوى الشداد، يقال رجل معمد، ورجل عمدان إذا كان طويلاً قوياً: قال ابن عباس: كانت قامة الرجل منهم: أربعمائة ذراع لم يخلق مثلهم في زمانهم قوة وخلقاً ويقال إنه اسم مدينة ذات عماد الذهب والفضة بناها شداد بن عاد والقول الأول أقرب إلى ظاهر الآية لأن الفرض بهذه الآيات إهلاك الكافر وقصة مدينة إرم ذات العماد ما روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينما هو في صحارى عدن إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته وعقلها، وسل سيفه، ودخل من باب الحصن فلما خلف الحصن وراءه إذ هو ببابين عظيمين، وخشبهما من أطيب عود، والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر ففتح أحدهما فإذا هو بمدينة فيها قصور كل قصر تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت، ومصاريع تلك الغرف من أطيب العود مرصعة بالياقوت الأبيض والأحمر والغرف مفرشة كلها باللؤلؤ والمسك والزعفران ثم نظر إلى الأزقة فإذا في كل زقاق شجر مثمر وتحت الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها في مجاري من فضة، فقال الرجل: هذه هي الجنة التي وصفها الله في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن، وأعلم الناس بأمره فبلغ ذلك معاوية وسأل كعب الأحبار هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، قال: أخبرني بها، ومن بناها؟ قال: بناها شداد بن عاد واسم المدينة «إرم ذات العماد» وهي ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿8﴾﴾ قال معاوية: حدثني بحديثها. قال: يا معاوية إن رجلاً من عاد الأولى كان له ابنان شداد وشديد كانا قد قهرا البلاد وأخذاها عنوة، وليس هو

من قوم هود وإنما عاد هود من ذريته فأقام شداد وشديد ما شاء الله أن يقيما ثم مات شديد وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الأرض، وكان مولعاً بقراءة الكتب فكلما مرّ فيها بذكر الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عنوة على الله تعالى، فأمر ببناء هذه المدينة المذكورة، فأمر على صنعتها مائة أمير مع كل أمير ألف من الأعوان، وكتب إلى كل ملك في الدنيا أن يجمع له ما في بلاده من الجواهر، وكان تحت يده مائتان وستون ملكاً قال معاوية: كم أقاموا في مدة بنائها؟ قال: أقاموا ثلاثمائة سنة في بنائها وعمارتها قال: فكم كان عمر شداد؟ قال: سبعمائة وإنما سماها الله ذات العماد لأجل الأعمدة التي تحتها من الزبرجد والياقوت قال كعب: فلما فرغوا من بنائها أعلموا شداد بذلك، فقال لهم: انطلقوا واجعلوا فيها حصناً واجعلوا حوله ألف قصر عند كل قصر ألف علم حتى أجعل في كل قصر وزيراً من وزرائي فرجعوا فعملوا تلك القصور والأعلام والحصون ثم أتوه فأخبروه بفراغ ذلك فأمر الوزراء أن ينتهوا للنقلة إليها وأمر جنده ونساءه وخدمه أن يتجهزوا فأقاموا في جهازهم عشر سنين ثم سار الملك بجيش لا يحصي عدده إلا الله فلما سار إليها ليسكنها وبلغ إلى أن صار بينه وبينها مسيرة يوم وليلة. بعث الله عليهم هو وجنوده ووزراءه صيحة عظيمة من السماء فهلكوا جميعاً ولم يبق منهم أحد، ولم يدخل شداد ولا أحد من قومه تلك المدينة ولم يقدر أحد على دخولها إلى يوم القيامة قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ⑨﴾ هم قوم صالح كانوا يقطعون الصخر ﴿يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾[1] بقرب المدينة التي كانوا نازلين بها ومعنى قوله ﴿بِٱلْوَادِ﴾ أي بوادي القرى قال أهل التفسير: أول من جاب الصخر أي قطع الصخور ونحت الجبال والرخام ثمود قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ⑩﴾ عطفاً على ثمود. واختلفوا في معنى ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال بعضهم معناه: ذو الجموع والجنود وقال بعضهم: ذو الملك الثابت، والجنود الذين كانوا يشدون أزره سموا أوتاداً لأن قوامه بهم، ويقال معناه: إنه كان إذا غضب على أحد مده على الأرض، ووتد على رجليه ويديه ورأسه بأربعة أوتاد حتى يموت كما فعل بامرأته آسية قوله

---

(1) سورة الحجر: 15، الآية: 82.

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿11﴾﴾ أي الذين أفرطوا في الظلم والفساد والكفر والقتل بغير حق ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿13﴾﴾ أي صب عليهم لوناً من العذاب، وقيل: وجع عذاب، وقيل هذا على الاستعارة لأن السوط عند العرب غاية العذاب يقال: ساطه سوطاً إذا خلطه والسوط: ما يخلط اللحم والدم[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿14﴾﴾ أي بحيث يرى ويسمع وقال مقاتل: يجعل رصداً من الملائكة ترصد الناس على الصراط معهم الكلاليب، وقال الضحاك: ترصد لأهل الظلم والمعصية، وقال عطاء معناه: إن ربك لا يفوته أحد، وأن لا محيص عنه، وهو العالم بهم وإليه مصيرهم.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿15﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿16﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿17﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿18﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿19﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿20﴾ كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿21﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿22﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ معناه: فأما الإنسان الذي لا يعرف نعمة الله عليه عند سعة الرزق وتضييقه، فيقول عند النعمة رب أكرمني بالمال والسعة، ويقول عند ضيق الرزق عليه إذا كان رزقه على مقدار البلغة رب أهانني بالفقر وضيق المعيشة وآذاني بذلك، ولم يشكر الله على ما أعطاه من سلامة الجوارح قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿17﴾﴾ أي حاشا أن يكون إكرام الله لعباده مقصوراً على توسعة النعم عليهم وأن تكون إهانة الله لعباده مقصورة على تضييق الرزق عليهم بل يوسع الله منهم على من يشاء ويضيق الرزق على من يشاء على ما تقتضيه الحكمة. قال الحسن: أكذبهم الله جميعاً يقول: ما بالغنى أكرمت ولا بالفقر أهنت وقوله تعالى: ﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ معناه: لا تعرفون حق اليتيم بالعطية، والصدقة، ولا بحفظ ماله عليه وفي هذا بيان أن إهانة الله إنما تكون بالمعصية لا بما توهم الكافر وروى أن هذه الآيات:

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 261.

نزلت[1] في أمية بن خلف كان في حجره يتيم كان لا يحسن إليه ولا يعرف حقه ومعنى «كلا» ردٌّ عليه أي لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه عليّ والفقر والغناء من تقديري وقضائي فلا أكرم من أكرمته بالغناء ولا أهين من أهنته بالفقر ولكني إنما أكرم من أكرمته بطاعتي، وأهين من أهنته بمعصيتي وقيل معناه: بل أهنت من أهنت من أجل أنه لم يكرم اليتيم قال ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»**[2]، وقال: **«كافل اليتيم كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر، ومن مسح على رأس يتيم تعطفاً عليه كانت له بكل شعرة مرت عليها يده عشر حسنات»**، وقال عيسى عليه السلام: الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الآخرة، والغناء مسرة في الدنيا مشقة في الآخرة. قرأ ابن عامر: فقدر عليه رزقه بتشديد الدال وهما لغتان وكان أبو عمرو يقول: قدّر بمعنى قتر، وقدّر: هو أن يعطيه ما يكفيه[3]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي لا يحثون الناس على الصدقة على المساكين. قال عمران بن الحصين: ما قام رسول الله ﷺ خطيباً إلا وحث على الصدقة، ونهى على المثلة، واختلف القراء في هذه الآية: فقرأ أبو عمرو: يكرمون وما بعده بالياء كلها وقرأ الباقون بالتاء، وقرأ أهل الكوفة: تحاضون بالألف وفتح التاء أي لا يحض بعضكم بعضاً على ذلك، والتحاض: الحث، وروي عن الكسائي: تحاضون بضم التاء[4] قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿19﴾﴾ أي تأكلون الميراث أكلاً كثيراً شديداً أي يلمون جميعه من قوله لممت ما على الخوان إذا أكلته أجمع قال الحسن: هو أن يأكل الرجل نصيب نفسه، ونصيب صاحبه من الميراث ويقال: أراد به أكل ميراث اليتيم بغير حق لأنه هو الذي سبق ذكره، وقيل المراد: أن يصرف ما ورثه من نصيب نفسه إلى الباطل، وفائدة تخصيص الميراث التنبيه به على حكم غيره لأنه إذا منع عن أكل أحل أمواله بالباطل ففي أكل غير ذلك أولى، ويقال معنى:

---

(1) ينظر القرطبي في تفسيره 20: 53.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح العسقلاني 10: 551 رقم 5304 كتاب الطلاق. وأبو داود في سننه بشرح عون المعبود 14: 60 رقم 5128.

(3) الكشف عن وجوه القراءات وعللها 2: 372.

(4) تراجع هذه القراءات في إعراب القراءات السبع وعللها 2: 479.

أكلاً لمَّا أي تأكل نصيبه ونصيب غيره قال بكر بن عبد الله: اللمم: الاعتداء في الميراث بأكل ميراثه وميراث غيره[1]، وقال ابن زيد اللمم: الذي يأكل كل شيء يجده ولا يسأل عنه أحلال أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان[2]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قطع ميراثاً فرضه الله، قطع الله ميراثه من الجنة**».

قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿20﴾﴾ أي حباً كثيراً شديداً لا ينفقونه في سبيل الله يحضون عليه في الدنيا ويعدلون عن أمر الآخرة قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿21﴾﴾ معناه: كلاَّ ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر فلا تفعلوا ذلك وانزجروا عنه وارتدعوا وكلا كلمة ردع وزجر ثم أوعدهم فقال تعالى: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي ستدكون وتندمون: إذا زلزلت الأرض بضرب بعضها ببعض حتى استوت الأرض، وصارت كالصخرة الملساء، وتكسر كل شيء على ظهرها قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿22﴾﴾ أي وجاء أمر ربك بالمجازاة والمحاسبة والملائكة صفوف صفاً بعد صف عند حساب الناس يشاهدون ما يجري عليهم، ويقال إن الملائكة يصفون صفاً واحداً حول الجن والإنس يحيطون بهم.

قال الله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿23﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿24﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿25﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿26﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿27﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿28﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿29﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿30﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ جاء في التفسير أن جهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك لها تغيظاً وزفيراً[3]،

(1) الطبري في تفسيره 15: 230 رقم 28807.
(2) الطبري نفسه.
(3) الطبري في تفسيره 15: 230 رقم 28819.
وابن كثير في تفسيره 7: 289.

ويكشف عنها غطاؤها حتى يراها العباد، قال الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (36)﴾[1] قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي يتحسر ويندم على ما فاته إذا رأى النار والعذاب ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي ومن أين له في ذلك الوقت الذكرى، أو توبة تنفعه أو عظة تنجيه قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى (24)﴾ أي يا ليتني عملت في حياتي الفانية لحياتي الباقية ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ (25)﴾ قراءة العامة بكسر الذال ﴿يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء معناه: لا يعذب كعذاب الله أحد ولا يوثق كوثاقه أحد، وقرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال والثاء ومعناه: لا يعذب عذاب الكافر الذي لم يقدم لحياته أحد، ولا يوثق أحد مثل وثاقه[2] قيل: إن هذا الإنسان المعذب «أمية بن خلف الجمحي» قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (27)﴾ المراد نفس المؤمن تقول لها الملائكة عند قبضها، وإذا أعطيت كتابها بيمينها: يا أيتها النفس التي أيقنت بأن الله ربها، وعرفت توحيد خالقها فاطمأنت بالإيمان، وعملت للآخرة، وصدقت بثواب الله ارجعي إلى ما أعد الله لك من نعيم الجنة راضية عن الله بالثواب مرضية عنه بالإيمان والعمل الصالح فادخلي في جنة عبادي الصالحين وادخلي جنتي التي أعدت لك وقال مجاهد معناه: يا أيتها النفس المنيبة التي أيقنت أن الله خالقها المطمئنة إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الراضية بقضاء الله التي قد علمت بأن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وقيل معناه: المطمئنة بذكر الله المتوكلة على الله الواثقة بما ضمن لها من الرزق. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال[3]: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله ملكين معهما تحفة من الجنة فيقال لنفسه: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح المسك فتشمها الملائكة في السماء فيقولون قد جاء من الأرض روح طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها، وتقول الملائكة ربنا هذا عبدك فلان كان يعبدك ولا يشرك بك شيئاً فيقول الله يا ميكائيل اذهب بهذه

---

(1) سورة النازعات: 79، الآية: 36.

(2) إعراب القراءات 2: 480.

(3) ذكر هذا في تفسير القرطبي 20: 58، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم يؤمر بأن يوسع عليه في قبره سبعين ذراعاً عرضه وسبعين ذراعاً طوله ويجعل له فيه نوراً كالشمس ويكون كالعروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه فيقوم من نومه كأنه لم يشبع منه، وعن جعفر بن سعيد قال: قرأ رجل عند رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أحسن هذا يا رسول الله، فقال: «**يا أبا بكر: إن الملك سيقوله لك**»[1].

(1) ابن كثير في تفسيره 7: 290.

سُورَةُ البَلَدِ

سورة البلد مكية، وهي ثلاثمائة وعشرون حرفاً، واثنتان وثمانون كلمة، وعشرون آية قال ﷺ: **«من قرأ سورة البلد أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ① وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ⑥ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ⑩﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ①﴾ يعني مكة أقسم الله بها إعظاماً لها، وحرف «لا» زائدة، وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ②﴾ أي وأنت يا محمد حل بمكة يعني مقيماً فيها، وقيل: وأنت حلال فيها تصنع ما تريد من القتل والأسر. والمعنى: وأنت حلال لك أن تتصرف فيها، وذلك أن الله تعالى أحل لنبيه عليه السلام مكة يوم الفتح حتى قاتل فقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما. قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③﴾ فهو قسم

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 257.
الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب.

بآدم وذريته وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿4﴾﴾ أي في شدة من حين نفخ فيه الروح إلى أن يصل إلى الآخرة ليعلم أن الدنيا دار كدر ومشقة، وأن الجنة هي الراحة والنعمة والمكابدة في اللغة: هو أن يكابد الإنسان أمر المعاش والمعاد قال الحسن يكابد مصايب الدنيا وشدائد الآخرة لا يبقى ابن آدم إلا يكابد أمر الدنيا في مشقة. قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿5﴾﴾ كناية عن الإنسان وقد جاء في التفسير أنه نزل[1] في أبي الأشد بن كلدة بن أسيدة الجمحي كان قوياً شديداً يصنع الأديم العكاضي فيقف عليه، ويقول من أزالني عنه فله كذا وكذا، فيجتمع عليه عشرة أقوياء يجرون الأديم، وكان الأديم ينقطع ولا تزول قدماه عن مكانهما والمعنى أيظن هذا الكافر بشدته وقوته أن لن يقدر على أخذه وعقوبته أحد وأن لن يبعث والله قادر عليه فيقال إنه لما نزل ذلك حصر بطنه وانحصر بوله وكان يتمرغ في التراب، ويقول قتلني رب محمد. قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿6﴾﴾ يعني هذا الكافر المذكور يقول أهلكت مالاً كثيراً في عداوة محمد وأصحابه فلم ينفعني ذلك، واللبد كلما لبد بعضه على بعض. قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿7﴾﴾ معناه: أيظن أن لن يحصى عليه ما أنفق وأنه لا يسأل عنه من أين اكتسبه وفيم أنفقه[2] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿8﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿9﴾﴾ ذكر الله منته عليه فقال: ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولساناً يتكلم به، وشفتين يستعين بهما على الكلام. قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿10﴾﴾ أي وبينا له وعرفناه طريق الخير والشر ليسلك طريق الخير ويتجنب طريق الشر، وعن رسول الله ﷺ أنه قرأ وهديناه النجدين، وقال: «**أيها الناس إنهما نجدان نجد الخير ونجد الشر**»[3]، وقيل معنى وهديناه النجدين: ألهمناه مص الثديين والثديان هما النجدان وهذا قول سعيد ابن المسيب والضحاك ورواية عن ابن عباس[4].

---

(1) القرطبي في تفسيره 20: 62.

(2) روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**» الترغيب والترهيب 1: 76.

(3) ابن كثير في تفسيره 7: 294.

(4) البغوي في معالم التنزيل 5: 576.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11)﴾ معناه: أفلا جاد بماله بإنفاقه في طاعة الله، وهلاّ دخل في عمل البر، وأنفق ماله في فك الرقاب، وإطعام الجياع ليجاوز العقبة فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، وقال مجاهد والضحاك والكلبي يعني بالعقبة: الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناج سالم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس ومن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم كالفارس ومنهم كالرجل يعدو ومنهم كالرجل يمشي، ومنهم من يزحف، ومنهم الزالق، واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء[1]، وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى يقول إن المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه من مكلف صعوده، وقال ابن زيد معنى الآية: فهلا سلكت الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12)﴾ تعظيم لشأن العقبة يقول ما أعلمك يا محمد بأي شيء تجاوز العقبة الصراط، قال سفيان بن عيينة: كل شيء قال الله فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنه أخبره به، وما قال فيه: (وما يدريك) فإنه لم يخبره به قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ (13)﴾ من قرأ بضم «الكاف» فمعناه: اقتحامها رقبة من رق، أو شر، ومن ظلم ظالم، أو من سلطان جائر والاقتحام: الدخول في الشيء على الشدة قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15)﴾ منك ﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ لاصقاً في التراب من الجهد والفاقة، ويقال: إن المتربة: شدة الحاجة، وترب الرجل: إذا افتقر، ومن قرأ «فكَّ» بالنصب أو إطعام فمعناه: أفلا فك الرقبة وهلاّ أطعم في يوم ذي مسغبة[2]، وعن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي

(1) يراجع البغوي في معالم التنزيل 5: 576.

(2) الكشف عن وجوه القراءات وعللها 2: 375.

إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: «**لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة: اعتق النسمة وفك الرقبة**»، قال: أوليسا سواء يا رسول الله؟ قال: «**لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفكها أن تعين في ثمنها فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وامر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير**»(1). قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿17﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿18﴾﴾ معناه: إن أفعال القرب إنما تنفعه إذا كان مع ذلك من الذين آمنوا وحرف ثم ههنا للترادف في الأخبار لا للترادف في المحال كأنه قال: وما كان مؤمناً قبل ذلك من الذين يتواصون بالصبر ويجوز أن يكون معناه فعل ذلك ثم بيت على أن يلقى الله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معاصيه ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بالتراحم على الناس، واليتيم والمسكين والضعيف والمظلوم وفي الحديث: «**من لم يرحم الناس لم يرحمه الله**»(2) وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿18﴾﴾ معناه: أولئك الذين اجتمعت فيهم هذه الخصال هم أصحاب اليمين والبركة، وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي هم أصحاب الشؤم على أنفسهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أي مطبقة أبوابها عليهم مسدودة من قولك أوصدت الباب وأوصدته إذا أطبقته ومن ذلك سمى الباب الوصيد قال ﷺ: «**من قرأ سورة البلد أعطاه الله الأمان يوم القيامة**».

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 4: 66 رقم 4335 باب في العتق ووجه التقرب إلى الله.

(2) أخرجه البيهقي في الشعب 7: 465 رقم 11012.

سُورَةُ الشَّمْسِ

قال أبو بكر الحداد:

سورة الشمس مكية، وهي مائتان وسبعة وأربعون حرفاً، وأربع وخمسون كلمة، وخمس عشرة آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق على كل من طلعت عليه الشمس والقمر**»(1).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (1) وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (2) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (3) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا
(4) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (5) وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَىٰهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (10)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (1)﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالشمس ونحوها مما ذكره من أول السورة لما فيها من دلائل وحدانية الله تعالى فقال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (1)﴾ أراد بالضحى ارتفاعها. قال مجاهد معناه: والشمس وضوءها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (2)﴾ أي إذا تبع الشمس وطلع بعد غروبها وذلك في أول ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رئي الهلال، وكذلك في نصف الشهر إذا غربت الشمس تبعها القمر في الطلوع من المشرق وأخذ موضعها وسار خلفها قوله

---

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره.
والزمخشري في الكشاف 4: 260.

تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ أي إذا بين الشمس، وذلك أن الشمس إنما تضيء وتتبين إذا انبسط النهار وأما في حال طلوعها فهي تطلع لا نور لها ثم يضحيها الله ويجوز أن يكون معناه: إذا جلا ظلمة الليل أو جلا الدنيا فيكون هذا كناية عن غير مذكور قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ أي إذا يغشى الشمس فيذهب بنورها وتظلم الدنيا عند غروبها وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ أي والسماء وبنائها وهو تأليفها الذي تشاهده في سعتها وارتفاع سمكها وقرارها بغير عمد وما مع الفعل بتأويل المصدر ويجوز أن يكون معناه والسماء والذي بناها كما يقال: سبحان من سبحت له، وسبحان من يسبح الرعد بحمده. والمعنى: والسماء ومن بناها أي ومن خلقها وهو الله تعالى: كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾(1) ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾(2) وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ معناه: على القول الأول: والأرض وطحوها وهو بسطها على وجه الماء وعلى القول الثاني والأرض ومن طحاها قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ معناه على القول الأول: والأنفس كلها وتسويتها باليدين والرجلين والعينين والأذنين وغير ذلك من الحواس وما ألهمها الله من طريق فجورها وطريق تقواها وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ جواب القسم، يقول: قد فاز ونجا من طهر نفسه بالإيمان والطاعات فصار زاكياً طاهراً بنعيم الجنة ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أي وقد خاب من دس نفسه أي أحلها في الكفر والمعاصي قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ أي كذبت قوم صالح الرسل بطغيانهم والطغوى مصدر كالفتوى والدعوى والمعنى كذبت ثمود بطغيانها قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ أي حين قام أشقاها بعقر الناقة وصار هو السبب لهلاك الكل، قيل إنه كان أشقاهم رجلاً يقال له مصدع وهو الذي ابتدأ عقرها. وقال الكلبي كانا اثنين مصدع، وقدار بن سالف والمعنى: إذا انبعث أشقاها وإنما ذكرهما بلفظ التأنيث لأن الهاء راجعة إلى القبيلة وقيل المراد بقوله: أشقاها قدار بن سالف وكان رجلاً أشقر قصير(3) قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ

(1) سورة النساء: 4، الآية: 3.
(2) سورة النساء: 4، الآية: 22.
(3) يراجع البغوي في معالم التنزيل 5: 581.

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾﴾ أي قال لهم صالح عليه السلام احذروا ناقة الله التي هي آيته الدالة على توحيده أن تصيبوها بمكروه فتؤخذوا بذلك، واحذروا سقياها أي شربها ويومها فلا تزاحموها في يومها، وقد نصب على التحذير كما يقال: الأسد الأسد قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي فكذبوا صالحاً فيما قال لهم: إنكم إن أصبتموها بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي قتلوها قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ أي فأطبق عليهم بالصيحة، وأرجف بهم الأرض ودمر عليهم يقال: دمدمت على الميت إذا أطبقت عليه القبر، وقال ابن الأنباري: أصل الدمدمة الغضب والمعنى غضب عليهم ربهم فسوى عليهم العقوبة فلم ينفلت منهم صغير ولا كبير، ويجوز أن يكون المعنى فسوى بهم الأرض حتى لم ير لهم أثر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾ أي فلا يخاف عاقبة إهلاكهم، وقيل إن قوله تعالى: ولا يخاف راجع إلى رسولهم صالح عليه السلام كان لا يخاف عند التحذير من عاقبة أمرهم، وقيل هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ كأنه قال: قام لعقرها وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه جهلاً منه.

سُورَةُ اللَّيْلِ

سورة الليل مكية، وهي ثلاثمائة وعشرة أحرف، وإحدى وسبعون كلمة، وإحدى وعشرون آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿1﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿2﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿3﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ
﴿4﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿5﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿6﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿7﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ
وَاسْتَغْنَىٰ ﴿8﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿9﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿10﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿11﴾﴾.

قال الإمام الحداد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿1﴾﴾ أقسم الله بالليل إذا يغشى الأفق ويعم الأشياء كلها بالظلام، وبالنهار إذا تجلّى أي إذا أضاء وأنار، وذهب بظلمة الليل، وأقسم بخلقه الذكر والأنثى لإبقاء النسل، وقيل معناه: ومن خلق الذكر والأنثى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿4﴾﴾ أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من دلائل وحدانيته على أن أعمال العباد في الدنيا مختلفة منهم من يريد الدنيا فيجعل سعيه لها، ويعمل في فك رقبته، وشتان ما بين العملين. قوله تعالى:

---

(1) الزمخشري في الكشاف: 4.
الثعلبي في تفسيره.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ بين الله اختلاف سعيهم بقوله: أما من أعطى الحقوق من ماله واتقى المعاصي، واجتنب المحارم، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ أي أيقن بالخلف في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل معناه: فصدق بالجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ أي فسنوفقه للعود إلى الطاعة مرة بعد أخرى ونسهل عليه طريق الجنة، وعن أبي الدرداء، قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم غربت شمسه إلا وملكان يناديان اللهم أعط منفقاً خلفاً، واعط ممسكاً تلفاً**»[1]، وقال الضحاك معنى قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ بلا إله إلا الله قيل إن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ أي بخل بماله ومنع ما يلزمه من حقوق الله تعالى فيه، واستغنى عن ربه فلم يرغب في ثوابه فعمل عمل من يستغني عن الله، وكذب بثواب الله المتصدقين في الجنة، وكذب بالتوحيد والنبوة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ أي نخذله بمعاصيه ونصيره إلى النار، والمراد به أبو جهل، ويدخل فيه كل من عمل مثل عمله قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾ أي ما ينفع هذا الكافر الذي بخل بماله كثرة ماله بعد موته إذا هوى وسقط في النار لم يؤد به فريضة ولا وصل منه رحماً، وقال مجاهد معنى إذا تردى: إذا مات، وقال قتادة: إذا هوى في جهنم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وأن نبين الحق من الباطل، وقال الفراء معناه: من سلك طريق الهدى فعلى الله سبيله[2] كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[3] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 3: 233 رقم 3412 باب في الزكاة.

(2) معاني القرآن 3: 271.

(3) سورة النحل: 16، الآية: 9.

﴿وَٱلْأُولَىٰ﴾ معناه: وإن لنا للآخرة فنعطى منها ما شئنا على ما توجبه الحكمة لمن كان أهلاً لذلك، وإن لنا للأولى وهي الدنيا فنعطى منها ما نشاء وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿14﴾﴾ أي خوفتكم يا أهل مكة إن لم تؤمنوا بالقرآن ناراً تتوقد وتتوهج ولا يجوز أن يكون هذا معنى الماضي لأنه لو كان ماضياً لقيل تلظت قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿15﴾﴾ أي لا يدخلها ولا يلزمها إلا الأشقى في علم الله تعالى وهو الكافر الذي كذب بتوحيد الله والقرآن وأعرض عن الإيمان قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿17﴾﴾ أي سيباعد عنها التقي الذي يعطي ماله يتزكى به ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿19﴾﴾ أي لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه، ولا لمثابة الدنيا لكن إعظاماً إعطاء لطلب ثواب الله ورضاه ولسوف يعطيه الله في الآخرة من الثواب حتى يرضى قيل إن قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة[1] نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم كانوا يعذبون في الله تعالى وهم: بلال، وعامر بن فهيرة، شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأم عبيس، وزبيرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدية، وبنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، ومرَّ بجارية بني مؤمل حي من بني عدي بن كعب وكانت مسلمة وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام وهو يومئذ مشرك فاشتراها أبو بكر فأعتقها، فأما بلال لبني حجج مولداً من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه «حمامة» وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف الجمحي يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد. فمر به أبو بكر رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون به ذلك فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى؟ فقال له: أنت أفسدته فانقذه مما ترى، فقال أبو بكر: عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال: قد

(1) أسباب النزول للواحدي: 386.

قبلت قال: هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالاً فأعتقه، فقالوا له: لو أبيت أن تشتريه إلا بأوقية لبعناك، فقال أبو بكر: ولو أبيتم إلا بمائة أوقية لأخذته، وأما النهدية وبنتها فكانتا لامرأة من بني عبد الدار مرَّ بهما أبو بكر وهما يطحنان وسيدتهما تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر لها: يا أم فلان خل عنهما، فقالت: بل أنت خل عنهما أنت أفسدتهما، فقال: بكم هما؟ قالت: بكذا وكذا قال: أخذتهما بذلك، وهما حرتان لله تعالى، ثم قال لهما: قوما، وارجعا لها طحينها قالتا: إلا نفرغ من طحينها، ونرده إليها، قال: ذلك إليكما إن شئتما[1]، فقال أبو قحافة لأبي بكر يا بني إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتي إني إنما أريد الله تعالى فنزل فيه[2] قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ إلى آخر السورة، وعن سعيد بن المسيب قال: بلغنى أن أمية بن خلف الجمحي قال لأبي بكر حين طلب منه أن يعطيه بلالاً قال لا أبيعه منك إلا بغلامك «منطاس» وكان مشركاً فراوده أبو بكر على الإسلام فأبى وكان لمنطاس عشرة آلاف دينار، ومواش، وجوار فراوده أبو بكر على الإسلام، ويكون له ماله فأبى، فأبغضه أبو بكر، فلما قال له أمية ذلك باعه منه، فقال المشركون ما فعل أبو بكر ذلك لبلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى[3]: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ بثواب الله في العقبى عوضاً بما فعل في الدنيا والله تعالى أعلم.

---

(1) البغوي في معالم التنزيل 5: 585.
(2) الواحدي في أسباب النزول: 385.
(3) القرطبي في تفسيره 20: 89.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

قال الإمام الحداد:

سورة الضحى مكية، وهي مائة واثنان وسبعون حرفاً، وأربعون كلمة، وإحدى عشرة آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الضحى كان فيمن ترضاه الله لمحمد أن يشفع له ويكتب له بعدد كل يتيم وسائل عشر حسنات**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿1﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿2﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿3﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿4﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿5﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قال ابن عباس وقتادة: لما سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الروح، وعن ذي القرنين، وأصحاب الكهف قال لهم: «**سأخبركم غداً**»، ولم يقل: إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه، وأبطأ عليه جبريل خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء، فقال المشركون والمنافقون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى[2] هذه السورة تكذيباً لهم، وأقسم ببياض النهار، وسواد الليل بأنه سبحانه وتعالى لم يودعه ولم يقله، وفيه اضمار تقديره: ورب الضحى وهو النهار كله، وقال

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 265، والثعلبي في تفسيره.

(2) الطبري في تفسيره 15: 291، وابن كثير في تفسيره 7: 314.

بعضهم: ساعة ارتفاع الشمس على ما هو المعهود من الكلام وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿2﴾﴾ أي إذا أظلم، واشتد ظلامه حتى تستتر الأشياء كلها بالظلام ومنه قولهم فلان سجا بثوبه أي مغطّى، ومنه قولهم: يسجى قبر المرأة وقيل معناه: إذا سكنت الأشياء فيه ومن ذلك بحر ساج أي ساكن، ويقال: بلدٌ ساجيةٌ إذا كان أهلها في سكون، وكذلك طريق ساج أي آمن قال الشاعر:

أنا ابن عم الليل وابن خاله ∴ إذا سجى دخلت في سرباله

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿3﴾﴾ أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وهذا جواب القسم قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿4﴾﴾ أي ولثواب الآخرة بما أعد الله لك فيها من الكرامة، والمقام المحمود خير لك من الدنيا التي هي مشوبة بالأحزان والزوال. قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿5﴾﴾ معناه: وسيعطيك خالقك في الآخرة من الشفاعة وثواب الطاعة حتى ترضى، ويجوز أن يكون هذا وعد من الله تعالى له بالنصر والتمكين وكثرة المؤمنين، وعن ابن عباس في هذه الآية قال: رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار[1]، وقيل: هي الشفاعة في جميع المؤمنين، وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أشفع لأمتي حتى ينادي ربي عز وجل أرضيت يا محمد فأقول رب رضيت**»[2]، وعن جعفر بن محمد قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها، فلما أبصرها كذلك دمعت عيناه فقال: «**يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ**: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿5﴾﴾»[3]، وعن ابن عباس قال: يعطيك الله في الجنة ألف قصر من اللؤلؤ ترابه المسك في كل قصر من كل ما يشتهى على أحسن الصفات[4].

(1) الطبري في تفسيره 15: 292 رقم 29053.
(2) أبو نعيم في الحلية 3: 179.
(3) ذكره الثعلبي في تفسيره.
(4) الطبري نفسه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ عدد الله تعالى عليه نعمه الموصلة إليه من صغره إلى كبره والمعنى: ألم يجدك يتيماً عن أبويك فضمك إلى أبي طالب، ورباك في حجره، وفضلك على أولاده، وقد كان أبوه مات وهو في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن سنتين، ومات جده وهو ابن ثمان سنين، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أي ضالاً عن علم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها دليله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[2] ولا يجوز أن يقال في معناه: إنه عليه السلام كان على دين قومه، فهداه الله لأن الله تعالى لا يختار للرسالة من كفر، وقيل معناه: إن النبي ﷺ كان ضل في صغره من قومه في شعاب مكة فوجده أبو لهب فرده على جده، وقيل في معناه: وجدك ضائعاً بين قوم ضلال لا يعرفون حرمتك فهداهم إلى معرفة قدرك. قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي وجدك فقيراً فأغناك بمال خديجة والغنائم وذلك أنها كانت تبذل مالها للنبي ﷺ، والعيلة في اللغة: الفقر يقال: عال الرجل إذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه ∴ وما يدري الغني متى يعيل[3]

وحذف الكاف من قوله تعالى: فآوى، وأغنى، وفهدى لمشاكلة رؤوس الآي ولأن المعنى معروف قال مقاتل: وكل فصل من هذه الفصول قرأه جبريل على النبي ﷺ وهو يقول: «**بلى يا رب**» ثم قال: «**يمن عليّ ربي وهو أهل المن يمن عليّ ربي وهو أهل المن**»، وعنه ﷺ قال: «**سألت ربي مسألة وددت أني لم**

(1) سورة يوسف: 12، الآية: 3.
(2) سورة الشورى: 42، الآية: 52.
(3) سبق تخريجه.

أسألها قط قلت يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، وسخرت لداود الجبال يسبحن، وأعطيت سليمان كذا وكذا فقال الله تعالى: ألم أجدك يتيماً فآويتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أشرح لك صدرك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلى يا رب قال: فلا أذكر إلا وتذكر معي؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أوتك ما لم أوته نبياً قبلك؟ خواتيم سورة البقرة؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أتخذك حبيباً؟ كما اتخذت إبراهيم خليلاً؟ قلت: بلى يا رب»[1] قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ في هذا حث للنبي ﷺ على محاسن الأخلاق ليقتدي به الناس ويجتهدوا في سلوك طريقته، ومعنى قهر اليتيم: أن يقهره على ماله، وأن يظلمه بقول أو فعل وفي قراءة ابن مسعود: فلا تكهر بالكاف[2] ومعناه: الزجر والإغلاظ، وتخصيص اليتيم: لأنه لا ناصر له غير الله. وفي الحديث: «**اتقوا ظلم من لا ناصر له غير الله**»، وعن النبي ﷺ أنه قال: «**من ضم يتيماً فكان في نفقته ومؤنته كان له حجاباً من النار يوم القيامة**»[3]، و«**من مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة**»[4]، وقال ﷺ: «**إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله: يا ملائكتي أشهدكم أن من أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة**»، قال: فكان عمر إذا رأى يتيماً مسح رأسه وأعطاه شيئاً. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ النهر: هو الزجر بالصياح في الوجه، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين أو ببذل يسير وبرد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون كيف صنعكم فيما خولكم الله**»، وسئل ﷺ متى يباح أن تزجر الفقير؟ فقال: «**إذا رددته ثلاثاً بلطف فلم يذهب فلا بأس أن يزجره**»، وكان الحسن يقول: أراد بالسائل في هذه

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 2: 526.
وذكره الهيثمي في المجمع 8: 253.

(2) يراجع الفراء في معاني القرآن 3: 274، والبحر المحيط 8: 486.

(3) أخرجه البيهقي في الشعب 7: 471 رقم 11031 باب في رحم الصغير 5.

(4) أخرجه البيهقي في الشعب 7: 472 رقم 11036.

الآية سائل العلم لا يرده خائباً، وقال يحيى بن آدم في هذه الآية قال: إذا جاءك طالب العلم فلا تنهره، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يمنعن أحدكم السائل أن يعطيه إذا سأل، وإن رأى في يده قلبين[1] من ذهب»**، وعن إبراهيم بن أدهم قال: نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة[2]، يجيء السائل إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء[3] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ أي حدث الناس بما أنعم الله به عليك من النبوة والإسلام، وذلك أن من شكر النعمة التحدث بها تعظيماً للمنعم، ويقال: إن الشكر على مراتب فالمرتبة الأولى: أن يعلم أن النعمة من الله، والثانية: أن تؤدي عليها حقوق الشكر، والثالثة: أن تعترف بذلك وتخبر الناس بها والرابعة: أن لا يستظهر بها على معصية الله وفي الحديث: **«إذا أنعم الله على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه»**، وقال ﷺ: **«من أعطي خيراً فلم ير عليه سمي بغيض الله معادياً لنعمة الله»**، وقال ﷺ: **«من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بالنعم شكر»**[4].

---

(1) تثنية: قُلْب بضم وسكون: السوار. ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر «قلب».
(2) ينظر القرطبي في تفسيره 20: 101.
(3) نسبه القرطبي نفسه إلى إبراهيم النخعي.
(4) أخرجه البيهقي في الشعب 6: 516 رقم 9119 فصل في المكافأة بالصنائع.

سورة الشرح

سورة ألم نشرح مكية، وهي مائة وثلاثة أحرف، وسبع وعشرون كلمة، وثماني آيات قال ﷺ: «**من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب (8)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1)﴾ وذلك أن النبي ﷺ شق بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستخرج منه قلبه فغسل في طست من ذهب بماء زمزم ثم ملىء إيماناً، وحكمة، وأعيد مكانه قال: وهذا معنى شرح الصدر ترحيبه وتليينه لاحتمال الأذى والصبر على المكاره، والطمأنينة بالإيمان وشرائعه وقيل معناه: ألم نلين لك قلبك، ونوسعه بالإيمان، والنبوة، والعلم، والحكمة قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2)﴾ أي حططنا عنك ذنبك كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ

---

(1) الثعلبي في تفسيره، عن زر بن حبيش عن عبد الله.
الزمخشري في الكشاف 4: 268.

(2) سورة الفتح: 48، الآية: 2.

ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أي أثقل ظهرك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ أي شرفناك وعظمنا قدرك بما أوجبناه على خلقنا من التصديق بنبوتك وقيل معناه قرنا ذكرك بذكرنا فلا يذكر الله إلا وتذكر معه في كلمة الشهادة، وفي الصلاة، وفي الآذان، والخطبة، وغير ذلك. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾ أي إن مع العسر يسراً معناه: إن مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين رجاء بأن يظهرك الله عليهم حتى ينقادوا للحق طوعاً وكرهاً ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء، وقيل معناه: فإن مع العسر يسراً في الدنيا إن مع العسر يسراً في الآخرة، وقيل: إن هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وأصحابه فيما كانوا فيه من الشدة والفقر يقول: إن مع الشدة رخاء وسعة، روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال لأصحابه: «**أبشروا فقد أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين**»[1]. وإنما قال ذلك لأن العسر معرفة ويسراً نكرة، والمعرفة إذا أعيدت كان الثاني هو الأول والنكرة إذا أعيدت كان الثاني غير الأول، واليسر الأول هو اليسر في الدنيا يعقب العسر واليسر الثاني هو اليسر في الآخرة يقول الرجل لصاحبه إذا اكتسب درهماً انفق درهماً يريد الثاني غير الأول، وإذا قال اكتسب درهماً فانفق الدرهم فالثاني هو الأول وعن ابن مسعود قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين[2]. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾﴾ أي إذا فرغت من أمور الدنيا فانصب لما أمرت به من الإبلاغ والعبادة، وعن الحسن أنه قال: فإذا فرغت من الجهاد فانصب للعبادة واتعب لها، وعن عمران بن حصين أنه قال: فإذا فرغت من الصلاة فاتعب للدعاء، وسله ما عنده، وارغب إليه[3]، وقوله تعالى: ﴿فَانصَبْ﴾ من النصب والذود في العمل وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ أي ارفع حوائجك إلى ربك ولا ترفعها إلى أحد من خلقه.

---

(1) الطبري في تفسيره 15: 297 رقم 29069.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 2: 255، والبيهقي في الشعب 7: 206 رقم 10012 باب الصبر على المصائب.
والهيثمي في مجمع الزوائد 7: 139.

(3) البغوي في معالم التنزيل 5: 594.

سُورَةُ التِّينِ

قال أبو بكر الحداد:

سورة التين مكية وهي مائة وخمسون حرفاً، وأربع وثلاثون كلمة، وثماني آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة التين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا**»(1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1)﴾ هذا قسم برب التين والزيتون جوابه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ وسئل ابن عباس عن التين والزيتون؟ فقال: هو تينكم هذا وزيتونكم هذا، وفي تخصيص التين من سائر الفواكه لأنه ثمر شجرة مثل الحنيفي على مقدار اللقمة ظاهره مثل باطنه وباطنه مثل ظاهره ولا يخالطه قشر ولا نوى على صفة ثمار الجنة(2). والزيتون ثمر شجرة يعصر منها الزيت بما فيه من الطيب، وإصلاح الغذاء في أكثر الأطعمة، مع الاصطباح به، والإدهان به،

(1) الثعلبي في تفسيره، والزمخشري في الكشاف 4: 269.

(2) تفسير القرطبي 20: 110.

وعن قتادة قال: التين هو دمشق، والزيتون هو بيت المقدس، وقال القتيبي: هما جبلان بالشام يقال لهما: طور تيناً، وطور زيتوناً لأنهما ينبتان بهما وقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ هو الجبل بمدين الذي كلم الله عليه موسى، وسينين، وسيناء من أسماء ذلك الجبل، وعن السدي أنه قال: معنى سينين المسحر ويقال معناه: المبارك، وعن عكرمة أن معناه: الحسن في الشتاء لأنه كثير النبات والشجر[1] قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ يعني مكة كان أهلها في أمن من الغارة، وكانوا إذا سافروا لم يتعرض لهم لحرمة الحرم، والصيد في الحرم آمن، ومن قتل قتيلاً ثم لجأ إلى الحرم لم يقتص منه في الحرم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ أي في أحسن صورة، واعتدال على أحسن قامة وهيئة، وعلى كمال في العقل والفهم وذلك أن الله تعالى خلق كل شيء منكباً على وجهه إلا الإنسان مديد القامة يتناول مأكله بيده.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ أي رددناه إلى أرذل العمر، وإلى حالة الهرم، وفقد العقل بعد الشباب والقوة[2]، وقال بعضهم معناه: رددناه إلى أسفل دركات النار في أقبح الصورة ثم استثنى المؤمنين المطيعين فإنهم لا يردون إلى أسفل سافلين، ويجوز أن يكون هذا الاستثناء منقطعاً بمعنى لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي ثواب غير مقطوع أي لا ينقطع ثوابهم بموتهم وفي الحديث: «**إن المؤمن إذا عمل في حال شبابه، وقوته ثم مرض أو هرم كتب الله له حسناته كما كان يعمل في حال شبابه، وقوته لا ينقص منه شيء**»، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا مات المؤمن فدفن في قبره قال: ملكاه يا رب قد مات عبدك فلان، فأذن لنا أن نصعد إلى السماء نسبحك. يقول الله تعالى: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني، فيقولون يا رب فأين تأمرنا؟ فيقول: قوموا على قبر عبدي فسبحاني، وكبراني، واحمداني، وهللاني واكتبا ذلك لعبدي حتى أبعثه من قبره**» قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ أي ما الذي يحملك على التكذيب أيها

---

(1) تراجع هذه الأقوال في تفسير القرطبي 20: 110ـ 112.
(2) الطبري في تفسيره 15: 310 فقد رجح هذا القول على غيره.

الكافر بعد هذا البيان من الله بمجازاة الله في الآخرة، وقيل معناه ما يكذبك أيها الإنسان بعد الصورة الحسنة والشباب ثم الهرم، والموت بالحسنات أفلا تعتبر بحالك لتعلم أن الذي خلقك قادر على أن يبعثك وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿8﴾﴾ أي أليس الله بأفضل الفاضلين، وأعدل العادلين، وكان ﷺ إذا قرأ هذه السورة قال: «**بلى يا رب أنت أحكم الحاكمين، وأنا على ذلك من الشاهدين**»[1].

(1) ذكره الطبري في تفسيره 15: 316 رقم 29148.

سُورَةُ العَلَق

سورة العلق مكية، وهي مائتان وثمانون حرفاً، واثنتان وسبعون كلمة، وتسع عشرة آية قال ﷺ: «**من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)﴾ قالت عائشة: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب الله تعالى إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه جبريل فقال له: اقرأ، فقال: «**ما أنا بقارىء**»، قال: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية كذلك ثم أرسلني، فقال لي: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾». فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة، فقال: «**زملوني زملوني**»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فأخبر

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 272، والثعلبي في تفسيره: عن أبي بن كعب.

خديجة بالخبر، وقال: «**خشيت على نفسي**»[1]. فانطلقت به خديجة إلى «ورقة بن نوفل» وهو ابن عمها، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية، وكان شيخاً كبيراً قد ضعف بصره، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا رأيت؟ فأخبره بما رأى فقال ورقة: هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى فيا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال ﷺ: «**أو مخرجيّ هم؟**» قال: نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وأوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم إن ورقة لم يدرك وقت الدعوة إذ توفي[2]. واختلفوا في: «الباء» في قوله: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ قال بعضهم: هي زائدة، وتقديره: اقرأ اسم ربك كما يقال: قرأت بسورة كذا، وقال بعضهم معناه: افتح القراءة ببسم الله وقيل الذي خلق الأشياء كلها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ قال بعضهم: أراد به آدم خلقه من طين يعلق باليد، وقال بعضهم الإنسان هنا اسم جنس والعلق جمع علقة وهي الدم الخاثر المنعقد الذي يضرب إلى السواد قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ أي اقرأ القرآن في صلاتك وتبليغك إلى الناس وربك الأعظم تعالى يعينه على حفظ القرآن وتبليغه ويثيبه على ذلك جزيل الثواب، وقيل الأكرم الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ أي الذي علم الملائكة ما في اللوح المحفوظ، وقيل معناه: الذي علم الإنسان علم الكتابة بالقلم وهو نعمة عظيمة ولولا القلم لضاعت الحقوق، ودرست العلوم، واختلت أمور المعاش قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ أي علم آدم الأسماء كلها، وقيل علم جميع الناس بالقلم من أمور دينهم ما لم يعلموا من قبل، وقيل الإنسان ههنا محمد ﷺ بيانه: وعلمك ما لم تكن تعلم.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ

---

(1) أسباب النزول للواحدي: 18.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح فتح الباري 9: 733 رقم 4923 كتاب التفسير. والطبري في تفسيره 15: 318 رقم 29152.

بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿12﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿13﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿14﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿6﴾﴾ أي حقاً إن الإنسان الذي خلقه الله من علق وتمم نعمته عليه ليطغى نعم الله، ويتكبر على توحيده ومعنى ليطغى ليجاوز حده فيستكبر على ربه إن رأى نفسه مستغنياً بكثرة ماله روى أن هذه الآية نزلت في أبي جهل وكان رسول الله ﷺ يقول: «**أعوذ بك من فقر ينسي، ومن غنى يطغي**» قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿8﴾﴾ فيه تخويف بالرجعة في الآخرة بالحساب أي إلى ربك المرجع في الآخرة قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ نزلت[1] في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة حين فرضت عليه، وكان يؤذيه، ويعبث به حتى يشغله عن الصلاة، وكان يهدد النبي ﷺ فيقول: إذا رأيت محمد يصلي توطأت عنقه، وهذه الآية متروكة الجواب معناه: أرأيت يا محمد الذي ينهى عن الصلاة لا تراه يفلح قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ معناه: أرأيت أيها الناهي إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى، وأمر الخلق بالتقوى أكنت تنهاه، وتعاديه على ذلك؟ وقيل معناه: أرأيت يا محمد إن كان الناهي عن الهدى أو أمر بالتقوى أليس كان خيراً له. قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ معناه: أخبرني يا محمد إن كذب أبو جهل بالقرآن، وتولى عن الإيمان أي أعرض عنه ألم يعلم أبو جهل أن الله يرى صنعه ويعلمه.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿15﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿16﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿17﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿18﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩ ﴿19﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ قسم من الله تعالى لئن لم يمتنع أبو جهل عن مقالته وصنعه لنأخذن بمقدم شعر رأسه، ولنأمرنَّ بجذبه إلى النار، والسفع في اللغة: هو الجذب الشديد، والعرب لا تأنف من شيء أنفها من ذكر الناصية. وقيل معنى السفع: الإحراق، والسفع واللفع: نظيران والمعنى: لنحرقن موضع ناصيته، وقال الحسن معناه: لنجمعن بين ناصيته وقدميه كما قال تعالى:

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 390.
والطبري في تفسيره 15: 321 رقم 29161.

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[1] قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16)﴾ فيه إبدال النكرة عن المعرفة المراد بالناصية ههنا صاحب الناصية كاذب خاطىء يأكل رزق الله ويعبد غيره. قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابن عباس لما قال أبو جهل للنبي ﷺ ألم أنهك عن الصلاة؟ انتهره النبي ﷺ، وأغلظ له، وتهدده فقال أبو جهل أتهددني، وأنا أكبر أهل هذا الوادي، فوالله لأملأن هذا الوادي عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً فأنزل الله تعالى[2]: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ أي فليدع قومه وعشائره ليعاونوه سندع الزبانية ليأخذوه، والنادي في اللغة: المجلس والمراد ههنا أهل المجلس، والزبانية: هم الملائكة الموكلون بتعذيب أهل النار واحدهم زبني والزبن: الدفع يقال: زبنت الناقةُ الحالب إذا ركضته برجلها قال ﷺ: «**لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً**»[3]، قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ هذا قسم من الله، ويجوز أن يكون معناه: ليس كما يقول أبو جهل لا تطعه فيما يأمرك به من ترك الصلاة، وصلِّ لله، واقترب إلى رحمته بالسجود على رغم مَن نبهناك عنه فروي أن النبي ﷺ كان يصلي بعد هذه السورة فأتاه أبو جهل ليؤذيه على عادته، فوجده يقرأ هذه السورة فخاف فانصرف، فقيل له: أخفته؟، وما الذي منعك أن تفعل به ما هممت به؟ قال: وجدت عنده حارساً يحرسه، وسمعته يهددني بالزبانية أما الحارس فهو فحلٌ أهوى إليّ أراد أن يأكلني، ووالله ما أدري ما زبانيته فهربت.

(1) سورة الرحمن: 55، الآية: 41.
(2) الواحدي في أسباب النزول: 390.
والطبري في تفسيره 15: 323 رقم 29162.
والترمذي في سننه كتاب التفسير.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح فتح الباري 9: 745 رقم 4958 كتاب التفسير.

سُورَةُ القَدْرِ

قال أبو بكر الحداد:

سورة القدر مكية، وهي مائة واثنا عشر حرفاً، وثلاثون كلمة، وخمس آيات قال ﷺ: «**من قرأ سورة القدر كان كمن صام رمضان، وأحيا ليلة القدر**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿1﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿2﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿3﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿4﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿5﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿1﴾﴾ معناه: إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، والهاء في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ كناية عن المضمر المذكور في السورة التي قبل هذه السورة، وهو القرآن، فإنه تقدم في أولها: اقرأ أي اقرأ القرآن. ويجوز أن يكون معناه: إنا أنزلنا جبريل بهذا القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان وذلك أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا إلى الكتبة، ثم أنزل بعد ذلك نجوماً في عشرين سنة، وقيل في ثلاث وعشرين سنة، وسميت هذه الليلة: ليلة القدر لأنها ليلة الحكم والقضاء، يقدر الله فيها كل شيء يكون من السنة إلى السنة ومعنى تقديره: أن يأمر الملائكة أن يكتبوه ويقرأوه قوله

(1) الثعلبي في تفسيره، والزمخشري في الكشاف 4: 273.

تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ تعجيب وتعظيم لحرمتها أي ما أعلمك يا محمد ما شرف هذه الليلة لولا أن الله تعالى أعلمك بذلك قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، وعلى هذا قالوا: إن من صلى فيها ركعتين كان له ثواب من صلى كل ليلة من ألف شهر ركعتين، بل هاتين الركعتين أكثر من ثواب تلك الصلاة كلها، وسبب نزول هذه السورة أن رسول الله ﷺ: ذكر يوماً لأصحابه أن أربعة من بني إسرائيل وهم أيوب، وزكرياء، وحزقيل، ويوشع بن نون عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه فيها طرفة عين، فتعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل، فقال: عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله فيها طرفة عين، فأنزل الله عليك خيراً منه، ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ إلى آخرها، وقال: هذا أفضل مما عجبت منه أنت وأمتك فسرت الصحابة بذلك[1]، وروي أن النبي ﷺ: ذكر رجلاً من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك عجباً شديداً وتمنى النبي ﷺ أن يكون مثله في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر[2]، واختلفوا في وقتها، فقال بعضهم: كانت على عهد رسول الله ﷺ، ثم رفعت والصحيح أنها لم ترفع، وأنها إلى يوم القيامة لما روي أن النبي ﷺ سئل فقيل له: هل رفعت ليلة القدر، فقال: بل هي إلى يوم القيامة.

وعن عبد الله بن الحسين قال: قلت لأبي هريرة زعموا أن ليلة القدر قد رفعت، قال: كذب من قال ذلك. قلت: هي في كل شهر؟ قال: لا بل في شهر رمضان، وقال بعضهم هي ليلة من ليالي السنة كلها، وأن من علق طلاق امرأته، أو عتق عبده بليلة القدر لم يقع شيء من ذلك إلى مضي سنة من يوم حلف، والجمهور من العلماء أنها في شهر رمضان في كل عام[3]، وسئل

(1) ذكره القرطبي في تفسيره 20: 132.
الواحدي في أسباب النزول: 391.
(2) البغوي في معالم التنزيل 5: 606.
(3) يراجع البغوي في معالم التنزيل 5: 602.

الحسن عن ليلة القدر فقال: والله الذي لا إله إلا هو إنها في كل رمضان، واختلفوا في أي ليلة هي، فقال أبو رزين العُقَيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان، وقال الحسن: هي سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها «وقعة بدر»[1] والصحيح أنها في العشر الأواخر من رمضان قال أبو سعيد الخدري: هي ليلة إحدى وعشرين، وعن أبي بن كعب قال: عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«تحروا ليلة القدر في كل سبع وعشرين من رمضان»**، وروي أن عمر قال لابن عباس أخبرني برأيك في ليلة القدر؟ فقال: إن الله وتر يحب الوتر السموات سبع، والأرضون سبع، والطواف سبع، والرمي للجمار سبع، فلا أراها إلا في سبع وعشرين من رمضان، قال: وعدد حروف سورة القدر إلى قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ سبع وعشرون، فتجب أن تكون ليلة سبع وعشرين، وأراد بالحروف الكلمات، فقال له عمر: وافق رأيي رأيك[2] ثم ضرب على منكبه، وقال: ما أنت بأقل القوم علماً، وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ في ليلة القدر: **«من كان متحرياً فليتحرها في ليلة سبع وعشرين»**[3]، وعن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ بأذني وإلا فصمَّتا أنه قال: **«ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»**. وقال أبو بكر الوراق: إن الله قسم كلمات هذه السورة على ليالي رمضان فلما بلغ السابع والعشرين أشار إليها فقال[4]: «هي» -، وقال بعضهم: هي ليلة سبع وعشرين. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ليلة القدر ليلة السابع والعشرين والتاسع والعشرين وإن الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى»**، وعن رسول الله ﷺ أنه قال «في ليلة القدر: **«من علاماتها أنها ليلة بلجة سمحة ساكنة لا باردة ولا حارة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع»**، وقال بعضهم: إن من علاماتها إن ماء البحر فيها يكون عذباً سلساً[5]، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: إذا أدركت ليلة القدر فما أقول؟ قال قولي: **«اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف**

---

(1) القرطبي في تفسيره 20: 135.
(2) الثعلبي في تفسيره: خ.
(3) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بشرح المنتقى 2: 88، ما جاء في ليلة القدر.
(4) القرطبي نفسه.
(5) القرطبي في تفسيره 20: 137، فقد ذكر علامات تلك الليلة وفضائلها.

عني». قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ أي تتنزل ملائكة السموات السبع إلى السماء الدنيا وجبريل معهم بإذن ربهم من كل أمر أمرهم الله به في تلك الليلة كما في قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[1] معناه: بأمر الله فكذلك في معنى من كل أمر أي بكل أمر قدره الله تعالى في تلك الليلة إلى مثلها من السنة القابلة، ويقال: إن الملائكة ينزلون إلى الدنيا في تلك الليلة ويسلمون على المؤمنين على كل قائم وراكع وساجد إلى طلوع الفجر قرأ طلحة بن مصرف ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مخففاً[2] والمراد بالروح: جبريل في قول أكثر المفسرين وقال مقاتل: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وقيل هو ملك عظيم قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتدأ فقال: سلام هي أي ليلة القدر سلامة هي خير كلها ليس فيها شر قال الضحاك: لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة فأما الليالي غيرها فيقضى فيهن البلاء والسلامة، وقال مجاهد: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أذى، وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، وفي قراءة ابن عباس: من كل امرىء سلام[3] ومعناه: من كل ملك سلام على المؤمنين في هذه الليلة. وقيل على هذه القراءة أيضاً إن من بمعنى على تقديره: على كل أمر من المسلمين سلام من الملائكة ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾[4] أي على القوم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي إلى مطلع الفجر وحتى حرف غاية قرأ الأعمش والكسائي وخلف: مطلِع بكسر اللام، وقرأ الباقون: بفتحها، وهو الاختيار لأن المطلع بفتح اللام بمعنى الطلوع يقال: طلعت الشمس طلوعاً ومطلعاً، وأما المطلع بكسر اللام فإنه موضع

(1) سورة الرعد: 13، الآية: 11، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

(2) تفسير الثعلبي «الكشف والبيان»: خ.

(3) الفراء في معاني القرآن 3: 280.

وابن جني في المحتسب 2: 368 فقد أضاف: عكرمة والكلبي.

(4) سورة الأنبياء: 21، الآية: 77.

الطلوع، ولا معنى للاسم[1] ههنا، والحكمة في إخفاء ليلة القدر على العباد إنهم لو عرفوها بعينها لقصدوها بالعبادة وأهملوا في سائر الليالي وإذا لم يعرفوها بعينها عبدوا الله في جميع ليالي شهر رمضان رجاء أن يدركوها.

(1) إعراب القراءات السبع وعللها 2: 510، والفراء في معاني القرآن 3: 280ـ 281.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

سورة لم يكن مكية، وقيل مدنية، وهي ثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفاً، وأربع وتسعون كلمة، وثماني آيات، قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في لم يكن لعطلوا الأهل والمال وتعلموها، ولا يقرؤها منافق أبداً، وإن الملائكة المقربين ليقرأونها منذ خلق الله السموات والأرض لا يفترون عن قراءتها، وما من عبد يقرؤها بليل إلا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه، ويدعون له بالمغفرة والرحمة، وإن قرأها نهاراً أعطي من الثواب مثل ما أضاء عليه النهار، وأظلم عليه الليل**»[1]، وقال ﷺ: «**من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتاً ومقيلاً**»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ⑴
رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ⑵ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ⑶ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ⑷ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑸﴾.

قال الإمام الحداد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود

---

(1) القرطبي في تفسيره 20: 138.

(2) الثعلبي في تفسيره: عن أبي بن كعب، والزمخشري في الكشاف 4: 275.

والنصارى والمشركين وهم عبدة الأوثان ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي منتهين عن كفرهم وشركهم، وقيل لم يكونوا زائلين حتى تأتيهم البينة الواضحة وهي محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبين ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان، وفسَّر البينة فقال رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة من الباطل والتناقض، فيها كتب من الله قيمة أي مستقيمة عادلة ومعنى قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني محمداً ﷺ يتلو صحفاً مطهرة أي يقرأ عليهم ما تضمنته الصحف المطهرة من المكتوب سميت مطهرة لأنها مطهرة من الباطل والتناقض، ولا يمسها إلا المطهرون من الأنجاس وهم الملائكة وأراد بها الصحف التي في أيديهم كما قال: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1] في تلك الصحف كتب قيمة أي مستقيمة في جهة الصواب لا تؤدي إلى اعوجاج ولا تدل إلا على الحق. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿4﴾﴾ فيه تفريع لليهود والنصارى فإنهم إنما اختلفوا في أمر النبي ﷺ بعد ما جاءهم ﷺ بالقرآن والمعجزات ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي ما أمر هؤلاء الذين سبق ذكرهم من أهل الكتاب والمشركين في جميع كتب الله تعالى إلا ليعبدوا الله مخلصين في دينهم حنفاء أي مائلين عن كل دين سوى الإسلام، وأن يقيموا الصلاة بحقوقها في مواقيتها، وأن يعطوا الزكاة المفروضة، وذلك دين الملة القيِّمة المستقيمة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿6﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿7﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿8﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿6﴾﴾ أي شر خليقة الله، والبريئة بالهمز هم الخليقة، ومنه برأ الله الخلق، ومنه البارىء بمعنى الخالق ومن قرأ بغير الهمز كان ترك

(1) سورة عبس: 80، الآية: 15- 16.

الهمز على وجه التخفيف[1]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ⑦﴾ أي خير الخليقة ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي بساتين ﴿تَجۡرِي﴾ من تحت شجرها وغرفها الأنهار الأربعة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بإيمانهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بالثواب الذي أكرمهم الله به ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب والرضى ﴿لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 282.
الكشف عن وجوه القراءات وعللها 2: 285.
تفسير القرطبي 20: 145.

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

سورة الزلزلة مكية، وهي مائة وتسعة وأربعون حرفاً، وخمس وثلاثون كلمة، وثماني آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الزلزلة أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله**»، وقال ﷺ: «**إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝1 وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝2 وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا
۝3 يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝4 بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝5 يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ
أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝6 فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝7 وَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝8﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝1﴾ وذلك أن النبي ﷺ سئل عن قيام الساعة متى يكون؟ فأنزل الله هذه السورة لبيان أشراطها وصفاتها والزلزلة: هي الحركة الشديدة، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾[2] وذلك أن الأرض تحرك يومئذ حركة شديدة حتى ينقلع ما فيها من بناء وجبل

---

(1) ابن كثير في تفسيره: 7: 348.
الثعلبي في تفسيره: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
والزمخشري في الكشاف 4: 277.

(2) سورة الواقعة: 56، الآية: 4.

وشجر حتى يدخل فيها كل ما على وجهها قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿2﴾﴾ أي لفظت الأرض عند ذلك ما فيها من الأموات والأموال قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿4﴾﴾[1] وفائدة إلقاء الكنوز وإظهارها أن يتحسر عليها الذين كنزوها، وأن يعذبوا بها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿3﴾﴾ الإنسان ههنا اسم جنس أريد به الذين يخرجون من جوفها يقول كلهم ما للأرض وما حالها، ولأي شيء زلزالها قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿4﴾﴾ أي يومئذ تخبر الأرض بما عمل على ظهرها من خير أو شر عبرة للكفر فيها، تقول في المؤمن صلى عليّ، وحج وصام، فيفرح المؤمن، وتقول في الكافر أشرك عليّ، وسرق وزنا، وشرب الخمر فيحزن، وذلك الإخبار بأن الله ألهمها وأنطقها كما أنطق الله الجوارح قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿5﴾﴾ أي أذن لها وأمرها قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي يصدرون من قبورهم متفرقين إلى أرض المحشر فرقاً فرقاً أهل كل دين على حدة فيصار بهم إلى موضع الحساب قوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من كتبهم التي نسخت أعمالهم فيها، وقيل يرجعون من موضع الحساب متفرقين ليروا جزاء أعمالهم فريق في الجنة، وفريق في السعير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿7﴾﴾ اختلفوا في مثقال الذرة قال بعضهم: هي ما يقع في الكوة من أثر الشمس، وقال بعضهم: هي النملة الحمراء الصغيرة وذلك أن قوماً كانوا يرون أنهم لا يؤجرون على قليل من الخير، ولا يعاقبون على قليل من الشر، فأنزل الله تعالى[3] هذه الآية وحثهم على كل خير قلَّ أو كثر، وحذرهم من كل شر قلَّ أو كثر كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**»[4].

---

(1) سورة الانشقاق: 84، الآية: 4.

(2) سورة التوبة: 9، الآية: 35.

(3) الواحدي في أسباب النزول: 392.

(4) أخرجه البيهقي في الشعب 6: 338 رقم 8422 باب في حسن الخلق.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

سورة العاديات مكية، وقيل مدنية، وهي مائة وثلاثة وستون حرفاً، وأربعون كلمة، وإحدى عشرة آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة العاديات أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعاً**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (1) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (2) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا
(4) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (5) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7)
وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِى
ٱلصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (11)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (1)﴾ أقسم الله بالخيول العاديات في سبيل الله إكراماً للغزاة، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس لنا أن نقسم إلا به، والضبح حمحمة الخيل وما سمع من أصوات أنفاسها إذا عدت، وعن علي رضي الله عنه أن المراد بالعاديات الذاهبة إلى العدو يوم بدر قال: ولم يكن معنا يومئذ إلا فرس واحد ركبها المقداد وانتصب قوله: ضبحاً على المصدر[2] تقديره: والعاديات تضبح ضبحاً قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (2)﴾ فالمظهرات

---

(1) الزمخشري في الكشاف: 4.
والثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب.

(2) النحاس في إعراب القرآن 5: 278.

بسنابكها النار بوطئها بنعالها الحجارة وبضربها الحصى بعضه ببعض كنار القادح والقدح والإيراء بمعنى واحد وتقديره: فالقادحات قدحاً قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ③﴾ يعني الخيل أيضاً تغير عند الصباح في سبيل الله أضاف الإغارة إليها وأراد بذلك ركابها وذلك أنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلاً ويأتونهم صبحاً قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أي هاجت بالمكان الذي انتهت إليه غباراً وإنما لم يذكر المكان لأن في الكلام دليلاً عليه وذلك أن إثارة الغبار لا يكون إلا بمكان قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ⑤﴾ أي دخلن في ذلك المكان في وسط جمع المشركين للإغارة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ⑥﴾ هذا جواب القسم والإنسان ههنا عبارة عن جنس الناس، وقيل المراد به الكافر والكنود: هو الكفور الذي يمنع رفده، ويأكل وحده، ويجلد عبده هكذا قال النبي ﷺ وقال الكلبي الكنود بلسان معد: العاصي، وبلسان: مضر وربيعة وقضاعة: الكفور وبلسان بني مالك البخيل وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقال عطاء: الكنود الذي لا يعطى في النائبة مع قومه، وقيل الكنود الذي لا خير فيه والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً، وقيل هو الحقود والحسود[1]. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦﴾ معناه: وإن الله على صنع هذا الكنود وكفرانه للنعم لشهيد تحصى عليه أعماله، وقيل معناه: وإن الإنسان على نفسه لشهيد يشهد بذلك حاله في نحله وإعراضه عما يجب عليه فالهاء على هذا القول راجعة إلى الإنسان. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧﴾ الضمير عائد على الإنسان، ويمنع إخراجه في حقه، ويقال في معناه: وإنه لحبه المال لبخيل يقال رجل شديد إذا كان بخيلاً قال ابن زيد سمى المال خيراً، وعسى أن يكون خبيثاً وحراماً ولكن الناس يعدونه خيراً وسمى الله المال خيراً وسمى الجهاد سوءاً فقال: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[2] أي قتال، وليس هو عند الله بسوء ولكن

---

(1) الثعلبي في تفسيره.
الفراء في معاني القرآن 3: 285.
ابن عطية في المحرر الوجيز 16: 354.
(2) سورة آل عمران: 3، الآية: 174.

يسمونه سوءاً ومعنى الآية، وأنه من أجل حب المال لشديد بخيل يقال للبخيل شديد ومشدد قال طرفة[1]:

أرى الموتَ يعتامُ الكرام ويَصْطفِي ∴ عَقيلَةَ حال الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[2]

والفاحش البخيل أيضاً قال الله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[3] أي بالبخل قوله تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ⑨﴾ معناه: أفلا يعلم هذا الإنسان إذا بعث الموتى من قبورهم وأظهر ما في صدورهم من الخير والشر والسخاء والبخل ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾ أي عالم يعلم ما أسرُّوه وأعلنوه ويجاريهم على أعمالهم ولولا دخول اللام في جواب إن لجاءت مفتوحة لوقوع العلم عليها، ولكن لما دخلت اللام كسرت إن على عادة العرب كما في قوله تعالى: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[4] ويحكى أن الحجاج غلط في قراءة هذه السورة فقال: (أَنَّ ربهم) بالفتح واستدرك الغلط من جهة العربية، وحذف اللام فقال[5]: (خبير) فالتفت الحسن إلى أصحابه وقال: ألا تنظرون إلى عدو الله يغيّر كتاب الله ليقوّم لسانه.

---

(1) أبو عمرو طرفة بن العبد البكري، شاعر جاهلي ولد في البحرين، ويعد من الطبقة الأولى، أشهر شعره معلقته التي يقول في مطلعها: «لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ ببرقة ثَهْمَدِ» وجمع شعره في ديوان مطبوع ترجم إلى الفرنسية، وكان هجاء غير فاحش القول تكثر الحكمة في شعره توفي سنة ستين قبل الهجرة الشعر والشعراء: 117، خزانة الأدب 2: 419.

(2) هذا البيت من معلقة طرفة، ومن شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن 2: 308، ومن شواهد الكشاف 4: 391، حرف الدال، سورة العاديات، يقول: أرى الموت يختار الكرام بالإفناء، ويصطفى كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء.
في النسخة: س ـ الرجال ـ بدل: الكرام.

(3) سورة البقرة: 2، الآية: 268.

(4) سورة المنافقون: 63، الآية: 1.

(5) القرطبي في تفسيره 20: 163، وكذا الثعلبي في تفسيره: خ.

سُورَةُ القَارِعَةِ

سورة القارعة مكية، وهي مائة واثنان وخمسون حرفاً، وست وثلاثون كلمة، وإحدى عشر آية، قال ﷺ: «**من قرأ سورة القارعة ثقل الله ميزانه يوم القيامة**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ القارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالأهوال والأفزاع، والمعنى: ستأتيكم القارعة، ويقال إن القارعة هي الصيحة العظيمة وقوله تعالى: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ تفخيم لأمر القيامة تقديره: القارعة ما هي وأي شيء هي، وما أعلمك ما هي لو لم أعلمك وهذا كما يقال فقيه وأي فقيه، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ معناه: يوم يموج الناس بعضهم في بعض حين يخرجون من قبورهم كالجراد الكثير المتفرق الذي يدخل بعضه في بعض ويركب بعضه بعضاً

(1) تفسير الثعلبي عن أبي بن كعب، والزمخشري في الكشاف 4: 280.

يعني الغوغاء وهو صغار الجراد نظيره قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[1] وسمي الجراد فراشاً لأنه ينفرش حين يتفرق ويقال الفراش: ما يطير حول السراج من البق ونحوه وإنما شبه الناس يومئذ بالفراش لأنهم يهيمون في ذلك اليوم على وجوههم لا يدرون من أين يجيئون ولا من أين يذهبون قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿5﴾﴾ معناه: يصير في ذلك اليوم بعد القوة والشدة كالصوف المندوف وذلك أوهى ما يكون من الصوف قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿6﴾﴾ يعني بالطاعات والحسنات ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿21﴾﴾ أي ذات رضى يرضاها الله، وقيل معنى راضية، أي مرضية قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿8﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿9﴾﴾ أي خفت من الأعمال الصالحة فمسكنه ومأواه الهاوية يأوي إليها كما يأوي الولد إلى أمه، وقيل يهوى على أم رأسه في النار. واختلفوا في كيفية وزن الأعمال قال بعضهم: توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة، وصحائف السيئات في كفة، وقال بعضهم: يخلق الله من الحسنات نوراً يكون علامة للحسنات فتوضع في كفة الحسنات، ويخلق الله للسيئات ظلمة تكون علامة للسيئات فتوضع في كفة السيئات، واختلفوا فيمن يزن الأعمال قال بعضهم يتولاه ملك من الملائكة موكل بالموازين، وقال بعضهم يتولاه جبريل فيقف بين الكفتين، وتوزن الأعمال فمن رجحت حسناته على سيئاته نودي بصوت يسمعه أهل الموقف ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبداً، ومن رجحت سيئاته على حسناته نادى الملك بصوت يسمعه أهل الموقف ألا إن فلان ابن فلان شقى شقاوة لا سعادة بعدها أبداً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿10﴾﴾ أي ما أعلمك يا محمد ما الهاوية لو لم أعلمك، وهذه الهاء تسمى هاء السكت وقوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿11﴾﴾تفسير للهاوية ومعناه نار قد تناهت حرارتها منتهاها ويروى أن الفضيل بن عياض كان كلما افتتح هذه السورة قطعته العبرة من شدة الهول ففارق الدنيا وما اختتمها.

---

(1) سورة القمر: 54، الآية: 7.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

قال الإمام الحداد:

سورة التكاثر مكية، وهي مائة وعشرون حرفاً، وثماني وعشرون كلمة، وثماني آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم الله عليه في الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿1﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿2﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿3﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿4﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿5﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿6﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿7﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿8﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ أي شغلتكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم حتى متم ودفنتم في المقابر قبل أن تتوبوا ويقال لمن مات زار حفرته وتوسد لحده وهذا خطاب لمن حرص على الدنيا وجمع أموالها وهو يريد التكاثر والتفاخر بها وقيل: إن هذه السورة نزلت في حيين من قريش أحدهما بنو عبد مناف، والآخر بنو سهم تعادوا أيهم أكثر فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم: إنما أهلكنا البغي والجاهلية فعدوا أمواتنا وأمواتكم وأحياءنا وأحياءكم فتعادوا فكثرهم بنو سهم. فأنزل الله

---

(1) الثعلبي في تفسيره: عن أبي بن كعب، والزمخشري في الكشاف 4: 382.

هذه السورة تهديداً لهم والمعنى: شغلكم التفاخر بالأنساب والمناقب عن توحيد الله حتى عددتم الموتى في المقابر ثم زاد في وعيدهم فقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾ أي حقاً سوف تعلمون ما تلقون من العذاب عند الموت وفي القبر ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④﴾ أي ثم حقاً سوف تعلمون ما تلقون في الآخرة من عذابها ولا بد أن يكون المراد بهذا الثاني غير المراد بالأول وكيف يكون هذا تكراراً، وقد دخل بينهما حرف «ثم» التي هي للتراخي قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ⑤﴾ قال بعضهم: جواب هذا محذوف أي حقاً لو علمتم ماذا ينزل بكم في الآخرة علم اليقين لما تفاخرتم في الدنيا ولا ألهاكم التكاثر قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⑥﴾ أي لترون الجحيم في الموقف إن متم على ذلك ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ معاينة إذا دخلتموها وتشاهدون في الآخرة كما شككتم فيه في الدنيا ثم لتسألن يوم القيامة عن اشتغالكم بنعيم الدنيا حتى تركتم ما لزمكم من الفرائض، واختلفوا في هذا السؤال قال بعضهم: هو سؤال توبيخ وتقريع للكافر في النار يقال للكافر وهو في النار أين ذهب تفاخرك وملكك وعَدَدك وعُدَدك ويؤيد هذا ما روي أن أبا بكر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ في بيت أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري[1] من لحم وخبز شعير، وماء عذب، وبسر قد ذَنَّبَ[2] فقال: يا نبي الله أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي يسأل عنه[3]، فقال ﷺ: **«إن ذلك للكفار»** ثم قال: **«ثلاث لا يسأل الله عنهن العبد يوم القيامة: ما يواري به عورته، وما يقيم به صلبه، وما يكنه من الحر والبرد وهو مسؤول بعد ذلك عن كل نعمة»**[4] وقال ﷺ: **«ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة أو كبيرة فقال عليها الحمد لله إلا أعطي خيراً مما أخذ»**[5].

---

(1) أبو الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري كان من الثمانية نفر الذين التقوا بالرسول ﷺ في بداية الدعوة بمكة وآمنوا به وصدقوا بدعوته، وحضر اتفاقيات العقبة، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ الطبقات الكبرى 3: 341.

(2) ذَنَّبَ: بسر قد ذنَّبَ أي بدأ فيه الإرطاب، اللسان: ذنب.

(3) الطبري في تفسيره 15: 367 رقم 29328.

(4) أخرجه البيهقي في الشعب 7: 296 رقم 10368 باب في الزهد.

(5) أخرجه البيهقي في الشعب 4: 99 رقم 4406 باب في تعديد نعم الله وشكرها.

وعن أنس قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال له جبريل: من يستطيع أن يؤدي شكر ما أنعم الله عليه قال: «**من علم أن تلك النعمة من قبل الله فقد أدى شكرها**»[1] وسئل ابن مسعود عن النعيم المذكور في هذه الآية فقال: الأمن والصحة، وسئل علي رضي الله عنه عن ذلك فقال: خبز الشعير والماء القراح، ويقال: إنه بارد الشراب وظل المساكن وشبع البطون، ويقال يسأل عن الماء البارد في شدة الحر وعن الماء الحار في شدة البرد وهذا كله محمول على ما إذا تشاغل بشيء من هذه المباحات فترك بها واجباً عليه وأما إذا لم يكن ذلك فإنه لا يسأل عنها ولا يحاسب عليها، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**النعيم الماء البارد والرطب**»، وقال عبد الله بن عمر: هو الماء البارد في الصيف، وفي الخبر المأثور: «**إن أول ما يسأل الله العبد يوم القيامة أن يقول له ألم أصحح جسمك ألم أروك من الماء البارد**»[2]، وقال ﷺ: «**إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه**» قيل: ولم؟ قال: «**لأنه أطفأ للمرة وأنفع للغلة، وأبعث للشكر**» وقال أبو حاتم: الماء البارد يستخرج الحمد من وسط القلب، وقال رجل للحسن: إن لنا جاراً لا يأكل الفالوذج، ويقول ما أقوم بشكره، فقال: ما أجهل جاركم إن نعمة الله عليه بالماء البارد أكثر من نعمة يجتمع عليها الحلاوى، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من أكل خبز البر وشرب الماء البارد وكان له ظل فذاك النعيم الذي يسأل عنه**»، وعن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، قالت الصحابة يا رسول الله وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا الشعير فأوحى الله إليه «**قل لهم: أليس تجدون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم**». عن أنس قال جاء رجل فقال: يا رسول الله هل من النعمة شيء؟ قال: «**نعم التنعل، والظل، والماء البارد**»، وقيل يسأل الله العباد عن خمس: شبع البطون، وبارد الشراب، ولذة النوم، وظل المساكن، واعتدال الخلق. وعن إبراهيم النخعي قال: من أكل فسمى، وفرغ فحمد الله تعالى لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام، وقال ابن عباس: النعيم: صحة الأبدان

---

(1) أخرجه البيهقي في الشعب 4: 124 باب في تعديد نعم الله وشكرها.

(2) أخرجه البيهقي في الشعب 4: 147 رقم 4607، والحاكم في المستدرك 4: 138.

والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1]، وقيل إن من نعمة الله تعالى على عباده الأكل والشرب، وتسهيل خروج الأخبثين، وقال أبو بكر بن عبد الله: يا لها من نعمة تأكل متلذذاً، ويخرج ذلك سهلاً.

(1) سورة الإسراء: 17، الآية: 36.

سُورَةُ العَصْرِ

سورة والعصر مكية، وهي ثمانية وستون حرفاً، وأربع عشرة كلمة، وثلاث آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة العصر ختم الله عليه بالصبر، وكان من أصحاب الحق يوم القيامة**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ معناه: والدهر أقسم الله بالدهر في تردده وتقلبه لما فيه من الدلالة على وحدانية الله، ويجوز أن يكون المراد، وقت العصر، وقال بعضهم: المراد بالعصر العشي، وفائدة ذكره ما فيه من الدلالة على توحيد الله من إقبال الليل وإدبار النهار وذهاب سلطان الشمس وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ هذا جواب القسم والإنسان ههنا اسم جنس أراد جميع الناس ولذلك استثنى منهم المؤمنين المطيعين، وقيل المراد بالإنسان ههنا الكافر يخسر نفسه وأهله ومنزله وخدمه في الجنة ويرثه المؤمن، ويقال معنى الخسر ههنا نقصان العمر لأن عمر كل إنسان رأس ماله والمؤمن وإن كان ينقص من عمره

(1) الثعلبي في تفسيره: خ.
والزمخشري في الكشاف 4: 382.

الذي هو رأس ماله فإنه يريح عليه بالطاعة ولا يعد ذلك خسراناً لأنه لا يتوصل إلى الربح إلا بإخراج رأس المال من يده فمعنى الخسران أن لا يتحقق إلا في الكافر، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه خيراً من أمسه فهو مغبوط، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون. ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان ومن كان في النقصان فالموت خير له من الحياة**» قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ فهؤلاء هم الذين يمسكون بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب فإنهم لا يقتصرون على طاعة أنفسهم بل يحثون غيرهم على الطاعة ليقتدى بهم وليكونوا سبباً في طاعة غيرهم وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً باتباع القرآن وطاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على الشدائد في ذات الله، وعن أبي بن كعب قال: قرأت على رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ فقلت: يا رسول الله ما تفسيرها؟ قال: «**أقسم ربكم بآخر النهار**» ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وهو أبو جهل ﴿لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني أبا بكر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني عمر، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني عثمان بن عفان ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[1].

(1) يراجع القرطبي في تفسيره 20: 180 بلفظه تقريباً.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

سورة الهمزة مكية، وهي مائة وثلاثون حرفاً، وثلاثون كلمة، وتسع آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الهمزة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ﷺ**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (9)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1)﴾ قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق كان يهمز الناس ويلمزهم مقبلين ومدبرين[2]، وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة[3]، وحرف كل يقتضي أن هذا الوعيد لكل كافر يغتاب الناس ويعيبهم والويل كلمة تقولها العرب في كل من وقع في هلكة ويقال إنه واد في جهنم مملوء من القيح والصديد مما يسيل من أهل النار، والهمزة: الطاعن على غيره بغير حق بالمشقة والجهل واللمزة: المغتاب العياب

---

(1) الثعلبي في تفسيره: خ، والزمخشري في الكشاف 4: 284.

(2) يراجع تفسير الطبري 15: 376.

(3) الثعلبي نفسه.

وعن أبي العالية قال الهمزة الذي يهمز في الوجه، واللمزة الذي يلمز من خلف واللمز: هو العيب قال الله ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي لا يعيبن بعضكم على بعض، وقال ابن عباس: الهمزة واللمزة هم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، وقيل الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقيل اللمزة الذي يكرم الناس بلسانه ويلمزهم بعينه، وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومض بعينه ويرمق بحاجبه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم جمع بتخفيف الميم وقرأ غيرهم بالتشديد[1] ومعنى الآية: الذي جمع مالاً كثيراً من الحرام وعدده لنوائب دهره وقيل عده وأحصاه وأحرزه وقرأ الحسن وعدده بالتخفيف أي جمعه وعدده أي وخدمه واتباعه تقول العرب جمعت الشيء إذا كان متفرقاً فجمعته وجمعت الشيء بالتشديد إذا اكثرت الجمع منه قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ كَلَّاۖ﴾ معناه: يحسب هذا الكافر الطاعن اللعان أن كثرة ماله تخلده وتبقيه أي يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه كلا أي حاشا أن يخلد أحد في الدنيا ويجوز أن يكون معناه: حقاً ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلۡحُطَمَةِ﴾ أي ليطرحن فيها وقرأ الحسن لينبذان في الحطمة أي ليطرحن هو وماله والحطمة اسم دركة من دركات جهنم سميت بذلك لأنها كثيرة الحطم للكفار وأصل الحطم: الكسر يقال: رجل حطمة إذا كان كثير الأكل. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ تفخيم لشأنها قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ أي لا تخمد أبداً قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ أي تشرف على القلوب تأكل كل شيء من الجلود واللحوم والعظام والعروق حتى تبلغ إحراقها إلى القلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ أي إن الحطمة عليهم أي على الكفار مطبقة الأبواب مغلقة لا يدخل فيها رَوْحٌ ولا يخرج منها نعم قوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ قرأ أهل الكوفة في عمد ممددة بضمتين وقرأ غيرهم بالنصب[2] واختاره أبو عبيد

(1) ابن خالويه في إعراب القراءات وعللها 2: 529.
(2) المصدر نفسه 2: 530.

إشارة

لقوله تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[1] والعَمَد والعُمُد جمع عمود قال الفراء: هو جمع عماد وهو الاسطوانة والمعنى تمتد أيديهم وأرجلهم إلى عمد ممدودة في النار وتجعل في أعناقهم السلاسل ليكون ذلك زيادة في تعذيبهم[2].

(1) سورة الرعد: 13، الآية: 2.
(2) الفراء في معاني القرآن 3: 290.

سُورَةُ الفِيلِ

سورة الفيل مكية، وهي ستة وتسعون حرفاً، وعشرون كلمة، وخمس آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الفيل عافاه الله أيام حياته في الدنيا من القذف والمسخ**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ (5)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ (1)﴾ وذلك أن فئة من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر ثم نزلوا بحضرة بيت وكان ذلك البيت مصلى للنجاشي وقومه من النصارى فأججوا ناراً استعملوها لبعض ما احتاجوا إليه ثم رحلوا ولم يطفئوا تلك النار وكان ذلك في يوم عاصف فهاجت الريح فأحرقت البيت الذي كان مصلى للنجاشي وكانوا يعظمون ذلك البيت كتعظيم العرب الكعبة فقصدوا بذلك السبب مكة عازمين على تحريق بيت الله ويستبيحوا أهل مكة فبعث النجاشي أبرهة لهدم الكعبة فخرج أبرهة في سائر الحبشة، وخرج معه بالفيل فسمعت بذلك العرب

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 286، والثعلبي في تفسيره.

فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوه يريد هدم الكعبة. فخرج إليه ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر فدعى قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده فأجابه من أجابه فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ ذو نفر أسيراً فلما أراد أبرهة أن يقتله قال له ذو نفر: لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خير لك من قتلي فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق[1] وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم مضى أبرهة على وجهه الذي يريد حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبائل خثعم فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ نفيل أسيراً وأتى به إلى أبرهة فلما هم بقتله قال له لا تقتلني فإني دليلك في أرض العرب فخلى سبيله فخرج معه يدله حتى إذا مرَّ بالطائف فخرج إليه مسعود الثقفي في رجال من ثقيف فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعين لك ليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد هدمه يعنون اللات والعزى إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيمهم الكعبة. قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة[2] فخرج أبرهة ومعه أبو رغال فهنالك رجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم بالمغمس فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على جمل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد هذا البيت وشريفهم وقل له إني لم آت لحرمكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فاتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له: عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال عبد المطلب: ما لنا به من طاقة ولا نريد حربه

(1) السيرة النبوية لابن هشام 1: 46.
(2) السيرة النبوية ـ نفسه.

ولكن هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم عليه السلام[1].

فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه فإن لم يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع منه فقال له حناطة فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقاً حتى دخل عليه وهو في حبسه فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال: ما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ما عندي غناء في شيء إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لي فسأرسل إليه وأصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك ويكلمه بما يدنيك إليه ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك فقال: افعل فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال: إن عبد المطلب[2] سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحش في رؤوس الجبال وقد أخذ له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو رجل مطعم الناس بالسهل والوحش في رؤوس الجبال فاذن له حتى يدخل عليك فيكلمك في حاجته فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب من أوسم الناس وأجملهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة على سريره فأجلسه على بساطه وجلس معه إلى جنبه ثم قال لترجمانه: قل له اذكر حاجتك فقال له أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أخذهما لي فلما قال ذلك قال أبرهة لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير أخذتهما لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ولم تكلمني فيه قال عبد المطلب: أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه قال: ما كان ليمتنع مني قال: أنت وذاك فرد أبرهة إلى عبد المطلب إبله فأخذها ورجع إلى قومه فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش إذا دخل ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب

---

(1) نفسه.

(2) السيرة النبوية لابن هشام 1: 49.

الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون ويستنصرون على أبرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بباب الكعبة:

لاهُـــمَّ إنَّ الـــعَـــبْـــدَ يَـــمْـــ ∴ نَـعُ رَحْـلَـه فـامـنـع رحـالـك[1]

لا يـغـلـبـن صـلـيـبـهـم ∴ ومـحـالـهـم غـدوا مـحـالـك

عـمـدوا بـجـهـلـهـم جـهـلا ∴ ومـا رقـبـوا حـلالـك

إن كـنـت تـاركـهـم وقـبـلـتـنـا ∴ فـأمـر مـا بـدا لـك

ثم أرسل عبد المطلب خلفه الباب وانطلق هو ومن معه إلى شعب الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه وكان اسم الفيل محموداً وأبرهة مجمع لهدم البيت فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت وإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فتركه وخرج يشتد حتى صعد الجبل فضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوه في رأسه بالطبرزين وهو الكلاب ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً فقام يهرول ووجهوه نحو الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى نحو مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار يحملها حجراً في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته[2]:

أيـن الـمـفـرُّ والإلٰـه الـطـالـب ∴ والأشرم المغلوب ليس الغالب

وكان أبرهة أشرم من ضربة ضربه بها أرياط بحربة على جبهته فشرمت

---

(1) السيرة النبوية ـ نفسه.
(2) السيرة النبوية لابن هشام 1: 53.

حاجبه وأنفه وعينه وشفته وكان يسمى الأشرم من حينئذ. قال ابن إسحاق فجعل عسكر أبرهة يتساقطون من الحجارة بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كل ما سقط أنملة منها أتبعتها أخرى ثم قيح ودم حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما بعث الله محمداً ﷺ كان مما يعده الله على قريش من نعمه عليهم وفضله ما ردّ عنهم وأمر الحبشة بإبقاء أمرهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾ إلى آخرها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ②﴾ معناه: ألم يجعل مكرهم في بطلان حيث لم ينتفعوا به، وأرسل عليهم من البحر طيراً أبابيل أي كثيرة يتبع بعضها بعضاً. وقيل أقاطيع كالإبل المؤتلفة والأبابيل جماعة في تفرقة زمرة زمرة لا واحد لها عند أبي عبيد والفراء ويقال واحدها أبول كما يقال عجول وعجاجيل ويجوز أن يكون واحدها إبليل كما يقال إكليل وأكاليل[1] قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④﴾ أي بحجارة من طين مطبوخ خالطه الحجر كما يطبخ الآجر، وقيل السجيل الشديد كأنه قال من شديد عذابه وعن أبي صالح قال: رأيت في بيت أم هانىء بنت أبي طالب نحواً من قفيز من تلك الحجارة سود مخططة بخطوط حمر على قدر بعر الغنم كأنها جزع ظفاري قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ⑤﴾ أي جعلهم كورق الزرع الذي وقع فيه الذود فخرقه وكان ابن عباس يقول في صفة الطير الأبابيل لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وكان إذا وقع حجر على رأس إنسان منهم خرج من دبره، واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال الكلبي: كان قبل مولد رسول الله ﷺ بثلاث وعشرين سنة، وروي أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وعلى هذا أكثر العلماء، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس[2].

---

(1) الفراء في معاني القرآن 3: 292.

(2) السيرة النبوية 1: 57.

سورة قريش

قال أبو بكر الحداد:

سورة قريش مكية، وهي ثلاثة وسبعون حرفاً، وسبع عشرة كلمة، وأربع آيات، قال ﷺ: **«من قرأ سورة قريش أعطي من الأجر عشر حسنات، وبعدد من طاف الكعبة واعتكف بها»**(1).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ اختلفوا في هذه اللام فقال بعضهم هي لام كي أي فجعلهم كعصف مأكول ليؤلف قريشاً ثم فسر الإيلاف فقال تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ أي ليولفهم رحلة الشتاء ورحلة الصيف. وإنما قال ذلك لأنهم لما خافوا من أبرهة فتفرقوا في البلاد فمنّ الله عليهم فقهر عدوهم وكانت مكة بلدة لم يكن فيها زرع ولا شجر ولا رطب وكان معايش أهلها ما ينقل إليها فأهلك الله عدوهم ليأتلفوا ولأن تأتلف رحلة الشتاء والصيف في التجارة ولولا تجارتهم في هاتين الرحلتين لاضطروا إلى الخروج منها والتفرق في البوادي فأراد الله أن يكثروا بمكة إلى أن يبعث الله محمداً ﷺ

(1) الثعلبي في تفسيره ـ خ، الزمخشري في الكشاف 4: 288.

منهم نبياً وإلى غيرهم وكان بعضهم يعدّ السورتين سورة واحدة وقال سفيان بن عيينة كان لنا إمام لا يفصل بينهما ويقرأهما معاً، وقال عمرو بن ميمون: صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى والتين وفي الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾، و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ١﴾ والمعنى أن إهلاك أصحاب الفيل كان سبباً لبقاء إيلاف قريش ونظام حالهم وقوام مآلهم[1] وقريش هو ولد النضر بن كنانة فمن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده فليس بقرشي واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وسموا قريشاً من التقرش وهو التكسب والتطلب والجمع والطلب وكانوا قوماً تجاراً على المال قوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ٢﴾ بدل من الإيلاف الأول واختلفوا في انتصاب رحلة فقيل نصب على المصدر أي ارتحالهم رحلة، وإن شئت نصبته بوقوع إيلافهم عليه وإن شئت على الظرف واختلفوا في تفسير رحلة الشتاء والصيف فروى عن ابن عباس قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف[2] فأمرهم الله أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقيل كان لهم في السنة رحلتين أحدهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام وكان الحرم وادياً جدباً لا زرع فيه ولا ضرع ولا شجر وإنما كانت قريش يعيشون بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانت الناس يقول لهم سكان حرم الله تعالى. فلولا رحلتان لم يكن لأحد بمكة مقام ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾ أي سبب الله أرزاقهم وأمنهم من خوف العدو ومن خوف الطريق ويقال أراد الإطعام لأن أهل مكة كان أصابتهم سنون كسني يوسف بدعاء النبي ﷺ عليهم حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة فأزال الله عنهم الجوع وأمنهم بعد ارتفاع ذلك من الحرم الذي يبتلى به في ذلك الوقت أهل البلاد التي وراء مكة، وقيل معناه لا يتعرض لهم أحد في الجاهلية.

---

(1) القرطبي في تفسيره 20: 200.

(2) القرطبي نفسه.

سُورَةُ المَاعُونِ

سورة الماعون مكية، وهي مائة وخمسة وعشرون حرفاً، وخمس وعشرون كلمة، وسبع آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الماعون أعطي ثواب المصلين الخاشعين**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿1﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿2﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿3﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿4﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿5﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿6﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿7﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي[2] معناه: أعلمت يا محمد الذي يكذب بالبعث والحساب والجزاء، وكان العاص بن وائل هو أول من أظهر إنكار البعث، وكان في حجره يتيم فظلمه ومنعه حقه، وأكل ميراثه، وكان لا يطعم المسكين بنفسه ولا يأمر غيره بالإطعام، وهذه السورة تهديد له ولكل من يعمل عمله قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ هو الدفع على وجه

---

(1) الثعلبي في تفسيره عن أبي بن كعب.
والزمخشري في الكشاف 4: 290.

(2) الواحدي في أسباب النزول: 398.

العنف قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أراد بذلك المنافقين الذين يسهون في صلاتهم عن ذكر الله من حيث لا يقصدون عبادته والتقرب إليه ولذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أي هم الذين يراءون إذا رآهم المخلصون صلوا معهم رياء وإذا لم يروهم لم يصلوا، وفي هذا بيان أنه ليس المراد بالسهو في الآية سهو نسيان. وعن الحسن أنه قال يسهون عن ميقاتها حتى تفوت، وقال مجاهد: يسهون عنها ويلهون ولا يفكرون فيها، وعن أنس قال: الحمد لله الذي لم يجعل السهو ههنا في صلاتهم، وإنما ذكر السهو عن صلاتهم، وعن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم، وقيل الساهي عنها هو الذي إذا صلاها صلاها رياء، وإذا فاتته لم يندم عليها قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ روي عن ابن مسعود وابن عباس أن الماعون: ما يبذله الجيران بعضهم لبعض مثل الفأس والمسحاة والقدر والدلو وأشباه ذلك[1] وقيل الماعون: ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ما الذي لا يحل منعه؟ قال: «**الماء، والنار، والملح**» قلت: يا رسول الله هذا الماء فما بال النار والملح؟ فقال: «**يا حميراء من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بذلك النار، ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق ستين رقبة ومن سقى شربة حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيا نفساً**»، وعن علي رضي الله عنه: إن الماعون هو الزكاة المفروضة[2].

---

(1) ابن عطية في تفسيره 16: 371.

(2) ابن عطية نفسه.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

قال أبو بكر الحداد:

سورة الكوثر مكية، وقيل هي مدنية، وهي اثنان وأربعون حرفاً، وعشر كلمات، وثلاث آيات قال ﷺ: «**من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من أنهار الجنة، وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل يوم عيد**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝2 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝3﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝1﴾ الخطاب للنبي ﷺ والكوثر في اللغة: الخير الكثير وهو فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وهو الإعطاء. واختلفوا في الكوثر في هذه السورة قال ابن مسعود: أريد به القرآن، وقال الحسن: النبوة ورفعة الذكر والنصرة على الأعداء، وعن أنس وأبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**رأيت ليلة أسري بي نهراً في الجنة حافتاه اللؤلؤ وقيل من الزبرجد، وقيل من الذهب، ومجراه على الدر والياقوت وطينه أطيب من المسك الأذفر وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً**»[2]، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الكوثر نهر

---

(1) الثعلبي في تفسيره.
الزمخشري في الكشاف 4: 291.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه فتح الباري 9: 755 رقم 4964 كتاب التفسير.

في الجنة من أدخل أصبعه في أذنيه سمع خرير ذلك النهر والكوثر يصب في حوض رسول الله ﷺ حصاه الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والدر والمرجان وحصاته المسك الأذفر وترابه الكافور، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج يخرج من أصل سدرة المنتهى عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب حوله من الآنية والأباريق عدد نجوم السماء لا يشرب منه أحد فيظمأ بعدها أبداً[1]. قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ أي فاشكر لله على هذه النعمة العظيمة بالصلاة والنحر وعن ابن عباس أنه أراد بذلك صلاة العيد ثم نحر البدن يوم الأضحى، وقيل: أراد بذلك صلاة الفجر في يوم النحر، وقيل أراد جميع الصلوات المكتوبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أي إن مبغضك هو الأبتر الذي لا عقب له في الدنيا ولا خير له في الآخرة نزل ذلك في العاص بن وائل السهمي كان يكلم النبي ﷺ على باب المسجد الحرام بعد موت عبد الله بن رسول الله ﷺ، فلما انطلق النبي ﷺ قيل للعاص: من هذا الذي كنت قائماً معه تكلمه؟ قال: هذا الأبتر محمد يريد أنه ليس له ابن يخلفه ويقوم مقامه، فأنزل الله هذه السورة إكراماً للنبي ﷺ، وجواباً للخبيث[2] يقول سيموته عن أهله وماله فلا يذكر بخير أبداً وأما أنت يا محمد فقد جعلت ذكرك مع ذكري فلا ينقطع ذكرك أبداً، والثاني من الشأن هو المبغض والله عز وجل أعلم.

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره 15: 415 رقم 29508.

(2) الواحدي في أسباب النزول: 399.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

سورة الكافرون مكية، وهي أربعة وتسعون حرفاً، وست وعشرون كلمة، وست آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن، وتباعد عنه مردة الشياطين، وبرىء من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر**»[1]، وقال ﷺ: «**مروا صبيانكم فليقرأوا سورة الكافرون عند المنام فلا يعرض لهم شيء**» قال ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة لأنها توحيد وبراءة من الشرك[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣
وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ نزلت في رهط من المشركين منهم الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف، قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهتك سنة، فقال: «**معاذ الله أن نشرك به غيره**» قالوا: فاستلم بعض آلهتنا

---

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف 4: 293.

(2) الثعلبي في تفسيره ـ خ.

نصدقك ونعبد إلهك فأنزل الله هذه السورة[1]: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي قل لهم يا أيها الكافرون بتوحيد الله لست في حالي هذه بعابد ما تعبدون من الأصنام ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ إلهي بجهلكم بالإخلاص في عبادة الله ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ فيما يستقبل ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ من الأصنام ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ فيما تستقبلون إلهي الذي أعبده وفي هذه القصة نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿64﴾﴾[2] فلما نزلت هذه السورة غدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وآذوا أصحابه، وأما تكرار الكلام فمعناه: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿2﴾﴾ في الحال، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿3﴾﴾ في الحال، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿4﴾﴾ في الاستقبال، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿3﴾﴾ في الاستقبال. وهذا خطاب لمن سبق في علم الله تعالى: أنهم لا يؤمنون وقال بعضهم: نزل القرآن بلغة العرب ومن مذهب العرب التكرار في الكلام على وجه التأكيد حسماً للأطماع كما أن من مذهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ومثل هذا كثير في الكلام والأشعار كما روي أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «**إن بني مخزوم استأذنوني في أن ينكحوا علياً فيأتهم فلا آذن إن فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها**»[3] وكذلك قال الشاعر:

يا علقمة يا علقمة يا علقمة ∴ خير تميم كلها وأكرمه[4]

كم نعمة كانت لكم ∴ كم كم وكم

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿6﴾﴾ قرأ نافع ﴿وَلِيَ﴾ بالتحريك ومعناه لكم جزاؤكم على عبادة الأوثان، ولي جزائي على عبادة الرحمن، وقيل إن هذه منسوخة بآية السيف.

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 400.
(2) سورة الزمر: 39، الآية: 64.
(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي 16: 2، فضائل فاطمة رضي الله عنها.
(4) القرطبي في تفسيره 20: 227 ذكره من غير نسبة.

سُورَةُ النَّصرِ

سورة النصر مدنية، وهي سبعة وسبعون حرفاً، وسبع عشرة كلمة، وثلاث آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة النصر فكأنما شهد مع النبي ﷺ فتح مكة**»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه السورة في الحديبية ومعناها: إذا جاء نصر الله على الأعداء من قريش وغيرهم، وجاء فتح مكة ورأيت يا محمد الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات بعد أن كانوا في ابتداء الإسلام واحداً واحداً واثنين اثنين قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي صل له مع شكرك إياه على إنعامه عليك ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ أي متجاوزاً عن المستغفرين، فلما نزلت هذه السورة جعل رسول الله ﷺ يكثر التسبيح. وعاش رسول الله ﷺ بعد هذه السورة ستين يوماً وكان كثيراً ما يقول «**سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك**»، فقيل له في ذلك فقال ﷺ: «**جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها**» وكان الحسن يقول: اختموا أعمالكم بخير، فإن النبي ﷺ لما قرب أجله أمر بكثرة التسبيح والاستغفار.

---

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف 4: 295.

سُورَةُ المَسَدِ

قال الإمام الحداد:

سورة تبت مكية، وهي سبعة وسبعون حرفاً، وعشرون كلمة، وخمس آيات، قال ﷺ: **«من قرأ سورة المسد رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة»**[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ④ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ⑤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[2] صعد رسول الله ﷺ على الصفا ونادى **«يا صباحاه»** فاجتمعت إليه قريش، فقال ﷺ: **«يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، لو أخبركم أن خيلاً بسفح الجبل قد أظلتكم أكنتم تصدقونني؟»** قالوا: نعم قال: **«فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»**، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، فأنزل الله تعالى[3]: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي

---

(1) ذكره الزمخشري في الكشاف 4: 297.

(2) سورة الشعراء: 26، الآية: 214.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه بشرح فتح الباري 9: 763 رقم 4971 كتاب التفسير. الواحدي في أسباب النزول: 402.

لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ والتب والتباب: الخسران الذي يؤدي إلى الهلاك والمعنى: خسرت يداه من كل خير، وأضاف إلى اليدين لأن أكثر العمل يجري على اليدين ومعنى قوله: ﴿وَتَبَّ﴾ أي وخسر هو بنفسه خسراناً لا يفلح بعده أبداً واختلفوا في المعنى الذي ذكره الله تعالى بالكنية قال بعضهم: إنما ذكره بالكنية هنا لأنه كان اسمه «عبد العزى» فلذلك ذكرهُ الله بالكنية، وبعضهم قال: كان مشهوراً بهذه الكنية، وقال بعضهم كانت له وجنتان حمراوان قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ أي لا ينفعه كثرة ماله في الآخرة ولا ينفعه ما أعد من الكيد والحيل وقيل معناه: ما أغنى عنه ماله وولده سمى الولد كسباً لأن ولد الرجل من كسبه قال ﷺ: **«إن أفضل ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»**. قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ أي سيدخل أبو لهب ناراً لا يسكن لهبها ولا يطفى حرها قرأ أبو رجاء «سيصلى» بالتشديد وضم الياء قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾ اسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان يصليها الله معه، وكانت عوراء وقوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ أي نقالة الكذب قال ابن عباس: كانت تمشي بالنميمة تقول العرب فلان يحطب على فلان أي ينم عليه، وقال الضحاك: كانت تأتي بالشوك والحصاة فتطرحها بالليل في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه ليعقرهم وكانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر فعيرها الله بالاحتطاب وهو ما تحمله من الشوك. قراءة العامة: حمالة بالرفع[1] على أنه خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون نعتاً وخبر المبتدأ في جيدها ومن نصب[2] حمالة فعلى الذم والشتم كقوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾[3] والمعنى: أعني حمالة الحطب وفي قراءة عبد الله ومريته حمالة الحطب، وقراءة أبي قلابة وامرأته حاملة[4] الحطب على وزن فاعلة وقوله تعالى: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ أي عنقها حبل في الآخرة له ثقل الحديد، وحرارة النار، وخشونة الليف، وقال

(1) ابن خالويه إعراب القراءات وعللها 2: 542.
(2) ابن خالويه نفسه.
(3) سورة الأحزاب: 33، الآية: 61.
(4) القرطبي في تفسيره 20: 240.

ابن عباس معناه: في عنقها سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً من حديد لو وضعت منها حلقة على جبل لذاب كما يذوب الرصاص تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويلوى سائرها في عنقها وذلك أنها كانت لها قلادة فاخرة وكانت تقول لأنفقتها في غدوة محمد. يقال إنها كانت اختنقت في الدنيا بحبل من ليف خنقها الله به فأهلكها ويحتمل في الآخرة في عنقها حبل من نار تساق به إلى النار والمسد في اللغة القتل والمحسود المقتول وقيل: المسد الحديدة التي تدور عليها البكرة وتجعل في عنقها سلسلة وتجعل السلسلة في تلك الحديد فهي تختلف بها في النار كما يختلف الدلو في البئر على البكرة فشهرها الله تعالى بهذه العلامة في جهنم ترفع مرة وتخفض أخرى مع سائر أنواع العقوبات.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

قال الإمام أبو بكر الحداد:

سورة الإخلاص مكية، وهي سبعة وأربعون حرفاً، وخمس عشرة كلمة، وأربع آيات، قال ﷺ: «**من قرأ سورة الإخلاص فكأنما قرأ ثلث القرآن، ويعطى من الحسنات بعدد من آمن بالله وبعدد من أشرك به**»، وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى الغزو، وأمر في الغزو عليهم رجلاً يقال له كلثوم وكان إذا صلى بهم قرأ الفاتحة وسورة ثم سورة الإخلاص فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ أخبروه، بذلك فقال له: «**ما حملك على ما فعلت؟**» قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة، فقال: «**حبك إياها يدخلك الجنة**» وعن أنس رضي الله عنه قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك فلما أن قدمها طلعت الشمس بأحسن طلوع بيضاء وشعاع ونور لم يكن طلعت بمثله فيما مضى فتعجب النبي ﷺ من ذلك فأتاه جبريل بالوحي فسأله عن ذلك فقال له: مات اليوم معاوية الليثي بالمدينة وإن الله تعالى بعث سبعين ألف ملك يصلون عليه قال: «**فيم نال ذلك؟**» قال: بكثرة تلاوته قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وفي ممشاه فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟ قال: «**نعم**» فصلى عليه ثم رجع ثم قال رسول الله ﷺ: «**استكثروا منها فإنها تسمية الله عز وجل من قرأها خمسين مرة رفع الله له بها خمسين ألف درجة وحط عنه خمسين ألف سيئة وكتب له بها خمسين ألف حسنة ومن زاد زاده الله**»[1]، وقال ﷺ: «**من قرأها**

---

(1) الثعلبي في تفسيره ـ خ.

إحدى عشرة مرة بنى الله له قصراً في الجنة من لؤلؤة بيضاء على عمود من ياقوت أحمر فيه اثنا عشر ألف غرفة، ومن قرأها خمسين مرة بنى الله له منازل من نور وأجازه على الصراط، ومن قرأها مائة مرة غفر الله له ذنوب ستين سنة»، وقال ﷺ: «**من قرأها يتناثر الخير على رأسه من عنان السماء، ونزلت عليه السكينة وتغشته الرحمة ونظر الله إليه وجعله في كلايته وحرزه وأعطاه ما سأل، وفضائلها أكثر من أن تحصى**».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ اختلف المفسرون في سبب نزول هذه السورة فروي عن ابن عباس: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربك الذي تدعون إليه. وعن مقاتل أن عامر بن الطفيل العامري قال للنبي ﷺ: انعت لنا ربك أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من نحاس؟ أم من حديد؟ أم من صفر؟ فإن آلهتنا من هذه الأشياء، قال: وبين لنا أيأكل ويشرب وكيف هو؟ فشق ذلك على النبي ﷺ فأنزل الله هذه السورة[1]، وعن سعيد بن جبير أن اليهود قالوا للنبي ﷺ يا أبا القاسم إنك أخبرتنا أن الله خلق السماء من دخان، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم من طين، فأخبرنا عن ربك فَممَّ خلقه، وروي أنهم قالوا إن هذا الخلق خلق الله فمن خلقه فغضب النبي ﷺ حتى جعل لحمه يربو عليه وحتى هم أن يباطشهم فأومأ إليه جبريل أن اسكن، وأنزل الله عليه هذه السورة، وقال ابن كيسان: اليهود قالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربك فإنه قد أنزل نعته في التوراة فما أطوله؟ وما أعرضه؟ فارتعد النبي ﷺ ووضع أصبعيه في أذنيه وفاضت عيناه فجعل أبو بكر رضي الله عنه يمسح الدموع

---

(1) الواحدي في أسباب النزول: 404.

عن وجنتيه، فأنزل الله هذه السورة جواباً لهم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً والمعنى: قل لهم يا محمد الذي سألتم عن تبيين تسميته هو الله وهذا الاسم معروف عند أهل الأديان والملل قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1] والأحد والواحد في اللغة بمعنى واحد وقال: يغلب واحد وأحد وفرد سواء قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ معناه: هو الله الذي يصمد إليه في الحوائج وإليه المفزع في الشدائد كقول العرب صمدت إلى فلان أصمد صمداً بسكون الميم إذا قصدته والمصمود المفقود. وعن ابن عباس أن الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والغني الذي قد كمل في غناه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمه، والحليم الذي قد كمل في حلمه، فهو الذي له هذه الصفات كلها لا تنبغي إلا له، وقال قتادة: الصمد الباقي بعد خلقه وقيل هو الدائم وقال السدي الصمد المقصود إليه في الرغائب المستعان به عند المصايب والعرب تسمى السيد صمداً قال الشاعر:

ألا بكَّرِ النَّاعي بخيْري بني أسد ∴ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد[2]

وعن أبي بن كعب قال: الصمد هو الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه لا شيء يلد إلا سيورث وليس شيء يولد إلا سيموت والله سبحانه لا يورث ولا يموت وكتب أهل البصرة إلى الحسن بن علي فسألوه عن معنى الصمد فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في القرآن بغير علم فإن الله تعالى جل ذكره قد فسر الصمد فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وعن محمد بن الحنفية قال: الصمد: الغني عن غيره، وعن زيد بن علي أنه قال: الصمد: الذي أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي لم يلد أحداً فيرث ملكه، ولم يولد من أحد فيرث عنه الملك، والحاصل من هذا ترجع إلى نفي الحدوث والحاجة إلى الله

(1) سورة الزخرف: 3، الآية: 87.
(2) ذكره القرطبي في تفسيره 20: 245 من غير نسبة.

تعالى لأنه لو كان مولوداً لكان محدثاً ولو كان له ولد لكان محتاجاً لأن أحداً لا يستولد إلا لحاجة إلى الولد والاستمتاع والله سبحانه منزه عن هذه الصفات كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ تقديره: ولم يكن له أحد كفؤاً له أي ليس كمثله شيء وفي قوله كفؤاً ثلاث قراءات قرأ حمزة ويعقوب وخلف ساكنة ألفاء مهموزة، ومثله مروي عن أبي عمرو ونافع وقرأ حفص عن عاصم كفواً منقلبة غير مهموزة، وقرأ الباقون كفؤاً مهموز مضموم الفاء[2] والكفؤ والكفاء والكفيء واحد وهو المثل والنظير تعالى الله عن المثل والنظير.

(1) سورة الأنعام: 6، الآية: 101.

(2) تراجع هذه القراءات في إعراب القراءات وعللها.

سُورَةُ الفَلَق

سورة الفلق مدنية، وهي أربعة وسبعون حرفاً، وثلاث وعشرون كلمة، وخمس آيات، قال ﷺ: «**من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها**»[1]، وعن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبرك بما يتعوذ به المتعوذون؟**» قلت: بلى يا رسول الله قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» قال عقبة بن عامر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله عز وجل من** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فإن استطعت أن لا تدعها في صلاة فافعل».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿1﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿2﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿3﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿4﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿5﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿1﴾﴾ قال الكلبي هذه السورة والتي بعدها نزلت على النبي ﷺ حين سحر فأمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما وذلك أن رجلاً من اليهود يقال له: لبيد بن أعصم سحر النبي ﷺ فمرض رسول الله ﷺ واشتد شكواه حتى تخوف عليه فبينا النبي ﷺ بين النائم واليقظان إذا أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رأسه

---

(1) الزمخشري في الكشاف 4: 302.

للثاني أي شيء به قال: سحر، قال من فعله؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي، قال: فأين جعله؟ قال: في بئر لبني زريق، وجعل سحره في كريه، قال: فما دواؤه، قال: تبعث إلى تلك البئر فننزح ماؤها ثم نقلع الصخرة فيستخرج الكريه من تحتها فيها إحدى عشرة عقدة وإنما قالا ذلك لكي يفهم النبي ﷺ، فانتبه النبي ﷺ وقد فهم ما قالاه فأرسل ﷺ عمار بن ياسر في نفر من أصحابه إلى تلك البئر فانتهى إليها عمار وقد تغير ماؤها كهيئة الحناء من ذلك السحر فنزحوا ذلك الماء حتى بدت الصخرة ومن تحتها كريه فأخذوها وإذا في الكريه وترة فيها إحدى عشرة عقدة فجاء بها إلى النبي ﷺ وأحرقت ونزلت المعوذتان إحدى عشرة آية فحلت كل آية عقدة وأمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما وكان النبي ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين قال: فحينئذ قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال، وكان لبيد بعد ذلك يأتي النبي ﷺ فما رأى في وجه النبي ﷺ شيئاً من ذلك قط ولا ذاكره إياه. وفي بعض الروايات أن بنات لبيد بن الأعصم هن اللواتي سحرن النبي ﷺ فذهب بذلك لبيد فجعلوه في وعاء الطلع أعني كُفَري النخل وجعلها في بئر تحت صخرة فلما أطلع الله نبيه على ذلك بعث أبا بكر وعمر حتى أخرجاه، وقيل بعث علياً في استخراجه فأنزل الله هاتين السورتين[1]. والفلق على قول الكلبي وقتادة الصبح عند بيانه وظهوره وعن ابن عباس أن الفلق الخلق يخرجون من أصلاب آبائهم، وأرحام أمهاتهم كما ينفلق الحب من النبات وهذا القول أعم من الأول، وأقرب إلى تعظيم الله تعالى لأن الفلق كلمة جامعة من لطائف القرآن والله تعالى فالق الإصباح وفالق الحب والنوى وفالق البحر لموسى ومعنى السورة قل يا محمد امتنع واعتصم واستعذ برب الفلق من شر كل ذي شر من الجن والإنس والسباع والحيات والعقارب وغيرها، وعن كعب الأحبار قال: الفلق نبت في النار لو فتح بابه صاح أهل النار من شدته وقال السدي: الفلق بئر في جهنم قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: هو الليل إذا اشتدت ظلمته ووقوب الليل دخوله في الظلام هكذا عن قتادة وأصل الغسق: الجريان بالصديد من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها والغساق صديد أهل النار والغاسق كل هاجم بالضرر كائناً ما كان وسمى الليل غاسقاً لأنه

(1) الواحدي في أسباب النزول: 405.

تخرج فيه السباع من آجامها والهوام من مكامنها وإنما أضيف الشر إلى الليل لأن الإنسان يحذر في أوقات الليل من الشر ما لا يحذر في مثل ذلك بالنهار فكأنه قال تعالى: ومن شر ما يكون في الغاسق كما يقال أعوذ بالله من شر هذا البلد إذا كثر فيه الظلم والفساد، وعن علي رضي الله عنه أنه قال الغاسق: هو الظالم ووقوبه دخوله على الظلم ويقال الغاسق سقوط الثريا لأن الطواعين والأسقام تكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أراني رسول الله ﷺ القمر فقال: «**تعوذي بالله من هذا فإنه** ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾» أي إذا كسف واسودّ قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ أي ومن شر السواحر ينفثن بسحرهن في عقد السحر وهن المهيجات وذلك أنهن إذا أردن الإضرار بإنسان نفثن عليه ورقيته بكلام فيه كفر وشرك وتعظيم للكواكب وأطعمنه شيئاً من الأدوية الضارة والسموم القاتلة بالاحتيال ثم يزعمن إذا ظهر الضرر عليه أن ذلك من رقاهن، وإذا أردن أن ينفعن إنساناً نفثن عليه واختلف أن يسقينه شيئاً من النقيع والرقى والنفث هو أن يلقي الإنسان بعض ريقه على من يعوذه يقال نفث ينفث وتفل يتفل بمعنى واحد. قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ معناه: أن الحاسد يستعظم نعمة صاحبه. ويريد زوالها فيحمله ذلك على الظلم والبغي والاحتيال بكل ما يقدر عليه لإزالة تلك النعمة عنه، والحسد في اللغة تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يدخل على النفس من المشقة بها، ويقال معناه: التلهف على وجود نعمة الله تعالى وهذا هو الحسد المذموم، وأما إذا تمنى النعمة من الله تعالى مثل نعمة صاحبه من غير أن يتمنى زوالها عنه فذلك يكون غبطة ولا يكون حسداً، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذه الآية الاستعاذة من شر عين الحاسد واستدل على ذلك بما روى أن النبي ﷺ أمر عائشة رضي الله عنها أن تسترقي من العين ويستحب للعاين عند إعجابه بما يراه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله كما روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من رأى شيئاً يعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره شيء**»، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**العين حق فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا، وإنما ختمت السورة بالحسد ليعلم أنه أحسن من الأشياء التي قبله وهو أحسن الطبائع**» والله أعلم.

سُورَةُ النَّاسِ

قال الإمام الحداد:

سورة الناس مدنية، وهي سبعة وسبعون حرفاً، وعشرون كلمة، وست آيات، قال ﷺ: «**قال لي جبريل ألا أخبرك بأفضل ما تتعوذ به فقلت ما هو؟ قال: المعوذتين ـ ورووا ـ ما تعوذ المتعوذون بمثلهما**»، وقال ﷺ: «**من قرأ سورة الفلق وسورة الناس أعطاه الله من الأجر كأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء ومحمد ﷺ**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿1﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿2﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿3﴾ مِن شَرِّ
ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿4﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿5﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ
وَٱلنَّاسِ ﴿6﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ أي قل لهم يا محمد امتنع واعتصم بخالق الخلق المقتدر عليهم المالك لنفعهم وضرهم وحياتهم وموتهم المستحق للعبادة الذي إليه مفزعهم وملجأهم من شر الشيطان ذي الوسواس المستتر المختفي عن الأعين الذي يصل بوسوسته إلى صدور الناس كما ورد في الحديث: «**إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم فتعوذوا بالله منه**» قال قتادة: إن الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صورة الإنسان جاثم على قلب ابن آدم إذا غفل العبد عن

ذكر الله وسوس، وإذا ذكر الله خنس. وروي أن عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فجلا له فإذا رأسه رأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا لم يذكر وضع رأسه على ثمرة قلبه فمنّاه وحدثه. قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي قيل ذلك عابد على الوسواس كأنه قال من شر الوسواس الذي هو من الجنة، والوسواس الذي هو من الناس، ويقال معناه: من شر كل مارد من الجن والإنس، وقيل إن قوله تعالى: من الجنة عابد على لفظ الناس المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ لأن اسم الناس يصلح للجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فجعلهم رجالاً والشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الإنس ودليل هذا قوله تعالى: في أول السورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أراد به رب الإنس والجن جميعاً.

وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أحسن طريق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل وفريق وسلم تسليماً كثيراً.

وكان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب المبارك بحمد الله ومنه وكرمه يوم الخميس الأنيس تاسع شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة ست بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام آمين.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأحاديث

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

فهرس المدن

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأشعار

القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الودائعُ	الطويل	[1]	69 / [3]
تابعُ	الطويل	[1]	223 / [3]
الطوالعُ	الطويل	[1]	194 / [6]
تَتَبعُ	البسيط	[2]	292 / [6]
البيعُ	البسيط	[3]	292 / [6]
يصدعُ	الكامل	[1]	319 / [1]
مفجّعُ	الكامل	[2]	69 / [3]
يخدعُ	الكامل	[1]	131 / [3]
تبّعُ	الكامل	[1]	248 / [6]
رجوعُها	الطويل	[1]	17 / [5]
القناعه	الوافر	[2]	36 / [2]
وضاعَه	الرجز	[4]	132 / [7]
فارعِ	الطويل	[2]	298 / [2]
الأقرعِ	المتقارب	[1]	23 / [6]
القنوعِ	الوافر	[1]	428 / [4]
الذراعِ	الرجز	[2]	133 / [7]
خدعْ	الرمل	[1]	38 / [1]
عُلَّفٌ	الطويل	[1]	263 / [1]
مختلفُ	المنسرح	[1]	313 / [6]
رؤوفا	الوافر	[1]	194 / [1]
بكفّي	الوافر	[1]	342 / [1]
خصفْ	الرجز	[1]	222 / [3]
واقترفْ	الرجز	[1]	275 / [3]
تنفقُ	الطويل	[1]	446 / [2]
عروقُها	الطويل	[2]	351 / [1]
نمارقِ	الطويل	[1]	210 / [7]
الطريق	الوافر	[1]	383 / [5]

القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ضلالاَ	الكامل	[1]	[1] / 222
غزالا	الخفيف	[1]	[1] / 413
برسولِ	الطويل	[1]	[5] / 130
بالهزْلِ	الطويل	[1]	[1] / 52
ينزلِ	الطويل	[1]	[1] / 102
مائلِ	الطويل	[1]	[1] / 199
الغوافِلِ	الطويل	[6]	[5] / 54
أوصالي	الطويل	[1]	[1] / 338
الغوافلِ	الطويل	[1]	[2] / 235، 5 /5 59
فحومَلِ	الطويل	[1]	[6] / 316
سبيلِ	الطويل	[1]	[2] / 241
أغلالِ	البسيط	[1]	[1] / 149
بالعقولِ	الوافر	[1]	[3] / 140
عيالي	الرجز	[5]	[7] / 132
سربالِهِ	الرجز	[1]	[7] / 233
الكمالْ	المتقارب	[1]	[2] / 47، 199
فنَزَلْ	الرجز	[1]	[1] / 242
حالِمُ	الطويل	[2]	[5] / 154
أتأيّمُ	الطويل	[1]	[5] / 70
حرمُ	البسيط	[1]	[2] / 327
مكتومُ	البسيط	[1]	[1] / 261
عظيمُ	الكامل	[1]	[2] / 147
حرامُ	الكامل	[1]	[5] / 209
حِمامُها	الكامل	[1]	[2] / 59، 6 /6 127
السلامُ	الوافر	[1]	[2] / 65
نعامُها	الكامل	[1]	[2] / 385
ظلامُها	الكامل	[1]	[6] / 75

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس المحتويات

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الجزء السابع